الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون - تيارت -

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

فرع: الدراسات اللغوية

تخصص: لسانيات الخطاب

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة العربية وآدابها الموسومة ب :

قواعد النّحو العربي

بين الجمود والتّطوّر

دراسة في حركات الإصلاح

إعداد الطالبة :

لعلق حليمة

إشراف الأستاذ الدكتور:

عوني أحمد محمد

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
بن شريف محمد	أستاذ التعليم العالي	إبن خلدون تيارت	رئيساً
عوني أحمد محمد	أستاذ التعليم العالي	إبن خلدون تيارت	مشرفاً ومقرراً
حدوارة عمر	أستاذ التعليم العالي	إبن خلدون تيارت	مناقشاً

السّنة الجامعية : 1440ه / 1441ه - 2019م /2020م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

أحمد الله عزوجل الذي وفقني في إتمام هذا البحث العلمي، والذي ألهمني الصّحة والعافية والعزيمة فالحمد لله حمداً كثيراً.

وأتقدم بجزيل الشّكر والتّقدير إلى الأستاذ الدكتور المشرف " عوني أحمد محمد " ، الذي لم يبخل عليّ بنصائحه وتوجيهاته القيّمة التي ساهمت في إثراء بحثي، فكان النّاصح، المصوّب ، والمرافق " في مقام الأب " .

كما لا يفوتني في هذا المقام أن أسجل وافر شكري إلى الأساتذة المناقشين على قبولهم الدّعوة ، وتكبدهم عناء قراءة بحثي بصدر منشرح.

وبعدها فالشّكر موصول لكلّ أساتذتي الذين تتلمذت على أيديهم في كلّ مراحل الدراسة ، حتى أتشرّف بالوقوف أمام حضراتكم اليوم.

إهداء

إلى روح الأستاذ الدكتور" درويش أحمد"

الذي نسأل الله أن يجعل قبره نزلاً فسيحًا من الجنة يسكنها إلى حين الموعد الأكبر.

اللهم عامله بما أنت أهله، أنت أهل الفضل وأهل المغفرة ولا تعامله بما هو أهله

إنا لله وإنا إليه راجعون

مقدّمة

الحمد لله الذي قدّر فهدى، وأعطى فأغنى ، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمد، أفصح العرب قاطبة، خير معلم للبشرية، أما بعد:

يعدّ علم النّحو العربي من أسمى العلوم التي حظيت بالنّصيب الأوفر من البحث والدراسة؛ إذ به يفهم كلام الله عزوجل، ويتطور الفكر العربي ليساير نمو الطاقات الذهنية، ويواكب مختلف التطوّرات الحاصلة في الحياة المعاصرة، من أجل ذلك سعى أعلام النّحو إلى إزالة غبار السنين فقاموا بوضع الأسس والقواعد النحوية وتصنيف الكتب والمدونات وتقسيم الأبواب رغم اختلاف مذاهبهم ومدارسهم.

من أجل تخليصه من الجمود المتراكم به، وإنقاذه من رتابة علقت بطابعه على مرّ التاريخ الطويل، والتي لم يعد لها صدى – كما يرى النحاة –في عصرنا الراهن.

ومن هنا شرعوا في إقامة نهضة فكرية ؛ الأجرأ من حيث المتغيرات والتحديثات ،فرضت حركة ليست طبيعة في المحاولات الإصلاحية لقواعد النّحو العربي.

أما عن الدوافع لاختيارنا لموضوعنا الموسوم ب : قواعد النّحو العربي بين الجمود والتّطوّر – دراسة في حركات الإصلاح – عديدة ولعلّ أهمها ما يلي :

- الولع الشّديد بخوض ودخول غمار الدراسات النّحوية سواء القديمة منها أو الحديثة.
- كون ما خلّفه القدامى نتاج بالغ الأهمية وهائل ، يستحق الدّراسة.
- التعمق في التجارب التيسيرية الحديثة ، والإحاطة بجميع جوانبها بطريقة دقيقة، بهدف المساهمة في إصلاح النّحو العربي مع الإلتزام بركائزه.
- كون المحاولات الإصلاحية لقواعد النّحو العربي من أهم المحاولات التي يتطلبها العصر.

ولقد استقطبت المحاولات الإصلاحية في النّحو العربي اهتمام العديد من الباحثين في هذا الميدان؛ حيث نرى لها كياناً في ثنايا الدّراسات النّحوية القديمة منها والحديثة، فاعتمدنا الأهم منها ؛ وهي:

1) كتاب " إحياء النّحو " للمؤلّف إبراهيم مصطفى ، وهو أوّل كتاب وجد لنقد النّظريات التّقليدية للنّحو، فاعتبر الركيزة الأساسية التي شيّدت عليها المحاولات الإصلاحية الأخرى.

2) كتاب " تجديد النّحو " للأستاذ شوقي ضيف، يعد تحوّلاً من الجوانب النّظرية لكتاب " الرّد على النّحاة" إلى الجوانب التّطبيقية المسايرة لمتطلبات الزمن.

3) كتاب " نحو التيسير " لأحمد عبد السّتار الجواري، وقد قدّم فيه مجهودات تبسيطية وتيسيرية تتماشى مع متغيرات الزحياة، ولكن بالمحافظة على أصالة النّحو العربي.

4) رسالة دكتوراه : " النّحو العربي ومحاولات تيسيره " لمختار بزاوية.

ولا ريب أنّ هذه الدّعوات لا تزال غير كافية لتروي غليل الدارس في هذا المجال، مادامت الجهود لم توحّد لتفعيلها في الواقع. وأثناء الولوج في أعماق هذا البحث يتبادر إلى عقولنا مجموعة من الإشكالات أبرزها :

- ما مدى جهود الحركات الإصلاحية في النّحو العربي في المحافظة على ثوابته مع الأخذ في الاعتبار المتغيرات التي يفرضها تطوّر الزمن ؟
- ماهي أهم الدعائم التي قامت عليها هذه المحاولات الإصلاحية ؟ وهذا الإصلاح هل هو هدم لما سبق أم هو بناء يدعم التطوير النّحوي؟

تجلية للأسئلة المطروحة ارتأينا أن يجيب عنها هذا البحث، والتي نرى أنّها استحقّت عناء الدّراسة والتفتيش.

وسيكون مُعتمدُنا في هذا البحث ، المنهج الوصفي التّحليلي باعتبار أنّنا سنقوم باستقراء الجهود الدّاعية إلى التّجديد والتّطوير ومقارنتها مع الدّرس النّحوي القديم، ثمّ إتباعها بالنّقد والتّحليل والتقويم.

ولقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن نعالجه في مقدمة ومدخل يليهما ثلاثة فصول أردفناها بخاتمة تبيّن أهم النّتائج المتوصّل إليها، وذلك كما يلي:

مقدمة: تطرقنا فيها لأهم الأسباب التي دفعتنا إلى التّقدّم خطوة نحو هذا البحث ، والإشكالية التي يطرحها، والمنهج المتبع في الدّراسة والصعوبات التي اعترضتنا ، مع ذكر أهم المصادر والمراجع المعتمد عليها.

مدخل: تحدثنا فيه بإيجاز عن معظم المراحل التي مرّ بها النّحو العربي منذ القدم إلى العصر الحديث ، وذلك لكي نربط الماضي بالحاضر ، وندرك مختلف الأزمنة التي سار عليها عبر تاريخ طويل هذا العلم.

الفصل الأوّل: نشأة النّحو العربي وتطوّره: وأسهبنا فيه الحديث عن الدّرس النّحوي العربي بين المفهوم والنّشأة ومراحل التّأسيس، وناقشنا تنوع المدارس النّحوية، ولم نغفل الإشارة عن المصادر التي اعتمد عليها النّحاة من سماع وقياس إلى إجماع، كما تحدثنا عن القاعدة وما يليها من عناصر .

الفصل الثاني : وعرضنا فيه أبرز مشاكل النّحو وصعوباته، ثمّ انتقلنا إلى جهود القدامى وتيسير النّحو العربي، من خلال أوضح الآثار التي تركوها والمصادر الثمينة التي ألّفوها.

الفصل الثالث: وتناولنا فيه جهود المحدثين في تجديد النّحو العربي، فتطرقنا إلى أهم المصطلحات التيسيرية المتعددة وعرّجنا الذكر حول أفضال العلماء المحدثين وما خلّفوه من مراجع ، لننتقل إلى القرن الحادي والعشرين ونتحدّث عن خطر المستشرقين والمستغربين.

خاتمة: وفيها تعرضنا إلى ذكر أهم النتائج التي توصّل إليها هذا البحث.

ولأنّه لا يخلو بحث – أياً كان – من صعوبات تعترض الباحث فإنّ أهم ما يلاقينا إذا نظرنا إلى كتب النّحو هو كثرتها وتشعّب مادتها، فأضحت لنا عائقاً ليس سهلاً ، لكون أنّ هذا العلم يستوجب الإطلاع المكثّف على عديد الدّراسات المؤلّفة فيه قديماً وحديثاً.

والبحث يدين بالشّكر الجزيل ، والفضل الكبير للأستاذ الدّكتور " عوني أحمد محمد " ، الذي كان وراء هذا البحث طرحاً وتقديماً وتوجيهاً، والذي يطالع الرّسالة يستشعر بصماته الواضحة، وكرم علمه ، وصرامة عمله.

كما نشكر الأساتذة الكرام أعضاء لجنة المناقشة الذين أغنوا البحث بملاحظاتهم البنّاءة، القيّمة، التي ساهمت في تصويبه فكان لهم جزيل الشّكر ، وخالص العرفان.

ونسأل الله عزّوجلّ النّجاح والتوفيق إلى كل ما يحبه ويرضاه.

لعلق حليمة

تيارت في : 11/ 08/ 2020

مدخل

الـــنّحو العربي "مرحلة التّأسيس"

علم النحو

القاعدة النّحويّة

المدارس النّحويّة

تمهيد:

اللغة في كل بلدان العالم، هي الميدان الواسع لحفظ علوم الأمّة وتأريخ حضارتها حيث تمثل وسيلة التفاهم وأداة التعبير عن المعاني، لأنّ النّاس يتخاطبون بها مع بعضهم البعض، فيعبرون بها عن مشاعرهم وأفكارهم.

إنّ نزول القرآن الكريم باللغة العربية رفعها إلى مكانة ساميةٍ ورفيعةٍ، وإذا كان سليمان (عليه السّلام) قد قال : ﴿ **قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي** ﴾ [1] ،فإنّ العربية أوتيت بفضل إنزاله الله القرآن بها ملكاً على سائر لغات الدنيا لا ينبغي للغة من قبلها و لا من بعدها [2].

ثمّ إنّ دراسة اللغة وتعلّم قواعدها كانت مدخلاً إلى فهم كتاب الله عزوجل، وسنّة نبيّه (عليه الصّلاة و السّلام)، ولهذا كانت عناية العلماء من المفسرين والفقهاء والأصوليين والمحدثين باللغة دراسة وتدريساً، وبحثا وتأليفاً .

وقيل في اللغة أقوالٌ منها، أنّها توقيفية جاءت جملة واحدةً وفي زمان واحد ، وعلى هذا الرأي ابن فارس (ت 395 ه)[3] ودليله قوله تعالى : ﴿ **وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا**﴾[4] ، وهي الأسماء المعروفة، كالدّابة و الأرض، والجبل . كما يقول ابن فارس (رضي الله عنه) في تفسيرها . والباحث يؤيّد توقيف اللغة العربية، لكونها لغة نزلت ﴿ **بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ** ﴾ [5] ، وحروفها تسعة وعشرون حرفاً ، روى أبو ذر الغفاريّ (رضي الله عنه)أنّه قال : " سألت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقلت:يا رسول الله كلّ نبيّ يرسل بم يرسل؟ قال : بكتاب منزّل. قلت: يا رسول الله أيّ كتاب أنزله الله على آدم ؟، قال : كتاب المعجم ألف ،با ، تا ، ثا إلى آخرها. قلت: يارسول الله كم حرفاً؟ قال: تسعة وعشرون. قلت يا رسول الله عددت ثمانية وعشرين؟ فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احمرّت عيناه ثمّ قال : يا أبا ذرّ ، والذي بعثني بالحقّ نبيّاً، ما أنزل

---

[1] . ص: 35.

[2] . د. علي محمد يوسف جميل، أثر القرآن الكريم على اللغة العربية، ، المنهل ، العدد 491 ، المجلد 53، ص136 .

[3] . بن فارس ، الصاحبي ، علق عليه ، أحمد حسن بسبج ،دار الكتب العلمية، بيروت ،لبنان ، ط1 ،1418ه- 1997م ، ص : 14 .

[4] . البقرة: 31 .

[5] . الشعراء: 194 .

الله على آدم إلّا تسعة وعشرين حرفاً ... " [1] ، واللغة بعد أن وقّفها الله لآدم (عليه السلام) لم تبق بالصورة الأولى التي رسمها الله عزوجل له ، بل تعرضت لتطور ، ونمو عبر مرّ السنين من خلال الاختلاط البشري، والتعايش الاجتماعي حتى وصلت إلى أوج رقيها إبان نزول القرآن بها .

والعربية لغة فُضلت على لغات الأمم المجاورة، بما فيها من خصائص اختصها الله تعالى بها كالإيجاز، وإلى ذلك إشارة الفرّاء (ت 207 ه) في قوله : " وجدنا للّغة فضلاً على لغة جميع الأمم اختصاصاً من الله تعالى وكرامة أكرمهم بها، ومن خصائصها أنّه يوجد فيها من الإيجاز مالا يوجد في غيرها من اللغات" [2].و العربية لغة منسجمة التراكيب متناسقة المعاني، لم تكن فيها شائبة أو زيف لأنّها: " أكمل اللغات وأدقها وأبرؤها من العيوب، كيف لا، وهي لغة القرآن المعجز، والحديث النبوي الذي كانت فصاحته ومستواه اللغوي موضع الإعجاب، وهي أيضاً لغة الشّعر والنثر من عصر الجاهلية والإسلام، وقد كانا نماذج تحتذى، وتنال تقدير الجميع، هذه النظرة إلى العربية لم تترك مجالاً حتى لمجرد التفكير في توجيه نقد للعربية بل حتى رصد مواضع العيب أو الصعوبة فيها ومحاولة التوصل إلى إصلاحها " [3].

وسار جمع اللغة في ثلاث مراحل، وكانت المرحلة الأولى: جمع الكلمات حيثما اتفق، والثانية: جمع الكلمات المتعلقة بموضوع واحد في موضع واحد، والثالثة: وضع معجم يشمل كل الكلمات العربية ليكون مرجعاً يلوذ الباحثون به، وكان الخليل بن أحمد الفراهيدي أول من فكّر في وضع معجم للغة العربية وقد استطاع بعقليته الجبّارة ودهائه وثقافته الفسيحة أن يجمع ألفاظ العربية، ويحصرها بطريقة رياضية، ويبيّن المستعمل والمهمل منها في كتاب " العين " الذي كان أوّل معجم في العربية.

وعلوم اللغة العربية [4] عبارة عن عن اثني عشر علماً في قول أحمد الهاشمي (ت 1943) :

نَحْوٌ وصَرْفٌ عَرُوضٌ ثُمَّ قَافِيةٌ وَبَعْدَها لُغَةٌ قَرِضٌ وَ إِنْشَاءٌ.

[1] . عبد القادر بن عمر البغدادي، خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب، دار الكتب العلمية، بيروت ،لبنان،د ط، ج1 ، 1971م،ص : 114.
[2] . القلقشندي : أبو العباس أحمد بن علي، صبح الأعشى ،دار الكتب المصرية، القاهرة ، ج1 ، د ط ،1340ه 1922 م، ص: 149.
[3] . مبروك سعيد : د. عبد الوارث ، في إصلاح النحو العربي،دار القلم للنّشر، الكويت، ط1 ،1406ه 1985 ، ص: 37.

خَطٌّ بَيَانٌ مَعَانٍ مَعَ مُحَاضَرَةٍ والاشتقاقُ لَها الآداب أَسْمَاءُ.

وكلّها باحثة عن اللفظ العربي من حيث ضبطه وتفسيره وتصويره وصياغته ، إفراداً وتركيباً .

والذي له حقّ التّقدم من هذه العلوم المذكورة { النَّحْوُ } ، الذي بدأ فناً في عصر دعت الحاجة إلى ظهوره.

علم النحو :

والنحو هو فهم تراكيب الكلام العربي، وتحليل مواضعه وبناء صوره في الجملة العربية، بأسلوب غايته الحفاظ على اللغة العربية من التداخل، والانحراف المتأتى من تداخل اللهجات، وشيوع اللحن قديما، واللغات المجاورة والعامية حديثا، وكلّما أدرك الباحث في مجال اللغة أهمية عروبتها، والتفت إلى سبيل بقائها، أغنى نفسه بالتقصي عن سبيل معالجة ما يطرأ على أحوالها، لذا برز (النّحو العربي) ، علماً يُعنى بتركيب اللغة و التعبير بها[1].

تبرز أزمة النحو العربي من النحو ذاته حيث صار نوعا من التحليل الفلسفي الذي لا يراعي طبيعة اللغة، إذ أحس العرب منتصف القرن الأول للهجرة بخطر يهدد لغتهم وقرآنهم بسبب كثرة اللحون النحوية، خاصة عندما تبناها الأعاجم والموالي، حيث لقي اهتمام واسعا من العلماء إلّا أنّه ظلّ عقيماً متهماً بالجمود وعدم مسايرة الزمن لذلك تعالت الصيحات بتجديده، وإعادة النظر في قواعده ولكلمة " نحو " معانٍ كثيرة في اللغة وقد وردت لدى علماء العرب القدماء في مختلف المعاجم .

سبب وضع النحو:

وسبب وضع النّحو " مع أنّ النّطق بالإعراب سجيّةُ العرب من غير تكلفٍ" كما قيل .

فالعرب لما علت كلمتهم بالإسلام، وانتشرت رايتهم في بلاد فارس و الروم، وفتحوا بلادهم واختلطوا بهم في المصاهرة و المعاملة والتّجارة والتّعليم، دخل في لسانهم العربي المبين وصمةُ اللسان الأعجمي (فخفضوا

[1]– الجواري : د.أحمد عبد الستار ، نحو التيسير، مطبعة المجمّع العلمي العراقي، بغداد، ط2، 1984م ص :2

المرفوع ورفعوا المنصوب وما إلى ذلك من كثرة اللّحن الشنيع) حتى كاد أسلوب النطق العربي يتلاشى لأسباب كثيرة .

1. من ذلك ما نقل عن أبي الأسود الدؤلي أنّ ابنته رفعت وجهها إلى السّماء وتأملت بهجة النّجوم وحسنها، ثمّ قالت " ما أحسنُ السّماءِ ؟؟ " على صورة الإستفهام.

فقال لها: يا بُنيّة " نجومُها "

فقالت : إنّما أردت التّعجّب .

فقال لها : قولي " ما أحسنَ السّماءَ " وافتحي فاكِ.

2. و من ذلك ما سمعه أيضا أبو الأسود الدؤلي من قارئ يقرأ قوله تعالى : ﴿ **إنَّ اللهَ بريءٌ منَ المشْركينَ و رَسولِهِ**﴾ بجرّ رسوله ففزع من ذلك أبو الأسود، وخاف على نضرة تلك اللغة من الذّبول وشبابها من الهرم، وجمالها من التشويه، وكاد ينتشر هذا الشّبح المخيف مع أنّ ذلك كان في مبتدأ الدّولة العربية ،والقوم تزيد علاقاتهم كل يوم بالعجم ، فأدرك هذا الإمامُ (عليٌّ) كرّم الله وجهه، وتلافى الأمر بأن وضع تقسيم (الكلمة) وأبواب (إنّ وأخواتها) والإضافة والإمالة والتعجب والاستفهام وغيرها. وقال لأبي الأسود الدؤلي [أنحُ هذا النّحو] و منه جاء اسم هذا الفنّ، فأخذه أبو الأسود . وزاد عليه أبواباً أخر إلى أن حصل عنده ما فيه الكفاية. ثمّ أخذه عن أبي الأسود نفرٌ – منهم ميمون الأقرن ، ثمّ خلفهم جماعة – منهم أبو عمرو بن العلاء، ثمّ بعدهم الخليل، ثمّ سيبويه والكسائي ثمّ سار النّاس فريقين بصري وكوفي، وما زالوا يتداولون ويُحكمون تدوينه حتّى الآن . فجزاهم الله أحسن الجزاء.

مفهوم القاعدة:

أ. **لغة:** القواعد جمع قاعدة ، وهي في اللغة: الأساس ، فقاعدة كل شيء هي أساسه، ومن ذلك قواعد البيت؛ أي : أسسه ، وهي في الأمور الحسية إلّا أنها استعملت في الأمور المعنوية، ومن ذلك قواعد العلوم . والقاعدة: ما يقعد عليه الشيء، أي: يستقر و يثبت[1].

والقاعدة : أصل الأسّ ، والقواعد: الإساس ، وقواعد البيت إساسه. وفي التنزيل: " وإذْ يَرْفعُ

[1]– الجوهري ، الصحاح ،تح: أحمد عبد الغفور، دار العلم للملايين، بيروت ، ط4، 1990م، ج2، ص: 525

إبراهيمُ البَيْت وإسماعيل" ؛ وفيه: نأتي الله بنيانهم من القَواعِد، قال الزجاج: القواعد أساطين البناء التي تَعْمِدُه[1].

ب. **اصطلاحا** :عرفها الجرجاني في كتابه بأنها : " هي قضية كلية منطبقة على جميع جزئياتها"[2] بمعنى الضابط، وهي الأمر الكلي المنطبق على جميع جزئياته، والقاعدة النحوية قاعدة كلية؛ كالفاعل مرفوع ، والمفعول منصوب ... إلخ، والقاعدة الكلية يكون معناها حكما كليا ينطبق على جزئيات كثيرة [3].

والقاعدة : تعبير عن شيء لاحظه الباحث، وكان عليه أن يصفه بعبارة مختصرة بقدر الإمكان، ويرى السيوطي أن القاعدة تجمع فروعا من أبواب شتى[4]، وهي " وصف لسلوك معين في تركيب اللغة" [5].

قواعد النحو العربي :

" قانون لغوي، وهذا القانون اللغوي دستور عربي عام، وهو نتاج جماعي مشترك بين القادرين على الاستقراء والاستنتاج، ثمّ التقنين والتقعيد، فالأصل في كل علم أن يكون جمعاً لجهودٍ متقاربة مجتمعة على أصل واحدٍ وهدف واحدٍ بعينه، فإذا كانت البصرة سباقة إلى تقنين العربية فإنّ للكوفة فضل الإكمال والإتمام في كثير من الإحكام[6] "

المدارس النحوية:

وحتى يكتمل هذا العمل من وضع القواعد للغة العربية فقط نشط فيه جملة من النحاة واللغويين العرب، بل حتى من قرّاء الذكر الحكيم كوّنوا من بعدهم ما أطلق عليه الباحثون اسم المذاهب أو المدارس النحوية، فمن هم أشهر هؤلاء النحاة الذين قعّدوا للغة العربية؟ وما هي أشهر المدارس التي كانوا ينشطون تحت لوائها؟

[1]– ابن منظور، لسان العرب ، المجلد 12، دار صادر بيروت، لبنان، ص 150

[2]– علي بن محمد بن علي الجرجاني، التعريفات، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1405ه، ص:219

[3] - الفيومي، المصباح المنير ، مكتبة لبنان، بيروت، 1987م، ص:263

[4]– جلال الدين السيوطي، الأشباه والنظائر، ط حيدر أباد، 1316ه، ج1 ، ص:6

[5]– محمود شرف الدين ، التقعيد النحوي بين السماع والقياس، رسالة دكتوراه بدار العلوم، القاهرة، 1968م، ص:19

[6]– فوزي مسعود ، سيبويه جامع النحو العربي، دار الهيئة المصريّة العامة للكتاب، د ط، 1986م، ص:25

الحديث عن المدارس النحوية يطول، لأنّه بحث في تاريخ النحو العربي الذي يمتد من منتصف القرن الأول للهجرة إلى القرن الرابع عشر، ويشمل بيئات مختلفة كالبصرة والكوفة وبغداد ومصر والشام والأندلس وغيرها من الأمصار العربية والإسلامية.

المدرسة البصرية:

الحديث عن الخطوات الأولى للنحو أي الحديث عن أبي الأسود الدؤلي (ت 69ه) وممن أخذوا عنه النحو ألا وهم: عنبسة الفيل ونصر بن عاصم الليثي (ت 89ه) ويحيى بن يعمر (ت 129ه) وميمون الأقرن.

فهو من بدأ في التأسيس للدرس النحوي العربي في بلاد العراق، ويعد من أقطاب وضع النحو. ومن أعماله في ذلك أنّه ضبط المصحف بعلامات وضعها؛ وهذه العلامات هي نقطة فوق الحرف للدلالة على الفتحة، ونقطة أسفله للدلالة على الكسرة، ونقطة بجانبه للدلالة على الضمة[1].

ويقال أيضاً إنّه وضع من أبواب النحو بابي العطف والنعت، وبابي التّعجّب والاستفهام، وباب أنّ وأخواتها وأبواباً أخرى[2].

ويعد ابن أبي إسحاق الحضرمي (ت 117ه) ، أوّل نحوي بصري حقيقي يرحل إلى أعماق نجد وبوادي الحجاز وتهامة لجمع اللغة العربية من ينابيعها الصافية التي لم تفسدها الحضارة، فكانت القبائل كقيس وأسد وطيء؛ وجهته ووجهة تلاميذته من بعده الذين جمعوا بين علمي النحو والفقه حيث كان كلّ من تلميذيه عيسى بن عمر (ت 149ه) ، وأبي عمرو بن العلاء(ت 154ه) من القراء النحويين اللغويين، كما كان تلميذا عيسى بن عمر : الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175ه)، ويونس بن حبيب (ت 182ه) كذلك من القرّاء النحويين، فجمعوا أكثر من علم – وهي ميزة معظم العلماء الأوائل – مما ساعد على تطور الحركة النحوية التي كان القرآن الكريم الأصل الأوّل في تكوين قواعد العربية.

وكان الخليل بن أحمد الفراهيدي وتلميذه سيبويه (ت 180ه) يعدان بحقّ الواضعين للنحو العربي، فقد جاء في أخبار النحويين البصريين : " وأما الخليل فكان الغاية في استخراج مسائل النحو، وتصحيح القياس فيه،

[1]– عبد العزيز عتيق، المدخل إلى علم النحو والصرف، ط2، 1974م، دار النهضة العربية، ص: 142

[2]– المرجع نفسه، ص:143

وهو أوّل من استخرج العروض، وحصر أشعار العرب بها، وعمل أوّل معجم [كتاب العين] المعروف الذي به يتهيأ ضبط اللغة، وكان من الزهاد في الدنيا، والمنقطعين إلى العلم".[1]

وقد استفاد من علمه الكثير من العلماء، وفي مقدمتهم سيبويه أمام النحاة " أعلم النّاس بالنّحو بعد الخليل" [2]

وأخذ العربية كذلك عن الأخفش الأكبر(ت 177ه) وعن غيره، كما ترك كتابه [الكتاب] المرجع الذي كان ولا يزال يهتدي به الباحثون في علم النحو ، حيث اشتمل على أهم أصول المنهج البصري.

وقد قال أبو عثمان المازني عن كتاب سيبويه :" من أراد أن يعمل كتاباً كبيراً في النحو بعد كتاب سيبويه فليستح"[3]. و من خلال هؤلاء العلماء سادت البصرة صرح النحو، ورفعت أركانه.

المدرسة الكوفية:

نشأت مدرسة الكوفة بعد البصرة، حيث ظهرت البوادر الأولى لنشأة علم النحو فيها على يد جماعة من المؤدبين؛ إذ إن النحاة الذين عرفتهم الكوفة كانوا تلاميذ البصريين، وقد ظهر أوّل نحوي قارئ –حسب الروايات– عاصم بن أبي النجود ، وعادة ما " تذكر كتب التراجم الأوليّة للنحو الكوفي مجسدة في أبي جعفر الرّؤاسي"، ومعاذ بن مسلم الهراء (ت 187ه) .

ويبدو أن النحو الكوفي قد بدأ بدءاً حقيقياً بالكسائي (ت 189ه) وتلميذه الفرّاء ، فهما اللذان وضعا أسسه وأصوله، وأعدّاه بفطنتهما لتكون له خواصه التي يستقل بها عن النحو البصري.

ويعد الكسائي أبرز من اهتم بالدراسات النحوية، وأدخلها إلى الكوفة، وقد كان يتنازع الكسائي منهجان أحدهما: ما شبّ عليه ونشأ وهو منهج مقيّد بالعقل يحاول إخضاع المسموع لأحكامه، وهو منهج علماء

[1]– السيرافي ، أخبار النحويين البصريين، تح: محمد عبد المنعم خفاجي وطه محمد الزيني، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ط1، 1374 ه 1955م، ص: 30 ، وياقوت الحمدي، معجم الأدباء، دار إحياء التراث ، بيروت ،ط1، 1993م، ج1، ص:30

[2]– أبو الطيّب اللغوي، مراتب النحويين واللغويين،تح: محمد أبو الفضل، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1394ه 1974م، ص:106

[3] – الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف، ط2 ،1984م، ص: 125

النحو القائم على القياس، ووضع الأحكام والأصول التي تحكمها وتقيدها، ولهذا فقد اتخذ له منهجا وسطا بين المنهجين[1].

" ومن مصنفات الكسائي، معاني القرآن، ومختصر النحو، والحدود في النحو وما تلحن فيه العوام" [2] ، فبهذه الأعمال عدّه العلماء والباحثون إمام مدرسة الكوفة. وقد كان من أنبه تلاميذ الكسائي الذين اقترن ذكرهم به الفرّاء (ت 207ه) الذي رحل بدوره إلى البصرة ليسمع من يونس بن حبيب، واطّلع على كتاب سيبويه.

وتواصلت جهود المدرسة الكوفية مع مجموعة من النحاة البارزين، منهم: هشام بن معاوية الضرير (ت 209ه) ، أبا العباس ثعلب (ت 291ه) وهو آخر أئمة النحو الكوفي الذي اشتهر بحفظ مسائل الفرّاء كلّها، وكان " أنبه تلاميذ ثعلب في المباحث النحوية أبو بكر بن الأنباري" [3] (ت 328ه) الذي كان أحد من دعموا المحو الكوفي بالعلل المنطقية.

رغم كل هذه المجهودات التي بذلها نحاة الكوفة إلّا أن هناك من ينكر وجود هذه المدرسة، ويسمي أعمال هؤلاء النحاة مجرّد حلقة نحوية جاءت لمخالفة آراء نحاة مدرسة البصرة؛ ومع علمنا أنّ الجوهر والقواعد الأساسية قد وضعتها المدرسة البصرية – وهذا لا جدال فيه – إلّا أن المدرسة الكوفية قد أضافت الكثير في الفروع وخالفت المدرسة البصرية في الكثير من الآراء.

المدرسة البغدادية:

بدأ ظهور هذه المدرسة في أوائل القرن الرابع الهجري؛ أثناء اصطدام النحو الكوفي بالنحو البصري في مدينة بغداد، وقد اختلفت مشارب علماء هذه المدرة تبعاً لمن تتلمذوا عليه، فمنهم من أخذ عن البصريين، فغلبت عليه النزعة البصرية ، ومنهم من أخذ عن الكوفيين فغلبت عليه النزعة الكوفية، ومنهم من أخذ عن المدرستين ،ونظر إلى العلم نظرة خاصة متجردة عن العصبية، نظرة التوسط في الترجيح والأخذ، والمخالفة والتأييد بين آراء المدرستين.

[1]– ينظر: خديجة الحديثي ، المدارس النحوية،دار الأمل ، اربد ، الأردن، ط3، 1422ه 2001م، ص: 118

[2]– إبراهيم عبد السامرائي، المفيد في المدارس النحوية، ط1، 1427ه، 2007م، دار المسيرة، عمان ، الأردن، ص:94

[3]– شوقي ضيف، المدارس النحوية، دار المعارف، القاهرة، ط7، 1992م، ص: 138

و لم يكن المذهب البغدادي يتوقف على ترجيح الآراء من المذهبين البصري أو الكوفي، بل كانت لهؤلاء آراء أخرى جديدة، واجتهادات خاصّة انفردوا بها؛ ومن بين أهم نحاة المدرسة البغدادية وأشهرهم نذكر: ابن كيسان (ت 299ه) ، وابن شقير (ت 317ه)، وابن الخياط (ت 320ه) ، وفيهم يقول الزجاجي (ت 337ه) الذي يعد واحداً من أشهر أعلام هذه المدرسة : " من علماء الكوفيين الذين أخذت منهم أبو الحسن ابن كيسان، وأبو بكر بن شقير ، وأبو بكر بن الخيّاط، لأنّ هؤلاء قدوة أعلام في علم الكوفيين، وكان أوّل اعتمادهم عليه، ثمّ درسوا علم البصريين بعد ذلك ،فجمعوا بين العلمين "[1] . ومن أئمة هذا المذهب نجد أيضاً:

الأخفش الأصغر (ت 315ه) ، وابن السراج (ت 316ه) ، ومنهم: أبو علي الفارسي(ت 377ه) الذي عدّه شوقي ضيف منهم [2] لمخالطة آراء البصريين والكوفيين، وأبو الفتح عثمان بن جني (ت 392ه)، وكتبه في النحو أشهر من نار على علم.

هؤلاء كلّهم كوّنوا النحو البغدادي الذي مزج بين نحو المدرستين البصريّة والكوفيّة مع بعض الإجتهادات التي قاموا بها.

وللإشارة فإنّه وإن اعترف عدد من العلماء النحاة بوجود هذه المدرسة بتعداد أهم نحاتها وأعمالهم التي قاموا بها في ميدان الدراسات النحوية كشوقي ضيف وخديجة الحديثي وغيرهم، فقد وجد هناك من العلماء ممّن أنكروا وجود المدرسة البغدادية، مصنفين جهودهم على حسب غلبة مذهب نحاتها.

المدرسة المصرية:

أطلق على هذه المدرسة اسم " مدرسة القرّاء النحوية" ، لاعتماد علمائها على دراسات لغوية نحوية وصرفية مبنيّة على ما في القراءات، وقد كان النحو البصري أوّل نحو يدخل البيئة المصرية نتيجة رحلة النحاة البصريين إليها، إذ كان كتاب سيبويه أوّل كتاب يعتني به المصريون ، ويليه النحو الكوفي، ومن أشهر علماء هذه المدرسة نذكر:

[1]- بن شُقير ، الجمل في النّحو، ، تح: محمد العزازي ،دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، دط، 1971م ، ص: 08

[2]- شوقي ضيف ، المدارس النحوية، ص: 246

الوليد بن محمد التميمي المصادري، المشهور بولاد ، وأبا العباس أحمد بن محمد بن ولّاد حفيد الوليد بن ولّاد (ت 332ه) " ورث العناية بالنحو والإكباب على درسه عن أبيه وجده السالفين" ، وأبا جعفر النحّاس (ت 338ه) الذي رحل إلى العراق فسمع من البصريين والكوفيين والبغداديين، وأهم نحوي مصري ظهر في القرن السابع الهجري ابن الحاجب (ت 646ه) ، وابن هشام الأنصاري (ت 761ه) الذي ذاعت مصنفاته، والسيوطي (ت 911ه) ، الذي بلغت مصنفاته حوالي ثلاثمائة كتاب.

وقد كوّن هؤلاء النحاة جميعهم مذهبا نحويا سمي بالمدرسة المصرية التي كان منهجها الإنتخاب من المدارس السابقة: البصرية والكوفية والبغدادية، إضافة إلى تتبعهم لكثير من آراء المدرسة الأندلسية مع نفوذهم إلى بعض الآراء الجديدة.

المدرسة الشامية:

وجد من الباحثين من أضاف المدرسة الشامية، حيث قصد الشام عدد كبير من العلماء من كلّ قطر بعد أن أصبحت الشام مركزاً للخلافة الأمويّة خاصّة ، أنه تمّ فيها تشجيع العلماء ، فنشط النحو في الشام نشاطاً واضحاً على يد: ابن خالويه (ت 370ه) الذي انتقل بدوره إلى الشام واستوطن حلب، وأبو بكر بن محمد بن قاسم المرسي (ت 718ه) الذي درّس العربية هناك فشاع ذكره وصار من جلّة الشيوخ بالشام [1].

وتميّزت الدراسات النحوية في الشام بتغلّب النحو الأندلسي والمصري الذي كان يمزج بين النحو البصري والكوفي والبغدادي، مع ميلهم إلى النحو البصري.

لقد كانت هذه أبرز وأهم المدارس النحوية التي نشطت واهتمت بالدرس النحوي العربي في المشرق العربي، فما الذي أضافته بلاد المغرب العربي وبلاد الأندلس في هذا المجال؟

[1]- ينظر: أحمد بن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الجيل ،بيروت ، دط، 1993 م، ج1، ص: 462.

المدرسة المغربية:

بعد الفتح الإسلامي في بلاد المغرب نشأت هذه المدرسة ، حيث أخذ علماؤها النحو في البداية عن طريق النحاة المتنقلين بين الأندلس وبلاد المشرق العربي، وكان أوّل النحو دخولاً إليها هو النحو الكوفي الذي حمله جودي بن عثمان إلى الأندلس ومن ثمّ دخل المغرب، إذا نرى أن النحو المغربي في بدايته قد جاء خليطاً من نحو البصريين والكوفيين، ومن بعد البغداديين والأندلسيين، لينقل بعد ذلك إلى مرحلة العطاء التي تحمل في طياتها كثيراً من التيسيرات، ومن بين النحاة البارزين هم:[1]

عياض بن عوانة الذي عدّه الزبيدي وحده في الطبقة الأولى، وإبراهيم بن قطن المهري الذي أخذ النحو عن ابن عوانة السابق، وأبا الوليد عبد الملك بن قطم المهري (ت 253ه) ، وابن الوزان النحوي (ت 346ه) ، وابن معطي الزواوي (ت 628ه) صاحب أوّل ألفية في النحو العربي، وابن آجروم الصنهاجي (ت 723ه) صاحب [الآجرومية] [2].

هؤلاء كلّهم خدموا علم النحو ، وكانت لهم جهود معتبرة في ميدان تسهيل النحو العربي وتيسيره خاصة.

المدرسة الأندلسية:

نشأت هذه المدرسة وتطورت في الأندلس على أيدي الكثير من العلماء الذين أخذوا من نحاة البصرة والكوفة وبغداد العلوم وأضافوا إلى ذلك الكثير من القواعد.

ويعدّ جودي بن عثمان (ت 198ه) أوّل نحوي بالمعنى الدقيق الذي نال ريادة الدراسة النحوية في الأندلس، فكان " أوّل من أدخل كتابه إلى الأندلس وولى القضاء بألبيرة وصنّف كتاباً في النحو"[3]، ومن نحاة الأندلس هشام الخضراوي أبو عبد الله محمد الخروبي الأندلسي (ت 646ه) الذي كان إماماً في العربية، أما بن عصفور الحضرمي الإشبيلي (ت 663ه) حامل لواء العربية في زمانه بالأندلس. وابن مضاء القرطبي ، وابن مالك جمال

[1]– خديجة الحديثي ، المدارس النحوية، ص: 353

[2]– بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ط2 ، 1968م، دار المعارف، ج5، ص: 284

[3]– الرافعي ، تاريخ آداب العرب، ج3، ص:315

الدين الطائي الجيّاني، وهو إمام النحاة وحافظ اللغة (ت 672ه) [1]، و هكذا اشتهر الأندلسيون في النحو وأبدعوا فيه وأحيوا عصر الخليل وسيبويه، ولعلّ السر في ذلك هو ما كان لهؤلاء من فطرة هائلة في قوة الذاكرة والحفظ التي لا ريب أنّها من أثر جمال الطبيعة في نفوسهم ، فكانوا في عناية الاستحضار للمسائل البديهية.

نستنتج أنّ نحاة الأندلس كان منهجهم في النحو الاختيار من آراء المدارس السابقة عليهم، مع العلم بالإضافات والاجتهادات التي جدّدوها في النحو والتي كانت من وحي تفكيرهم.

[1]- عبد العزيز عتيق، المدخل إلى علم النحو والصرف، ط2، دار النهضة العربية، 1974م، ص: 169-170 (بتصرف)

الفصل الأوّل

نشأة النحو العربي وتطوّره

1- كيف نشأ النحو؟

2- سبب التسمية.

3- مكان نشأته.

4- دوافع نشأة النحو

5- مفهوم النحو

6- المدارس النحوية

7- المصادر التي اعتمد عليها النّحاة

8- القاعدة النّحويّة

تمهيد :

لكلّ أمة من الأمم لغة مخصصة بها، تسهل على أفرادها طريقة التعامل والتعايش، ولكلّ لغة قوانين تحكمها تنشأ تبعاً للحاجة التي تحددها قدرة هذه اللغة على البقاء، والمطاوعة، وهذه القوانين ما تسمى ب [النحو] . الذي ولد في لغتنا العربية، فنّاً ترتّمت به ألسنة العربية، وتذوّقت حلاوته قبل أن يعرفوه علماً قائماً بذاته، فالنحو "نشأ فناً قبل أن يكون علماً، أي أن هذه الطرق للأداء في اللغة العربية، قد التزمت باطراد في تراكيبها وأساليبها، ومرّنت عليها ألسنة العرب وتمكنت من طبائعهم قبل أن توضع لها القواعد النحوية المجرّدة وضعاً علمياً، وتدرس دراسة مستقلة لتعرف و تحتذى"[1]

1- كيف نشأ النحو؟

لقد كان ظهور اللّحن في كلام العرب، وفي تلاوة آيات الرحمان من أهم العوامل التي أدّت إلى تأسيس علم اللغة العربية وقواعدها على وجه الخصوص، فقد كان العرب في الجاهلية ينطقون بالسليقة، وهي ملكة في ألسنتهم يأخذها الآخِر عن الأوّل، فلما جاء الله بالإسلام اتّسعت رقعة الدولة الإسلامية بالفتوحات التي تمت في عصر الخلفاء الراشدين، " ودخل النّاس في دين الله أفواجاً ومن كلّ الأقوام، اختلط العرب بغيرهم فتطلب هذا أن يفهم بعضهم بعضاً، فحدث الاحتكاك، في النطق والسمع، والسمع أبو الملكات ، فسمع هذا نطق ذاك، وسمع ذاك لحن هذا، فتكوّن من هذا وذاك نطقاً ليس فصيحاً كلّه، إذ أصيب كثير منه باللحن، فكثر اللّحن، وكثر اللّحانون، وامتد أثرهم إلى العرب الخلص في حواضر والبوادي، إلّا ما ندر، فهبّ أولوا الأمر من المسلمين ينظرون في اللّحن ويبغّضون فيه "[2].

وتُشير الروايات إلى أنّ أوّل لحن ظهر في العراق قولهم: " حيٍّ على الصلاة" بكسر الياء والصحيح بفتحها، وكان اللّحن والخطأ قد أخذ في الظهور منذ حياة الرسول صلى الله عليه وسلّم، حيث روى بعض النحاة أنّه سمع رجلاً يلحن في كلامه فقال: " أرشدوا أخاكم فقد ضلّ "[3].

ويروى أن عمر بن الخطّاب (ت 23ه) – رضي الله عنه – " مرّ قوم يسيئون الرمي، فغضب وقرعهم، فقالوا: إنّا قوم متعلمين، فاشتد غضبه وقال: والله لخطؤكم في لسانكم أشد عليّ من خطئكم في رميكم، (

---

[1]– المبارك: د.عبد الحسين، قضية الإعراب في النحو العربي، مجلة الضاد، تصدر عن الهيئة العليا للعناية باللغة العربية في الجمهورية العراقية، 1989م، ج3 ،ص:111

[2]– إبراهيم عبود السامرائي، المفيد في المدارس النحوية، دار المسيرة، عمان، الأردن، ط1، 1427ه – 2007م، ص: 15

[3]– أبو الطيّب اللغوي : عبد الواحد بن علي، مراتب النحويين واللغويين، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ص:6

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلّم) يقول: رحم الله آمراً أصلح من لسانه "[1] . غير أن اللّحن في صدر الإسلام كان لا يزال قليلا، بل نادراً، وكلّما تقدّمنا منحدرين مع الزمن اتّسع شيوعه مع الألسنة مما فسح للتعريف بعربيتهم التي كانوا ينطقون بها، كما فسح للّحن وشيوعه.

ولم يقتصر الأمر على خطئهم في الكلام، وإنّما امتدّ إلى قراءتهم لآيات الكتاب العزيز ؛ حيث ورد عن أبي الأسود الدؤلي أنّه مرّ برجل يقرأ الآية الكريمة من سورة (التوبة : الآية 3) : ﴿ أنَّ اللهَ بريءٌ منَ المشْرِكينَ ورسُولُهُ ﴾ [2] ، بكسر لام (رسوله) التي جعلها معطوفة على (المشركين) ليغيّر المعنى جملةً وتفصيلاً؛ فذهب أبو الأسود الدؤلي إلى سيّدنا علي – رضي الله عنه – وأخبره أن العربية في خطر، فتناول سيّدنا علي – رضي الله عنه – رقعةً ورقيةً وكتب عليها :" بسم الله الرحمان الرحيم، الكلام كلّه اسم وفعل وحرف، فالاسم ما أنبأ عن المسمّى، والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى، والحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل " ، ثمّ قال لأبي الأسود : أنحُ هذا النحو – ومن أجل ذلك سميّ هذا العلم بعلم النحو – وكان يقصد بذلك أن يضع القواعد للغة العربية؛ إلى غيرها من الروايات الموجودة في بطون الكتب النحوية الأولى، التي تشير كلّها إلى بروز ظاهرة اللّحن بشكل ملفت للنظر وخاصة في قراءة القرآن الكريم، ممّا أدى بأصحاب الاختصاص إلى وضع ضوابط وقواعد للّغة العربية حتّى يتمكن المسلمون من فهم قرآنهم وقراءته قراءة سليمة.

2- سبب التسمية:

قديماً لم يكن يعرف النحو بهذا الاسم بل كان يعرف " بعلم العربية " وهذه التسمية ظهرت في عهد الطبقة الثانية من علماء البصرة حيث اشتهرت عنها مؤلفات واستمت بأنّها نحوية، وصرح فيها باسم النحو [3].

3- مكان نشأته:

تجمع المصادر على أن العراق كان مهداً لنشأة النحو، وذلك للأسباب الآتية :

– اعتبار العراق ملجأ العجم قبل الفتح الإسلامي، وبعد الفتح أقبل عليها عرباً وعجماً، إلى جانب ذلك كونها تمتاز بدواعي الحياة الحسنة و رخاء العيش.

---

[1]– ياقوت الحموي، إرشاد الأريب، دار المأمون، دط، 1938م، ج1، ص: 67. وينظر : محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الأنباري، الأضداد في اللغة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الكويت، دط، 1960م، ص:244

[2]– ابن جني : أبو الفتح عثمان، الخصائص ، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، 1956م، ج2، ص:8 . وينظر: شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص:15

[3]– إبراهيم عبود السامرائي، المفيد في المدارس النحوية، ص:23

– كون العراق أكثر البلاد العربية تعرضاً للحن وما يخلّفه من مصائب بسبب اختلاط العرب والعجم.
– كان العراقيون ذوي عهد قديم بالعلوم والتأليف كما يملكون إرثاً من الخبرة.[1]

4- دوافع نشأة النحو:

لقد أحدث الإسلام تغييراً جذرياً في الحياة العربية، وكان له الأثر في انتشار اللغة العربية، وبخاصة بعد الفتوحات الإسلامية واتساع رقعة الدولة، فدخل كثيرٌ من الشعوب غير العربية في الإسلام وانتشرت العربية كافة بين الشعوب، ممّا أدى إلى دخول اللّحن في اللّغة العربية وتأثير ذلك على العرب، فدعت الحاجة علماء ذلك العصر لتأصيل قواعد اللغة لمواجهة ظاهرة اللّحن خاصةً وأن هذه اللّغة هي لغة القرآن الكريم، ويعد هذا أهم دوافع نشأة النحو العربي :

1) دافع ديني:

قد كفل الله تعالى القرآن الكريم من التحريف بقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نحنُ نزَّلْنَا الذِّكْرَ وإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [2] ، وعلى مر العصور دأب المسلمون على حفظه والحفاظ على القراءة السليمة له وبخاصة بعد شيوع اللّحن على الألسن بسبب كثرة الموالي الذين وفدوا إلى الأمصار الإسلامية بعد الفتوحات [3]. وهذا ما جعل أبو الأسود الدّؤلي يضع نقاط المصحف، فقد اختار كاتباً وأمره أن يأخذ صبغاً يخالف لون المراد وقال له: " إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فأنقط نقطةً فوقه على أعلاه، وإن ضممّتُ فمي فأنقط نقطةً بين يدي الحرف، وإن كسرت فاجعل النقطة من تحت الحرف" [4]

أراد أبو الأسود من قوله هذا وضع حركات يميّز فيها القارئ بين الفتحة، وذلك بوضع نقطة فوق الحرف، والضمة وذلك بوضع نقطة في وسط الحرف، والكسرة بوضع النقطة تحت الحرف، إذن فالنحو نشأ من أجل فهم القرآن الكريم .

[1]. ينظر: إبراهيم عبود السامرائي ،المرجع السابق، ص23
[2]– الحجر : 09
[3]– خضر موسى محمد، النحو والنحاة، عالم الكتب، بيروت، ط1، 2003م، ص:10
[4]– محمد بن إسحاق النديم، الفهرست، تح: مصطفى الشومي، الدار التونسية للنشر، تونس، ط1، 1985 م ، ص:91

2) دافع قومي:

كان العربي يعتز بلغته اعتزازاً كبيراً، فخشي عليه فسادها خاصة بعد الفتوحات الإسلامية، واختلاط العرب بغيرهم من الأجناس، وإحساس الشعوب المستعربة أنّها بحاجة إلى من يرسم لها أوضاع اللّغة العربية في قواعدها من إعراب وتصريف حتى تتمثّلها تمثّلاً واضحاً [1].

3) دافع اجتماعي:

لم يستطع الأعاجم من تسلّم المناصب في الدولة والسبب في ذلك لسانهم، فحرصوا على تعلّم العربية حتى يستطيعوا الاندماج في المجتمع الجديد وقد ساعدهم في ذلك نحاة الطبقة الأولى كأبي الأسود الدّؤلي وعنبسة الفيل، حيث وضعوا منهجاً تعليمياً يساعد من أراد تعلّم العربية، وبهذا كانوا فرسان النّحو العربي وحاملي لوائه لقرون عدّة إلى جانب أبي إسحاق الحضرمي وسيبويه وغيرهم [2].

4) رقي العقل العربي ونمو طاقته الذهنيّة:

كان ذلك بفضل ما أحدثه الإسلام من تطوّرٍ حضاري، فاستطاع العقل الإسلامي أن يبدع ويطوّر لغته، أي؛ نمو الطّاقة الذّهنيّة العربية ورقيها، فعملت على رصد الظواهر اللغوية وتسجيل الرسوم النحوية التي كانت أساساً راسخاً لنشوء علم النحو وقواعده [3].

هذه الدوافع المتشابكة المتنوّعة دفعت القدماء إلى التفكير في وضع النحو، وكان فضل السبق للعراق حيث يقول أحمد أمين :" ولم يكن بالحجاز زلاً غيره من الأمصار شيء يذكر من اللّغة والنّحو بجانب ما في العراق"[4]

فخاصية هذا البلد (العراق) أنّه موطن للنّشاط العلميّ ففيه نشأت العلوم العربية، إلى جانب ذلك أنّه يتكوّن من تركيبة بشرية تجمع الكثير من الأجناس، ومن هنا يتبيّن الاختلاف حول أوّل من وضع النحو.

---

[1]- خضر موسى محمد، النحو والنحاة، ص:11

[2]- ينظر : شوقي ضيف، المدارس النحوية ، ص:12.

[3]- شوقي ضيف ،المرجع نفسه ، ص:12 .

[4]- أحمد أمين، ضحى الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت ، ط10 ، د ت ، ص:278.

5- مفهوم النحو :

أ. لغة:

ورد في [معجم العين] في باب النون مادة (نحا) : " النّحو القصد ، نحو الشيء نحوت نحوه أي قصدت قصده، وبلغنا أن أبا الأسود الدؤلي وضع وجوه العربية فقال للنّاس أنحُ نحو هذا وسمي النحو "[1].

جاء في [لسان العرب] مادة (نحو) (ت 711م): " النحو: إعراب الكلام العربي، والنحو: القصد والطريق، ونحو العربية منه، إنّما هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير والإضافة والنسب وغير ذلك، ليلتحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها وإن لم يكن منهم، أو إن شذّ بعضهم عنها ردّ به إليها وهو في الأصل مصدر شائع أي نحوت نحواً كقولك قصدت قصداً، والجمع أنحاء ونُحُوٌّ، قال سيبويه : شبهوها بعتوٍّ وهذا قليل وفي بعض كلام العرب إنّكم تنظرون في نُحُوٍّ كثيرةٍ أي؛ في ضروب من النحو .

ويقال أنحى عليه وانتحى عليه إذا اعتمد عليه، بن الأعرابي: أنحى ونحى وانتحى أي اعتمد على الشيء واتنحى له وتنحى له: اعتمد وتنحى بمعنى نحا له وانتحى ... ونحا إليه بصره ينحوه وينحاه : صرفه وأنحيت إليه بصري عدّلته "[2] .

كما جاء في [مقاييس اللغة] مادة (نحو) : " النون ، الحاء، الواو، كلمة تدلّ على قصد، ونحوت نحوه، ولذلك سمي نَحْوُ الكلام، لأنّه يقصد أصول الكلام فيتكلم على حسب ما كان العرب تتكلم به " [3]

كما جاء أيضاً في [معجم الوسيط] مادة (نحو):

"نحا إلى الشيء نحواً ، مال إليه وقصده ، فهو ناحٍ ، وهي ناحية، والشيء: قصده وكذا عنه : أبعده وأزاله، (نحى) اللبن – نَحْيا : محضة ، (أنحى) في سيره : مال إلى ناحية، وعليه: أقل ... و (ينحو) : القصد يُقال

---

[1]- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، مادة (نحا)، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م ، ط1،م4.

[2]- ابن منظور، لسان العرب، تح : عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ط1، ج1، 1424ه، 2003م، مادة (ن ح و)، 15/ 360- 362

[3]- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة ، تح: عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل، بيروت ، لبنان، ط1، 1991 م، المادة (ن ح و) ، 5/ 403- 404

نحوت نحوه قصدت قصده ، والطريق والجهة والمثل والمقدار والنوع (ج) أنحاء و نُحوٌّ علم يعرف به أحوال أواخر الكلام إعراباً وبناءً "[1].

" وقد جمع الأمام الداودي معاني النحو في اللغة فقال :

للنحو سبع معاني قد أتت لغة جمعتها ضمن بيت مفرد كملًا

قَصْدٌ ، ومِثْلٌ ، ومِقْدارٌ، ونَاحِيَةٌ نَوْعٌ، وبَعْضٌ، وحَرْفٌ، فَاحْفَظْ المَثَلَا " [2]

ويظهر من خلال التعريفات السّابقة أنّ النّحو في اللغة هو القصد، ويكاد يجمع عليه أنّه كلمة عربية.

ب. **اصطلاحا:**

مما لا شكّ فيه أن النحو في بداياته الأولى وبالتحديد في العصر الذي عاش فيه أبو الأسود الدؤلي (ت 69ه)، كان عبارة عن أفكار، و لم يكن علماً قائماً بذاته، إذ لم يعرف وضوحاً في منهجه ومصطلحاته لأنّ الفكر العربي آنذاك لم يكن على درجة كبيرة من النضج العلمي، أن هذا المصطلح كانت له بدايات تحولت بعد ذلك إلى علم قائمٍ بذاته سميّ بعلم النحو، ولعلّ أقدم محاولة لتعريف هذا المصطلح ما ذكره ابن السراج (ت 316ه) في كتابه الأصول : " النحو إنّما أريد به أن ينحو المتكلم إذا تعلمه كلام العرب، وهو علم استخرجه المتقدمون فيه من استقراء كلام العرب " [3]. وقد كان ابن السراج أوّل من عرّف علم النحو، وليس هذا في الواقع تحديداً لحقيقة النحو بقدر ماهو تعريف بمصادره وبيان للهدف من تدوينه ودراسته .

وعرّفه ابن جني في كتابه [الخصائص] بأنّه : " هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية ، والجمع، والتحقير، والتكسير، والإضافة ، والنسب ، والتركيب، وغير ذلك، ليلحق من ليس من أهل اللّغة العربية بأهلها في الفصاحة ، فينطق بها وإن لم يكن منهم، وإن شذّ بعضهم عنها ردّ به إليها " [4].

وفي هذا التعريف جمع ابن جني بين النحو والصرف ، وانتحاء سمت كلام العرب ، أي ؛ ما اعتمدته وقالته العرب ،و ما أخذه علماء النحو عنهم والمرتبط بفصاحتهم، وذلك من خلال الإعراب كبيان الحركة الإعرابية

[1]- إبراهيم أنيس وآخرون ، المعجم الوسيط، ط2، د ت ، 2 / ص: 908

[2]- عوض القروي، المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث هجري، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الرياض، السعودية، 1979م، ص:23

[3]- ابن السراج، الأصول في النحو العربي، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1996م، ج1، ص: 35

[4]- ابن جني، الخصائص، تح: عبد الحميد هنداوي، ص:67

للكلمات وبيان نوع هذه الكلمات هل هي مثنى، أو جمع ، أو جمع تكسير، أو غيرها ، وهل هي مفردة أو مركبة. ونجد في القرن السابع هجري (ابن عصفور) (ت 669ه) يعرّفه بأنّه: " علمٌ مستخرجٌ بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب، الموصلة إلى معرفة أحكام أجزائه التي تأتلف منها " [1].

والمقصود من هذا أن النّحو مستخرجٌ بالمقاييس المستنبطة أي؛ أنّه مضبوط ودقيق ومأخوذ من محاكاة كلام العرب ، وأنّه لا استثنائية فيه لازيادة ولا نقصان، إذ به نصل إلى معرفة أحكام أجزائه التي يتكوّن منها. فهو وسيلة عملية تمثّل مختلف بنيات اللغة من أجل امتلاك الملكة اللّسانية العربية لا غاية؛ كأنّ النحاة يجدون أن النحو دراسة شاملة ودقيقة للغة حتى أنّهم وصفوه بالمرادف لعلم العربية.

وقد عرّفه الشّريف الجرجاني (ت 816ه) في كتابه [التعريفات] : " علم بقوانين يعرف بها أحوال التراكيب العربية من الإعراب والبناء وغيرهما، وقيل النحو: علم يعرف به أحوال الكلم من حيث الإعلال ، وقيل : علم بأصول يعرف بها صحة الكلام وفساده "[2] .

ومن هذا التعريف يكون الجرجاني قد قدّم تعريفاً كاملاً إذ تحوّل مفهوم النّحو من تتبّع كلام العرب إلى العلم بقوانين هذا الكلام، فالجرجاني لم يستعمل كلام العرب ، وإنّما قال التراكيب العربية، إذ أن التمكّن من التركيب يأتي بعد معرفة القواعد والقوانين .

من خلال هذه التعاريف الاصطلاحية للّنحو والمتعدّدة نجد أنّ النّحو هو علمٌ يبحث في أواخر الكلمات إعراباً وبناءً ، والهدف من هذا العلم هو الضّبط والتّقنين لهاته الكلمات والجمل، فهو أسّس أساساً من أجل الحفاظ على اللّغة ومستوياتها وإقامة اللسان وتجنّب اللّحن في الكلام.

أما المحدثون، أمثال إبراهيم مصطفى الذي عاب على النحاة المتقدمين تضييقهم لمفهوم النحو ، لأنّهم جعلوه مرادفاً للإعراب أو لحركات أواخر الكلمات، فيعطي إبراهيم مصطفى بديلاً لمفهوم النحو، ويكون قد استقاه من النّحاة المتقدمين ، قائلاً: " هو قانون تأليف الكلام وبيان لكلّ ما يجب أن تكون عليه الكلمة في الجملة، والجملة مع الجمل حتى تتّسق العبارة ويمكن أن تؤدي معناها، وذلك لكلّ كلمة و هي منفردة معنى خاصاً تتكفل اللغة ببيانه وللكلمات المركبة معنى، وهو صورة لما في أنفسنا، ولما نقصد أن نعبر عنه ونؤديه إلى النّاس

[1]- ابن عصفور ، المقرب، تح: عادل أحمد وعلي معوض، دار الكتب العلمية ، لبنان، ط1، 1418ه، 1998م، ص: 67

[2]- الشريف علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، مكتبة لبنان، رياض الصلح ، بيروت ، د ط ، 1980م، ص: 259- 260

تأليف الكلمات في كلّ لغة يجري عليه ولا تزيغ عنه " [1] ، وعليه فإبراهيم مصطفى يجعل النحو قانوناً للغة ، التي وفقها يتم اختيار الكلمات ذات الدلالة المعجمية لتؤدي وظيفتها الخاصة داخل السياق .

تعددت التعاريف لكلمة " نحو " في اللغة العربية واختلفت وهذا دليل على استقرار هذه الكلمة، حيث كانت المفاهيم متقاربة كثيراً بين علماء العرب في العصور السابقة والعصر الحديث، تغيّرت بعضها لكن المعنى لم يتغيّر وبقي النحو هو انتحاء سمت كلام العرب.

6- المدارس النحوية:

في البداية علينا أن نتفق على مفهوم (المدرسة)، فبنظرنا هي مجموعة من الآراء يتواضع عليها مجموعة من الأشخاص تشكل رؤية ما، لهم طريقة في التفكير مميّزة، فينتهجون منهجاً للوصول إلى هدف ما.

أما المدارس النّحوية فهو مصطلح يشير إلى اتجاهات مختلفة ظهرت في دراسة النّحو العربيّ، وقد اختلفت هذه المدارس النحوية في بعض المسائل النّحوية الفرعيّة، ونسب كلّ اتجاه منها إلى إقليم عربي معين، فكانت هناك مدرسة البصرة و مدرسة الكوفة ، ومدرسة بغداد وغيرها.

أولا : علم النّحو في البصرة :

تعد البصرة أسبق مدن العراق اشتغالاً بالنحو، حيث احتضنت النحو زهاء قرن من الزمان قبل أن تشتغل به الكوفة التي كانت بدورها أسبق من بغداد، فالبصرة هي التي شادت صرح النّحو ورفعت أركانه بينما كانت الكوفة مشغولة بقراءات الذّكر الحكيم ورواية الشعر والأخبار .[2] وقد اعتمد البصريون في مادة منهجهم العلمي على الأفصح من الألفاظ والأسهل منها على اللسان، ولذلك اختاروا من بين القبائل التي اعتمدوا عليها القبائل المقطوع بعراقتها في العربية، والمصونة فطرتهم من رطانة الحضارة الأجنبية، فاختاروا من العرب قيساً وتميماً وأُسداً، فأخذوا أكثر قواعدهم من هؤلاء في اللغة والإعراب والتصريف.[3]

وكان البصريون يتحرّون عن الرواة فلا يأخذون إلا برواية الثّقات الذين سمعوا من الفصحاء عن طريق الحفظة والأثبات الذين بذلوا الجهد في نقل المرويات عن قائليها منسوبة إليهم. فقد أبوا أن يستدلوا بشاهد لم

[1]– حمار سمية، إشكالية تعليم مادة النحو العربي في الجامعة – جامعة بجاية أنموذجا – مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، 2011م، ص: 15

[2] . شوقي ضيف، المدارس النحوية، ج1، ص 17

[3]. إبراهيم عبود السامرائي، المفيد في المدارس النحوية ، ص 29

يعرف قائله. [1] فالبصرة كانت مهد النحو، بها ظهر وعلى أيدي علمائها ذاع وانتشر، وعنهم أخذه أبناء العربية، همهم اكتساب أداة تمكنهم من فهم القرآن الكريم، فأوّل من فكّر في وضع قواعد النحو هم البصريون وهذا بإجماع القدماء والمحدثين.

ومن أهم أعلام هذه المدرسة ابن أبي إسحاق الحضرمي، وعيسى بن عمر الثقفي، وأبو عمر بن العلاء ويونس بن حبيب، وقطرب، وأبو عمر الجرمي، وأبو عثمان المازني، والمبرد، والزجاج، وابن السراج، والسيرافي، والخليل بن أحمد وسيبويه.

1- سيبويه : (ت180)

هو عمر بن عثمان بن قنبر فارسي الأصل، والمولد ، بصري المربى والنشأة، خدم العربية، وأهدى لها كتاباً عُرف ب (الكتاب)، وأطلق عليه (قرآن النحو)، اعتمده النحويون في دراساتهم، ويعد هذا الكتاب مصدر الكثير من الدراسات قديماً وحديثاً.

2- المبرّد: (ت285)

هو أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، أحد كبار أعلام العربية، ولد بالبصرة أوائل القرن الثالث الهجري، ونشأ بها وتلمذ للجرمي وأبي عثمان المازني والزجاج وأبي بكر بن السّراج وغيرهم من شيوخ البصرة، ومن مؤلفاته كتابه المقتضب ، الذي يمثّل به المذهب البصري أحسن تمثيل. وبهؤلاء الأعلام شادت البصرة صرح النحو، ورفعت أركانه، في حين كانت الكوفة مشغولة عن هذا كلّه_ على الأقل حتى منتصف القرن الثاني للهجرة _ بقراءات الذّكر الحكيم ورواية الشعر والأخبار.

ثانيا : علم النّحو في الكوفة :

نشأت هذه المدرسة وتمركزت في الكوفة بالعراق، ومؤسس هذه المدرسة أبو جعفر الرؤاسي الذي أخذ النحو عن عيسى بن عمرو، وعن أبي عمرو بن العلاء، و من أعلام هذه المدرسة أيضاً الكسائي الذي كان شيخ القرّاء في الكوفة، إلى جانب الفرّاء وثعلب.[2]

---

[1]. إبراهيم السامرائي ، المدارس النحوية أسطورة وواقع، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان ، الأردن، ط1،،1987 ، ص17.

[2]. ينظر: إبراهيم عبود السامرائي، المفيد في المدارس النحوية، ص 86.

والكوفيون قد تساهلوا في التّثبت من صحة المسموع وأمانة الرواية، وسلامة قائله، فأخذوا عن حماد الرواية (ت155) وخلف الأحمر (ت 180) وكلاهما متهم في روايته يصنع الشعر وينسبه إلى غيره من الأقحاح؛ أي أن الكوفيين لم يتحروا صحة ما يصل إليهم من مواد .[1] ومن أبرز علماء المدرسة الكوفية:

1. أبو جعفر الرؤاسي (ت 175) :

وهو أبو جعفر محمد بن الحسن الرؤاسي، أخذ النحو عن عيسى بن عمرو وأبي عمرو بن العلاء، وهو أوّل من وضع من الكوفيين كتاباً في النحو سماه (الفيصل) ، كان أستاذاً للكسائي والفراء. [2]

2. الكسائي (ت 189) :

هو علي بن حمزة الكسائي أبو الحسن الأسدي ، أحد الأئمة القرّاء من أهل الكوفة، وهو أشهر نحاة الكوفة ويعتبر بحق مؤسس المذهب الكوفي، تعلم النحو على الكبر، وللكسائي عدة كتب في النحو والقراءات والأدب والنوادر لم يصلنا منها إلا رسالة في لحن العامة.[3]

والنحو الكوفي يبدو أنّه قد بدأ بدءاً حقيقياً بالكسائي (ت189) وتلميذه الفراء. إذ يعد الكسائي أبرز من اهتم بالدرس النحوي، وأدخله إلى الكوفة، وقد كان يتنازع منهجان أحدهما: ما شبّ عليه ونشأ وهو منهج مقيد بالنقل والرواية، وليس للعقل عليه سلطان ،هو منهج القرّاء المبني على السّماع، ومنهج علماء النّحو القائم على القياس، ووضع الأحكام والأصول التي تحكمها وتقيّدها، ولهذا فقد اتخذ له منهجاً وسطاً بين المنهجين.[4]

وعليه فقد كان الكوفيون يحاولون النفوذ إلى آراء جديدة يخالفون بها ما اصطلح عليه البصريون، حتى يفترق نحوهم على الأقل بعض الاقتران من نحو البصرة . وبذلك كلّه استطاعوا أن يكوّنوا كياناً مستقلاً، ومنزلة لا ترقى حقاً إلى منزلة المدرسة البصرية، ولكنها على كل حال مدرسة بيّنة المعالم واضحة القسمات والملامح.[5]

---

[1]. إبراهيم عبود السامرائي، المرجع السابق، ص 31

[2]. إبراهيم عبود السامرائي ،المرجع نفسه، ص 87

[3]. عبد العزيز عتيق ، المدخل إلى علم النحو والصرف، ص 148

[4]. ينظر: خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ص118

[5]. ينظر: شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص 171

ثالثا: علم النّحو في بغداد :

في القرن الرابع الهجري نحاة كان لهم ميلٌ شديدٌ نحو الأخذ بآراء البصريين تارة وآراء الكوفيين تارة أخرى، ونتيجة لذلك أنشؤا لهم مذهباً كان أساسه المستحسن من المذهبين، وقد نشط المذهب البغدادي فترة من الزمن، وظلّت بغداد مركزاً للثقافة العربية [1].

وكذلك نرى بأن المدرسة البغدادية اتجهت اتجاهين: اتجاها مبكراً عند ابن كَيْسان وابن شُقَيْر وابن الخيّاط نزع فيه أصحابه إلى آراء المدرسة الكوفية وأكثروا من الاحتجاج لها ، مع فتح الأبواب لكثيرٍ من آراء المدرسة البصرية، وأيضاً مع فتح باب الاجتهاد لبعض الآراء الجديدة، واتجاهاً مقابلاً عند الزّجاجي ثمّ عند أبي علي الفارسي وابن جني، نزع فيه أصحابه إلى آراء المدرسة البصرية وهو الاتجاه الذي ساد فيما بعد لا في مدرسة بغداد وحدها، بل في جميع البيئات التي عنيت بدراسة النّحو[2].

ومن أشهر علماء المدرسة البغدادية :

1) الزجاجي (ت339ه):

هو أبو القاسم عبد الرحمان بن إسحاق الزجاجي، من أهل الصَّيْمرة الواقعة بين ديار الجبل وديار خوزستان، وانتقل إلى بغداد ينهل من حلقات العلماء. ولزم الزّجاج البصري وقرأ عليه النّحو، ومنه لزمه لقبه الزّجاجي ، وقد خلّف مصنفات منها: كتاب الإيضاح في علل النّحو، وكتاب الجمل وهو مختصر في قواعد النّحو.[3]

2) أبو علي الفارسي (ت 377ه):

هو الحسن أبو أحمد بن عبد الغفار الفارسي النّحوي، كان من أكابر أئمة النّحويين، ولد بفارس، علت مترلته في النّحو حتى فضله بعضهم على المبرّد، وقد أخذ عن الزجاج وابن السراج وبرع من تلاميذه عددٌ كبيرٌ كابن جني والربعي، وكان متهماً بالاعتزال. ومن كتبه : الإيضاح في النحو.[4]

---

[1]. عبد العزيز عتيق ، المدخل إلى علم النحو والصرف، ص155 156

[2]. شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص 248

[3]. شوقي ضيف ،المرجع نفسه ، ص 252

[4]. عبد العزيز عتيق، المدخل إلى العلم النحو والصرف، ص157 158

رابعا :علم النحو في مصر والشام:

عقب الفتح الإسلامي لمصر مباشرة بدأت رحلة العلوم الدينية وعلى رأسها الدراسات القرآنية والقراءات، حيث كان مؤسسها الأول الصحابي الجليل عبد الله بن عمرو بن العاص (ت65ه)، واقترنت بها الدراسات اللغوية النحوية.[1] وقد كان النّحو البصري أوّل نحو يدخل البيئة المصرية نتيجة رحلة النّحاة البصريين إليها أولاً، فكان كتاب سيبويه أوّل كتاب يعتني به المصريون ويليه النحو الكوفي، فأخذت تمزج منذ القرن الرابع الهجري بين آراء البصريين والكوفيين مع بعض آراء البغداديين ، وقد حظيت مصر بعدد من النحاة لم يحظ بلد عربي بمثله لا في القديم ولا في الحديث، وظلّ النّحو يدرّس وتُؤلف فيه المتون والشّروح، والتّعليقات والحواشي، والمختصرات، وفي شواهده وشروحها، وإعرابها حتى إنّنا لن نكون مبالغين إذا ما قلنا إن ما ألّف فيه من هذه الكتب في مصر وحدها منذ نشأته حتى يومنا هذا ما يزيد على ما ألّف في جميع البلدان العربية الأخرى في المدة نفسها.[2] ومن أبرز نحاة هذه المدرسة نذكر:

1. ولاد بن محمد التميمي :

أوّل نحوي حمل بمصر راية النحو بمعناه الدقيق ولّاد بن محمد التميمي البصري الأصل رحل إلى العراق، فلقي الخليل بن أحمد، وأخذ عنه ولازمه، وسمع منه الكثير، وعاد إلى مصر، ومعه كتبه التي استفادها في العربية من إملاءات الخليل .[3] و بفضله شاعت دراسة النحو وعلى يده ظهرت أوّل مدرسة نحوية مصرية.

2. ابن هشام:

هو جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري المصرين ولد بالقاهرة سنة 708ه ، وقد طارت شهرته في العربية منذ حياته ، فأقبل عليه الطلاب من كل فجٍ يفيدون من علمه ومباحثه النّحوية الدقيقة واستنباطاته الرائعة. وقد تحول يتعمق مذاهب النّحاة، وتمثلها تمثلاً غريباً ونادراً، وهي مبثوثة في مصنفاته مع مناقشتها وبيان الضعيف منها والسديد[4] . ومنها: الألغاز و مغني اللبيب عن كتب الأعاريب.

---

[1]. أسامة خالد محمد حمّاد، الخلاصة البهية في المدارس النحوية، ص 169.

[2]. خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ص 272

[3]. شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص 327 328

[4]. شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص 346

ومما لا شكّ فيه أن الدّراسات النّحوية ظلّت بعده ناشطة في مصر، إذ يتزايد فيها الأعلام وأصحاب المصنفات النحوية المتنوعة، ويستمر هذا النشاط في العصر الحديث. وكذلك الشأن بالنسبة **للمدرسة الشامية:**

كانت الحركة النحوية في إقليم الشام صورة للحركة النّحوية في مصر، ذلك لأنّ الحدود بين مصر والشام كانت متصلة، والرحلة بين البلدين وميسرة، والعلماء ينتقلون بينهما من دون حواجز أو قيود . [1] إذ يعتبر معظم النحاة الذين نشطوا فيها ممن رحلوا عن بلدانهم وتنقلوا في البلاد الأخرى المجاورة. ففي الدولة الحمدانية كان سيف الدولة مركزاً لحلبة ثقافية وحافزاً ومنشطاً للعلماء والأدباء.

ولعلّ أكبر حركة أدبية ولغوية ونحوية ظهرت في الشّام تلك التي قامت على يد سيف الدولة الحمداني بحلب حيث شجّع العلماء والمثقفين ولا سيما الأدباء والشعراء ونال تشجيعه اللغويون والنّحاة أيضاً.[2]ومن أشهر نحاة في الشام :

1. ابن يعيش (ت 643) :

هو موفّق الدين يعيش بن علي بن يعيش الحلبي النحوي، ولد بحلب سنة 553ه، وكان من كبار أئمة العربية في النّحو والتصريف، قدم دمشق وجالس زيد بن الحسن الكندي النحويّ، وتصدر بحلب للأقراء زماناً. وله شرح قيّم على كتاب (المفصل) في النّحو للزّمخشري. [3]

2. ابن عقيل (ت 769ه):

هو أبو محمد بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمان بن عبد الله بن محمد بن بهاء الدين الحلبي البالسيّ الأصل، نزيل القاهرة. ولد سنة 700 ه كان إماماً في العربية والمعاني والبيان، شرح الألفية والتّسهيل وهما معروفان وقطعة من التفسير وكان شرع في كتاب مطوّل سمّاه تيسير الاستعداد لرتبة الاجتهاد.[4]

[1]. إبراهيم عبود السامرائي، المفيد في المدارس النحوية، ص 185

[2]. خديجة الحديثي، المدارس النحوية،، ص327 328

[3]. عبد العزيز عتيق، المدخل إلى علم النحو والصرف، ص174

[4]. أسامة خالد محمد حمّاد، الخلاصة البهية في المدارس النحوية، ص191 192

خامسا :علم النحو في الأندلس والمغرب:

نشأت المدرسة الأندلسية في عصر بني أميّة (138 /422ه) عندما أحس المؤدبون الذين كانوا يعلمون الشّباب في قرطبة وغيرها من الحواضر الأندلسية مبادئ العربية، أنّهم بحاجة إلى النحو، كي يساعدهم في فهم القرآن والحفاظ عليه، فرحل فريق منهم إلى المشرق وتتلمذوا على علماء البصرة والكوفة ثمّ عادوا إلى موطنهم بعد أن نهلوا من علم علماء المشرق.[1]

و كانت الرحلات العلمية بين المشرق والمغرب نشيطةً ؛ لذلك ازدهرت الحركة العلمية في الأندلس في كنف الأمويين وملوك الطوائف وكانت دور العلم حافلة عامرة. ثمّ امتد هذا النشاط العلمي إلى بلاد المغرب، فظهر فيها علماء أجلاء ضارعوا علماء المشرق، وعنوا أكثر ما عنوا بالعلوم الشّرعية وبالعلوم اللغوية وبالنّحو والقراءات.[2]

1. جودي:

هو أوّل نحاة الأندلس بالمعنى الدقيق لكلمة نحوي ؛ جودى بن عثمان المورووري الذي رحل إلى المشرق وتتلمذ للكسائي والفرّاء، وهو أوّل من أدخل إلى موطنه كتب الكوفيين، وأوّل من صنف به في النّحو، وما زال يدرّسه لطلابه حتى توفيّ سنة 198ه .[3]

2. ابن سيّدة الضرير (ت 458ه):

هو علي إسماعيل أبو الحسن المعروف بابن سيّدة . لم يكن في زمانه أعلم منه بالنحو واللغة والأشعار وأيام العرب وما يتعلّق بها، وله أكبر معجم مؤلف حسب المعاني، وقد صبغ مباحثه فيه بصبغة نحوية و صرفية واسعة.[4]ومن مصنفاته المحكم والمحيط الأعظم وكتاب المخصّص.[5]

3. حمدون:

[1]. إبراهيم عبود السامرائي، المفيد في المدارس النحوية، ص163

[2]. عبد العزيز عتيق، المدخل إلى علم النحو والصرف، ص 163

[3]. شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص289

[4]. شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص 292

[5]. إبراهيم عبود السامرائي، المدارس النحوية، ص167

هو النّحوي المغربي محمد بن إسماعيل، نشأ بالقيروان، وتلقى عن المهري، ثمّ بلغ الغاية في النّحو والغريب، وهو أوّل من عرف بحفظ "كتاب سيبويه"، و طبعي أن الكتاب كان في المغرب، ولا يعرف على التعيين أوّل من جلبه، ولحمدون كتب في النحو، و توفيّ بعد سنة 200ه .[1]

4. ابن معط :

هو يحيى بن عبد النور أبو الحسين زين الدين الزواوي، كان إماماً مبرزاً في العربية وشاعراً محسناً. قرأ على الجُزْولي ودرّس النحو بدمشق مدة، و من مصنفاته ؛ الألفية في النحو، وهي التي أشار إليها ابن مالك في ألفيته بقوله : "فائقة ألفية ابن معط " . توفيّ سنة 628 ه ودفن بالقرب من ضريح الإمام الشافعي بالقاهرة .[2]

7- المصادر التي اعتمد عليها النّحاة:

اعتمد النحاة على المصادر في دراساتهم الأوليّة للنّحو العربي فاستمدوا منها قواعدهم الكلية، وجعلوها حجة وبرهاناً لما يتوصلون إليه من أحكام عامة، فأخذت في نفوسهم منزلة عاليةً و مكانة بارزةً، وهي عبارة عن ثلاثة مصادر أساسية: السماع ، القياس، الإجماع[3].

1- السماع :

هو الأصل الأول من أصول النحو، وهو المقدم فيها، فبعض اللغة لا يؤخذ إلا به، وهو على درجة كبيرة من الأهمية إذ يمثل الأساس الذي اعتمد عليه النحاة الأوائل في الاستدلال والاحتجاج ووضع قواعد النّحو العربي وقد عرّفه السيوطي بقوله: " ما يثبت في كلام من يوثق بفصاحته، فشمل كلام الله تعالى، وهو القرآن، وكلام نبيّه ﷺ ، وكلام العرب قبل بعثته ، وفي زمنه وبعده إلى أن فسدت الألسنة بكثرة المولدين نظماً ونثراً ..." [4]

وعلى ذلك فإنّ السماع يمثل الكلام المنقول عن الفصحاء الذين يوثق بفصاحتهم، وفي الترتيب فلا شك أنّ كلام الله تعالى هو المقدم، لفصاحته وبلاغته، ثمّ يأتي بعده كلام النبيّ ﷺ ، ثمّ كلام العرب الفصحاء الذين لم يجانس كلامهم الأعاجم. وقد اعتمد النحاة على السماع في تقعيد قواعدهم ، فاستشهدوا بالقرآن الكريم

[1]. الشيخ محمد الطنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، دار المعرف، القاهرة، 1997م ، ط2، ص 226

[2]. عبد العزيز عتيق، المدخل إلى علم النحو والصرف، ص 168 169

[3]. ينظر : علي مزهر محمد الياسري، الفكر النحوي عند العرب أصوله ومناهجه، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط1 ، 2003م ، ص 176

[4]. السيوطي، الاقتراح في علم أصول النحو، تح: محمود سليمان ياقوت ، دار المعرفة الجامعية، ط3 ، 2006م، ص36.

واستشهد بعضهم الحديث النبوي الشريف ورواياته، و أقاموا الحجة بكلام العرب شعره ونثره وجعلوا القرآن أوّل مصادر السماع، وأجمعوا على أنّه مصدر رئيسي من مصادر الاحتجاج، فهو أوثق نص يمكن الاعتماد عليه[1].

فهو يعدّ أصح الكلام وأبلغه، وبالعودة إلى المصنفات النحوية قديمها وحديثها نجد الآيات القرآنية موضع كثير من المسائل النحوية والتوجيهات الإعرابية ممّا يدلّ دلالة بيّنة على إدراك النحاة قيمة هذا الكتاب ومنزلته ولعلّ أقوى مثال على هذا " الكتاب " لسيبويه الذي حفل بالاستشهاد بعدد عظيم من الآيات القرآنية على قضايا نحوية و كذا لغوية ، فبلغت شواهده على ما يقارب الأربعمائة، ثمّ اتبع النحاة من بعده هذه السّنة الحسنة إلى غاية يومنا هذا [2].

أما المصدر الثاني من مصادر السماع فهو الحديث النّبوي الشّريف ويقصد به كلام الرسول ﷺ دون سواه، فهو أفصح الكلام وأرقاه مرتبة في البلاغة وأغزره مادة، ومع علم النّحاة وإقرارهم بفصاحته ﷺ إلا أن بعضاً منهم لم يكن مكثراً من الاحتجاج به خوفاً أن تكون الأحاديث مروية بالمعنى ، أو يكون اللّحن قد تطرّق إليها لأنّ الكثير من الرواة كانوا من الأعاجم[3].

ويعدّ المصدر الثالث من مصادر السماع هو كلام العرب، وقد احتج النحاة بما ثبت عن الفصحاء الموثوق بعربيتهم شعراً و نثراً، ووضعوا ضوابط للأخذ بالمادة اللغوية وعيّنوا قبائل للأخذ منها، كما حدّدوا زمناً معيّناً للاحتجاج، فقد حرص علماء النّحو وخاصة علماء البعثرة على انتقاء الأساليب الفصيحة والشّواهد الصّحيحة، فنجد الخليل بن أحمد مثلاً ، قد تجوّل في بوادي الحجاز ، وأخذ اللغة ، وكان تلميذه سيبويه يعتمد على القبائل الموثوق بكلامها كأهل الحجاز وبني تميم ، أما نحاة الكوفة فقد توسّعوا في السماع وقبلوا جميع ما روي من الشّعر، وما أثر من كلام العرب، وسمعوا من جميع القبائل [4].

إذن فلقد كان الطريق طويلاً ومتعباً أمام النحاة الأوائل، إذ أنّ تقعيد القواعد بناء على المصادر السماعية الثلاثية، وخاصة المصدر الأخير، كان يقتضي منهم معرفة العرب الذين يحاكونهم، ومعرفة اللغة التي يقاس عليها، كل هذا كان على النحاة ملاحظته عند تدوين اللغة وتسجيلها، لذلك لم يكن الطريق أمامهم ممهداً، و إنما كان شاقاً و محفوفاً بالمتاعب، فهذه أهم المصادر التي أخذ عنها علماء اللغة وهي؛ القرآن الكريم ،

[1]. ينظر : رمضان عبد التّوابن فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة ،1999م، ط6، ص 97.

[2]. ينظر : علي مزهر محمد الياسري، الفكر النّحوي، عند العرب، ص 177.

[3]. ينظر: رمضان عبد التّواب، فصول في فقه العربية، ص 98.

[4]. ينظر :علي مزهر محمد الياسري ، الفكر النحوي عند العرب، ص 178 .

الحديث النبوي الشّريف، وكلام العرب [1]، ومن هنا نذهب إلى المصدر الثاني من المصادر الأساسية لدى النحاة

2- **القياس :**

ظهر القياس عند نحاة البصرة أولا، وقد وجدوا طريقه ممهداً قبلهم، لأنّه سُلِكَ من قبل الفقهاء قبلهم، فساروا فيه يحذون حذوهم وصرح ابن جني بتأثر النحويين بالفقهاء ، فقال :

" ينتزع أصحابنا منها العلل ، لأنّهم يدونها منثورة في أثناء كلامه ، فيجمع بعضها إلى بعض بالملاطفة والرفق " [2] قد اهتم بالقياس من أوائل نحاة البصرة كأبي الأسود الدؤلي الذي أسس العربية وفتح بابها، وأنهج سبيلها، ووضع قياسها[3] .

" و عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي الذي كان أوّل من بعج النحو ومدّ القياس والعلل ، وكان معه أبو عمرو بن العلاء ... وكان ابن أبي إسحاق أشد تجريداً للقياس وكان أبو عمرو أوسع علماً بكلام العرب ولغاتها وغريبها " [4] . ومن نحاة البصرة كذلك يونس بن حبيب الذي كان له قياس في النحو .

ومن مشاهير نحاة البصرة أيضاً الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي كان الغاية في تصحيح القياس واستخراج مسائل النحو وتلميذه سيبويه الذي ضمّ كتابه الكثير من مسائل القياس، أمّا نحاة الكوفة فقد كان لهم اهتمام بالقياس أيضاً، ولكنّهم توسعوا في المسموع عن العرب وأدّى هذا إلى توسعهم في القياس، فهذا إمامهم الكسائي يقول:

إِنّما النّحْوُ قِياسٌ يُتّبَعْ وبِه في كُلِّ أَمْرٍ يُنْتَفَعْ

فالكسائي كان متوسعاً في القياس، إلى جانب هشام بن معاوية الضّرير وهو من أصحاب الكسائي وصنف كتاب القياس، وبعد الفرّاء كان من أبرع نحاة الكوفة في القياس، بحيث كانت لديه فكرة كبيرة على التفكير والاستنتاج والتحليل والقياس [5] .

فقد أضحى القياس أصلاً من الأصول النحوية التي يعتمد عليها النحاة بعد الأجيال الأولى من نحاة البصرة والكوفة، ولكن مع مرور الزمن نضج واكتمل صرحه وأصبح مستقلاً بذاته خاصة في القرن الرابع هجري

---

[1]. ينظر: علي مزهر محمد الياسري، المرجع السابق ، ص 179.

[2]. ابن جني ، الخصائص، ص 163

[3]. الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين ، ص 21.

[4]. الزبيدي، المرجع نفسه ، ص 30.

[5]. ينظر : صالح بلعيد ، في أصول النحو، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر ، ط2، 2008م، ص 46 47

في عهد أبو علي الفارسي وابن جني، إذن فقد تمكن القياس من احتلال مترلة عالية في فكر النحاة، وكما قال عنه ابن الأنباري بقوله: " أعلم أن إنكار القياس في النحو لا يتحقق لأن النحو كلّه قياس، فمن أنكر القياس فقد أنكر النحو". ولا نجد أحد من النحاة أنكره لثبوته بالدلائل القاطعة والبراهين الساطعة. إذا فالقياس يمثّل الوجه الآخر لأصول النحو العربي ولا يمكن الاستغناء عنه [1] .

3- **الإجماع :**

وبعد هذا الأصل ثمرة واضحة لتأثير أصول النحو بأصول الفقه مثلما كان الحال في القياس والإجماع عند النحاة، يعني إجماع أهل العربية على أن هذا الحكم كذا ، كإجماعهم على أن تقدير الحركات في (المقصور) التعذر، وفي (المنقوص) الاشتغال [2] . ويعتبر ابن جني من أوائل القدماء الذين انتبهوا إلى هذا الأصل فيقول: " أعلم أن إجماع أهل البلدين إنّما يكون حجة إذا أعطاك خصمك يده ألا يخالف المنصوص والمقيس على المنصوص، فأما إن لم يعط يده بذلك فلا يكون إجماعهم حجة عليه .. وهذا علم منتزع من استقراء هذه اللغة " [3] .

ونخلص من قول ابن جني أن الإجماع قام أساساً على اتفاق الحكم بين ما ورد فيه نص وما لم يرد فيه، ولذلك اشترط أن يكون المجمع عليه موافقاً للمنقول وما قيس وهذا بالإضافة إلى إشارته القيمة إلى أن الاجتماع مأخوذ من اللغة واستقرائها وليس خارجاً عنها. وللإجماع أنواع عُرفت عند الأصوليين وهي : الإجماع السكوتي والإجماع الصريح وقد تأثر النحاة بهذين القسمين في استنباطهم قواعد نحوية جديدة ، كما أضافوا أنواعاً تختص بها اللغة تتمثّل في :

- إجماع الرواة : ويكون باتفاقهم على رواية معيّنة لشاهد من الشّواهد والعلاقة هنا علاقة إسناد في قول عدي بن يزيد العبادي : [4]

اسْمَعْ حديثاً كَمَا يوماً تُحَدِّثُهُ عَن ظَهْر غَيب إذَا مَا سائلٌ سَأَلَا

إن ذكر الكوفيين أن (كما) تكون بمعنى (كيما) وأن الفعل ينصب بها فرده ابن الأنباري بأن الرواة مجمعون على أن الرواية " كما يوماً تحدثه " بالرفع ولم يرو بالنصب إلا المفضل الضّبيّ ، وإجماع الرواة مخالف وهم أقوم منه بعلم العربية [5] .

---

[1]. ينظر : ابن الأنباري، أسرار العربية، تح: صالح قدارة ، دار الجيل، بيروت، ط1، 1995م ، ص 183.

[2]. السيوطي، الاقتراح في علم أصول النحو، ص 21.

[3]. ابن جني ، الخصائص، ج1 ، ص 189

[4]. نادية رمضان، قضايا في الدرس اللغوي، تح : طاهر سليمان حمودة ، الناشر مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ط3، 2001م، ص 48

[5]. ابن الأنباري ، الإنصاف في مسائل الخلاف ، تح: محمد محي الدين، المكتبة العصرية، بيروت، دط، 1997م ، ج2، ص 592.

- إجماع العرب: ويعني به العرب الحذاق بالعربية من غير النّحاة والرواة فقد جعله السيوطي أصلاً يحتج به إن أمكن الوقوف عليه ومن صورة أن يتكلم العربي بشيء ويبلغهم فسيكون عنه ، وهذا ليس بعيداً أسماه الأصوليون لغة جميع العرب [1] .
- إجماع النحاة : والمقصود به إجماع مدرستي البصرة والكوفة على حكم نحوي ما لا يجوز مخالفته ومن ذلك إجماعهم على أن الهمزة في كلمة (اسم) همزة تعويض، وكذلك إجماعهم على أن الإعراب يكون بالحركات في الأسماء الستة في حالة الإفراد فيقولون (هذا أبٌ ، رأيت أباً ، مررت بأبٍ) [2].

خصائص الإجماع النحوي :

الحكم في الإجماع النحوي يكون معقداً لإجماع عندهم، لابد للإجماع أن يكون موافقاً للمنقول وما قيس عليه ، فالإجماع النحوي منتزع من اللغة فهو ثمرة استقرائها ومخالفته غير مستحبة ، والإجماع النّحوي غير محدد بزمنٍ ولا يؤخذ إلا عمّن تصحّ لغته [3] .

إذن نستنتج بأنّ أهم المصادر التي اعتمد عليها النحاة في دراساتهم الأوليّة للنحو والتي أخذوا منها قواعدهم الكليّة، وجعلوها حجة وبرهان يستدلّ بها ثلاث مصادر أساسيّة وهي السّماع والقياس والإجماع.

8- القاعدة:

كان العرب قديماً يتكلمون اللغة العربية على سجيتهم بفطرة وفصاحة اللسان دون الاضطرار إلى قواعد تحكم لغتهم، فخلّفوا وراءهم إرثاً عظيماً بنظمهم الشعر الجاهلي بأبلغ المفردات وأجمل الأساليب، و لم يشرع العرب بوضع القواعد النّحوية إلّا خوفاً عليها، وذلك بسبب ظهور اللّحن في القرآن الكريم .

أخذت القواعد النّحوية مكانةً بارزةً في ضبط قانون تأليف الكلام ، ف " ابن خلدون " يعدّ النّحو أهم علوم اللّسان العربي، ويقول بأنّ : " أركان علوم اللسان أربعة هي : اللغة والنحو والبيان والأدب، وإنّ الأهم المتقدم منها هو النّحو إذ به تتبيّن أصول المقاصد بالدلالة فيعرف الفاعل من المفعول، والمبتدأ من الخبر ولولاه لجهل أصل الإفادة " [4]

[1]. السيوطي، الاقتراح في علم أصول النحو، ص36.

[2]. ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، ص 392

[3]. نادية رمضان ، قضايا في الدرس اللغوي، ص48.

[4]. عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، دار القلم للنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1978م ، ص 545

يوضح لنا ابن خلدون من خلال تعريفه على أن علوم اللّسان أربعة قام بذكرها وجعل في مقدمة هذه العلوم النّحو وقواعده ، وهذا بحسب مكانتها وأهميتها في سلامة التعبير وصحة الكتابة ومعرفة الفاعل من المفعول والمبتدأ من الخبر ولولاه لضاع أصل الفائدة.

أ. القاعدة لغةً

القواعد جمع قاعدة، وهي في اللغة: الأساس، فقاعدة كل شيء هي أساسه، ومن ذلك قواعد البيت؛ أي: أسسه، وهي في الأمور الحسية إلا أنها استعملت في الأمور المعنوية، ومن ذلك قواعد العلوم. والقاعدة: ما يقعد عليه الشيء؛ أي: يستقر ويثبت[1]

ب. القاعدة اصطلاحًا:

بمعنى الضابط، وهي الأمر الكلي المنطبق على جميع جزئياته. والقاعدة النحوية قاعدة كلية؛ كالفاعل مرفوع، والمفعول منصوب...إلخ، والقاعدة الكلية يكون معناها حكمًا كليًا ينطبق على جزئيات كثيرة[2]، أو القاعدة: هي قضية كلية منطبقة على جميع جزئياتها [3]، والذي يظهر أن القاعدة أكثرية لا كلية.

والقاعدة: تعبير عن شيء لاحظه الباحث، وكان عليه أن يصفه بعبارة مختصرة بقدر الإمكان، ويرى السيوطي أن القاعدة تجمع فروعًا من أبواب شتى [4] ، وهي " وصف لسلوك معين في تركيب اللغة " [5] . وقواعد النّحو العربي " قانون لغوي، وهذا القانون اللغوي دستور عربي عام، وهو نتاج جماعي مشترك بين القادرين على الاستقراء والاستنتاج، ثم التقنين والتقعيد، فالأصل في كل علم أن يكون جمعًا لجهود متقاربة مجتمعة على أصل واحدٍ وهدف واحدٍ بعينه، فإذا كانت البصرة سباقةً إلى تقنين العربية فإنّ للكوفة فضل الإكمال والإتمام في كثير من الأحكام" [6] .

وتعرف أيضاً بأنّها: " علم تراكيب اللغة والتعبير بها والغاية منها صحة التعبير وسلامته من الخطأ واللّحن، فهو قواعد صيغ الكلمات وأحوالها حين إفرادها وحين تركيبها " [7]

---

[1] – الجوهري، الصحاح ، تحقيق: أحمد عبد الغفور، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1990م (2/ 525)، ومعجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، 1399ه/ 1979م (5/ 108) (قعد) .

[2] – الفيومي، المصباح المنير ، مكتبة لبنان، بيروت، دط ، 1987م ، ص263.

[3] – علي بن محمد بن علي الجرجاني، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1405ه ، ص: 219

[4] – جلال الدين السيوطي، الأشباه والنظائر ، ط حيدر أباد، 1316ه (1/ 6).

[5] – محمود شرف الدين، التقعيد النحوي بين السماع والقياس ، رسالة دكتوراه بدار العلوم القاهرة، 1968م ،ص19.

[6] – فوزي مسعود، سيبويه جامع النحو ، ص25.

[7]. أحمد عبد السّتار الجواري، نحو التيسير، مطبعة سليمان الأعظمي للنشر، بغداد، د ط ، 1962م، ص2.

ويعرفها محمد إسماعيل ظافر بأنّها: " فن تصحيح كلام العرب كتابة وقراءة، وهي تعنى بالإعراب وقواعد تركيب الجملة، اسمية كانت أم فعليّة ذلك دراسة العلاقات في الجملة وعلاقتها بما قبلها وما بعدها، كأنّها تعني مجموعة القواعد التي تنظّم هندسة الجملة أو مواقع الكلمات فيها ووظائفها من ناحية المعنى وما يرتبط بذلك من أوضاع إعرابية تسمّى علم النّحو، أمّا مجموعة القواعد التّي تتّصل ببنية الكلمة وصياغتها ووزنها والنّاحية الصّوتية تسمّى علم الصرف " [1]

هذا التعريف جاء عاماً ومحيطاً لمفهوم القواعد النحوية؛ فهي تصحيح الكلام كتابة وقراءة، فتبيّن لنا قواعد تركيب الجملة من ناحية أنّها اسمية أو فعليّة مثبتة أو منفية وغيرها، فدورها تنسيق هندسة الجملة بمعنى؛ تجعلها منظمة ومنضبطة بعلاماتها الإعرابية من نصبٍ وضمٍ وجرٍ وجزمٍ، وتوضح لنا العلاقات كالعلاقة الإسنادية والعلاقة الإضافية، فهذا التعريف بيّن لنا أنّ هاته القواعد النّحوية تقوم بكلّ ما يخصّ الجمل بصفةٍ عامة والكلمات بصفةٍ خاصة. و نصل من خلال هذه المفاهيم إلى أن القواعد النّحوية هي التي تحدّد لنا الخطأ واللّحن في التعبير، و تحافظ على هيكل الجملة وتراكيبها.

وقد بدأت أولى خطوات وضع القواعد النّحوية بمرحلة جمع اللغة اعتمد فيها العلماء على السماع شفاهةً من أفواه العرب أنفسهم، فقد حدد اللغويون العرب إطارًا مكانيًا يقبلون منه اللغة، فخصوا أماكن وقبائل بعينها لتوغلها في العروبة والفصاحة وتمكّنها؛ كقبائل وسط الجزيرة العربية، وابتعدوا عن اعتماد ما جاء على لسان القبائل الواقعة في أطراف الجزيرة والمتاخمة للفرس أو الروم...إلخ، وحددوا إطارًا زمانيًا ينتهي بنهاية القرن الثاني الهجري للقبائل التي في أطراف الجزيرة العربية، وحتى نهاية القرن الرابع بالنسبة للقبائل الواقعة في وسط الجزيرة العربية [2] .

ثم جاءت بعد ذلك مرحلة فحص وتمحيص المجموع اللغوي، وبدأت خطوات مرحلة وضع القواعد النّحوية، فمن المؤكد أن وضع القواعد قد "بدأ متأخرًا عن جمع اللغة؛ لأنه لا يمكن القيام به من دون مادة توضع تحت تصرف النّحوي، وذلك لأن تقعيد القواعد ما هو إلا فحص لمادة لغوية تم جمعها بالفعل ومحاولة تصنيفها واستنباط الأسس والنظريات التي تحكمها"[3] ، وبعد أن استقرأ النّحاة العرب ما ورد لهم من نصوص

[1]. محمد إسماعيل ظافر وآخرون، التدريس في اللغة العربية، دار المريخ للنشر والتوزيع، الرّياض، د ط، 1984م ، ص 281.

[2] – نقل السيوطي عن أبي نصر الفارابي أسماء هذه القبائل ومبررات اختيارها دون غيرها. ينظر: ، السيوطي، الاقتراح في أصول النحو، دار المعارف النظامية، حيدر أباد، الطبعة الأولى ،ص27-28.

[3] – أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب ، ص79.

اللغة اتخذوا مما كثر شيوعه وزادت نسبة وروده مقياسًا يؤسسون عليه القاعدة، ويستنبطون منه الصحيح المقبول [1] .

ويؤكد كثير من العلماء أن علم النّحو العربي " نشأ في العراق في صدر الإسلام لأسبابه نشأةً عربيةً على مقتضى الفطرة، ثم تدرج في النمو والتطور تمشيًا مع سنة الترقي حتى اكتملت أبوابه، غير مقتبس من لغة أخرى لا في نشأته ولا في تدرجه " [2] ، كما يؤكد بعضهم أن علم النحو " قد استكمل أسبابه، وأن أسسه قد رسخت، وقواعده قد وضعت، وأهله قد ضربوا في مناكبه، فوصلوا فيه إلى الغاية منه، وقد أفسحوا المجال لمن أتى بعدهم أن ينظم مسائله، ويحدد من شيوعه ويضيف إليه ما يرى أنه جدير بأن يضم إليه، ويدلي برأيه فيما وصل إليه سابقوه، وبالجملة يعمل فكره فيه؛ فهمًا وهضمًا وتوضيحًا وتفريعًا وتنقيحًا" [3]

ومما لا شك فيه أن كل جماعة لغوية لديها رغبة في وجود قاعدة، وإلى جانب هذه الرغبة الجارفة في وجود سلطة مختصة يتخذها أعضاء الجماعة اللغوية قبلتهم وحكمهم في كل ما يعرض لهم من مشكلات لغوية، توجد رغبة اجتماعية أخرى، وهذه هي رغبة السّواد الأعظم في وجود قواعد لغوية محددة مختصرة.

ويندرج تحت هذا العنوان الضخم " القاعدة النّحويّة " مجموعة من العناوين الفرعية ؛ ومنها :

سمات القاعدة النّحوية:

اللغة أداة لإدراك المعاني والتواصل بين النّاس، والغاية منها هي إيضاح ما في العقول و تعبير لما في القلوب هدفها تبليغ المقاصد والأغراض والحاجات، " فإذا انتظمت اللغة قوانين منضبطة استطاع المتكلمون بها أداء معانٍ واضحة مستبانة من إشكال أو إخلال بمرادهم، وبناءً على ما للقواعد النحوية الكلية من أهمية بالغة؛ من حيث إنّها قانون ينير للمتكلمين سبل الأداء وأساليب الخطاب، ويبصرهم بمعالم الفصاحة وحسن البيان، ولقد بذل النحويون ما يستطيعون لإنجاز هذه القواعد على نحو من الدّقة والانضباط؛ ليتكلّم المتكلّم بلغة نقية من التعمية؛ خالية من الغموض" [4]. ولقد شغلنا – ومن قبلنا – مسألة عدم انطباق القاعدة على كثير من المسموع الصحيح، قرآناً أو شعراً أو نثراً؛ إذ يتجاوز المسموع القاعدة ويتمرّد عليها، فوصم النحاة بعدم استقراء كلّ المسموع، ومن ثمّ وضع القواعد بناءً على ذلك، وقال بهذا بعض النحاة واللغويين المتأخرين.

---

[1] – تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1958م ،ص35.

[2] – محمد الطنطاوي، نشأة النحو، ص10.

[3] – عبد الرحمن السيد، مدرسة البصرة النحوية، رسالة ماجستير، دار العلوم القاهرة، 1989م ،ص63.

[4]. أ .د. عبد الله أحمد جاد الكريم حسن، سمات القاعدة النّحوية، 1436/07/22ه 05/11/ 2015م.

يقول الدكتور صبحي الصالح: " ولما أصابت العربية حظاً من التّطور أضحى الإعراب أقوى عناصرها، وأبرز خصائصها، بل سرّ جمالها، وأمست قوانينه وضوابطه هي العاصمة من الزلل، المعوضة عن السليقة "[1].

ويؤكّد الدّكتور تمام حسّان – رحمه الله – " أنّ علم النّحو وقواعده من العلوم المضبوطة، وأنّه سمّي صناعة إلا لذلك؛ فهو من العلوم التي تحصل بالتّمرّن "[2]، أي بالدربة والتّعلم ، فالنّحو فنّ يبرع ويمهر فيه متخصّصوه مع إتقان وإحكام قواعده حتى يصير علما له وزنه بين العلوم فيكون وسيلة للتّبليغ وأداة لحفظ اللغة من اللّحن.

ومهما وصلت القواعد النّحوية لمكانة وارتقت لمترلة اتجاه الإلمام بكلّ جوانب اللغة العربية، تظلّ صنع أيدي البشر، ولا تخلو من النقص، وفي ذات الوقت يمكن إصلاحها وكذا تطويرها .

شروط القواعد النحوية :

القواعد النحوية هي محصّلة نهائية لمراحل الاستقراء، فهي قانون يسعى النّحاة إلى اكتشافه، وهي تقنّن الصّفات المشتركة بين أقسام المادة اللغويّة، وتحدد العلاقات بينها. وأهم شروط القواعد النحوية أن تكون مختصرة، ويتطلب هذا الشّرط أن يعتمد التقعيد على تصنيفٍ شاملٍ، يحدد المادة اللغوية، ويحدد الوظائف النحوية، ووجد المعاصرون هذه الخاصّة من أهم خصائص القواعد[3].

والقواعد النحوية في المراحل الأولى من وضعها كانت أقلّ اختصاراً، في الوقت نفسه كان المصطلح أقلّ ضبطاً، لكنّها في الوقت نفسه كانت أكثر وصفية، ونأتي على ذلك بشواهد من قواعد وضعها الأوائل كسيبويه (ت 180ه) والفرّاء (ت 207ه) والأخفش (ت 215ه) . يقول الفرّاء في الآية الكريمة : ﴿ قُلْ إنَّ الموتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنهُ فإنَّه ملاقِيكُم ﴾ [4] : " أدخلت العرب الفاء في خبر إنّ ، لأنّها وقعت على الذي ، والذي حرفٌ يوصل، فالعرب تدخل الفاء في كلّ خبرٍ كان اسمه ممّا يوصل، مثل: من والذي وإلقاؤها صوابٌ"[5].

---

[1] – صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، 2004م، ص: 118

[2] – تمام حسّان، الأصول ص: 60.

[3]. د.سعيد الدين إبراهيم المصطفى، شروط القواعد النّحوية، 1436/09/21ه 2015/07/08م.

[4] – الجمعة: 08

[5] – أبي زكرياء يحيى بن زياد الفرّاء، معاني القرآن، تح: أحمد يوسف نجاتي ، ومحمد علي النجار، ط3، القاهرة، مركز تحقيق التراث، دار الكتب والوثائق القومية، 1422ه – 2001م، 3 /155

وهذه القاعدة وفق تعبير المتأخرين تصاغ على النّحو الآتي : يجوز دخول الفاء في خبر الاسم الموصول. وواضح أنّ هذه الصياغة أكثر اختصاراً، فهي تعتمد على ضبطٍ أدقّ للمصطلح، لكنّها في الوقت نفسه أكثر معيارية، حيث تتحدّث عن الجواز، وهو ما لم نره في عبارة الفرّاء [1].

وقد أكّد النّحاة العرب على أن تكون القواعد النّحوية عامة ؛ مطردة تخضع لها جزئيات المادة العلميّة المجموعة، فتكون القواعد قد خضعت إلى مجموعة من وسائل التحقّق وقد تحدّث عنها النّحاة .

ومن الشواهد على اطّراد القواعد ما أورده الأخفش في قوله تعالى: ﴿ أنَّ لَهُم جنَّاتٍ ﴾ [2] جُرّت، وقد وقعت عليها " أنَّ " ، لأنّ كلّ جماعة في آخرها تاء زائدة تذهب في الواحد أو في تصغيره فنصبها جرٌّ. ألا ترى أنّك تقول: جنَّةٌ فتذهب التاء، وقال تعالى : ﴿ خَلَقَ السَّمواتِ والأرضَ ﴾ [3] . والسّماواتُ جرٌّ، والأرضُ نصبٌ، لأنّ التاء زائدة، ألا ترى أنّك تقول سماء " [4] .

ففي هذه الآية حرصٌ على إفهام القارئ القواعد النحويّة يظهر ذلك في التّعليل والحجّة، وفي الإكثار من الأمثلة والشّواهد، ومن صياغةٍ وصفيّة فهي تعني في عرف النّحاة اليوم: كلّ جمعٍ مؤنّثٍ سالمٍ يُنصب بالكسرة نيابة عن الفتحة، ويُجرّ بالكسرة، ويُرفع بالضمّة. وهذا هو الحال في أكثر النّصوص التي تنتمي إلى هذه الفترة[5].

ومن الشّروط الهامّة لقواعد النّحو عند القدماء والمحدثين على حدٍّ سواء الضّبط، ونعني به الموضوعيّة في التجريد بوضع الشّواهد والأمثلة، ويظهر ذلك في مظهرين اثنين، الأول: أنّهم يردّون قواعدهم إلى ما تقوله العرب، ويوثّقون كلّ قاعدةٍ يصلون إلى تجريدها بالشّواهد والأمثلة، وهو ما يُعرف عندهم بالاحتجاج، وهو ما يشبه تحقيق الفرض في التجارب العلميّة[6].

---

[1] – د.حسام أحمد قاسم، الأسس المنهجية للنّحو العربي دراسة في كتب إعراب القرآن الكريم، دار الآفاق العربية، القاهرة، 1428ه –2007 م ، ص: 172

[2] – البقرة: 25

[3] – الأنعام: 01

[4] – الأخفش الأوسط، سعيد بن مسعدة، معاني القرآن، تح: هدى قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1990م، 57/1

[5]. د.سعيد الدين إبراهيم المصطفى، شروط القواعد النّحوية، 1436/09/21ه 2015/07/08م.

[6]. سعيد الدين إبراهيم المصطفى، المرجع نفسه.

أمّا الثّاني هو المقاييس التي أنشأوها ليتعرّفوا بها على كلّ الأبواب النّحوية، كقول ابن السّراج (ت 316ه) : " وتعتبر خبراً لمبتدأ بأنّك متى سألت عن الخبر جاز أن يجاب بالمبتدأ، لأنّه يرجع إلى أنّه مو في المعنى. ألا ترى أنّ القائل إذا قال : عمرٌو منطلقٌ، فقلت: من المنطلقُ ؟ قال: عمرٌو " [1]. وهكذا ضبط ابن السّراج المبتدأ بصياغة السّؤال والجواب، وهو يشبه ضبط العمليات الحسابيّة تماماً.

ومن شروط القواعد النّحوية التّصنيف؛ فالقواعد نظام تتشابك فيه العلاقات العضويّة، حتّى يصير بهذا التشابك بناءً واحداً يصعب نفي شيءٍ منه أو إضافة آخر إلا بدليلٍ، فهو يتّسم بالتّماسك وعدم التناقض، فلو كان متناقضاً لما صلح للتّطبيق. ومن ذلك ما أورده سيبويه في الشّرط : " اعلم أنّ حروف الجزاء تجزم الأفعال وينجزم الجواب بما قبله، وزعم الخليل أنّك إذا قلت: إن تأتني آتك، ف آتك انجزمت ب إنْ تأتني، كما تنجزم إذا كانت جواباً للأمر حين قلت: ائْتني آتك ... واعلم أنّه لا يكون جواب الجزاء إلا بفعلٍ أو بالفاء "[2].

فهنا القاعدة عند المحدثين تقول: – أدوات الشّرك الجازمة تجزمُ فعلين، الأوّل فعل الشّرط والثاني جواب الشرط، فالأوّل سببٌ لحصول الثاني– ولا يكون جواب الشرط الجازم إلا بفعلٍ أو اقترانٍ بالفاء عند القدماء والمحدثين أيضاً. وهذا ما يدعى الضّبط للظاهرة المدروسة[3].

فنستنتج من ذلك أنّ القواعد النحويّة لم تعد مجرّد وسيلة لإدراك النّصوص الدّينيّة أو أداةً للتمرّن على أداء أساليب الكلام باللّغة العربيّة ، بل ولها أيضاً غاياتها العلميّة العامّة بجانب أهدافها التّطبيقيّة الجمّة، ومنها الإفادة من نتائج تعليم اللّغات الأخرى، والتّخطيط اللّغويّ، وعلم الأصوات وخصائص العربية ذاتها، ومعرفة القرائن المعنويّة واللفظيّة ودورها في تحليل الكلام والرّبط بين أجزائه، وهذا لا يتأتّى بالطبع إلا من خلال نصوصٍ فصيحةٍ تؤدّي إلى تعليم القواعد النحوية واستظهارها.

ضرورة صناعة القواعد النحوية:

لقد كان العرب قديماً قبل وضع علم النحو ينطقون لغتهم بكلّ سهولة ويسر؛ بسليقة جبلوا عليها، فكانت اللغة تخرج من أفواههم كما يفوح العطر من الزهر، وكما يسيل العسل من النحل، فإنّهم في جاهليتهم كانوا يتكلمون في شؤونهم دون فكر، أو رعاية قانون كلامي يخضعون له، قانونهم ملكتهم التي خلقت فيهم،

[1] . ابن السّراج، الأصول في النحو، تح: د.عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت،ط2، 1405 ه – 1985م، 69/1

[2] . سيبويه ، الكتاب، 3/ 63

[3] . د.سعيد الدين إبراهيم المصطفى، شروط القواعد النّحوية، 1436/09/21ه 2015/07/08م.

ومعلمهم بيئتهم المحيطة بهم [1] ، وقد نشأت اللغة العربية في أحضان الجزيرة العربية خالصةً لأبنائها منذ ولدت نقيةً وسليمةً ممّا يشينها من أدران اللغات الأخرى، وبقيت كذلك متماسكة البنيان غير مشوبة بلوثة الإعجام [2]، فاللغة العربيّة ظاهرة اجتماعية عرفها العرب بغير وسيط تعليمي أو تعلمي، عرفها أصحابها بغير معلم أو متعلم، وقد استمرت تنمو وتزدهر وفق سنن التطوّر في كلّ ظواهر الحياة الاجتماعية[3]، " و لم يؤثر عن العرب أي نوع من الدراسات اللغوية قبل الإسلام" [4].

وبعد أن ظهر الإسلام وغمر الدنيا بنوره، ودخل الإسلام صاحب الكتاب العربي بلادًا غير عربية، ودخل العجم جزيرة العرب مؤمنين عاملين بين المسلمين، فتعلم العرب لسان غيرهم، وتعلم العجم لسان العرب فنطقوا باللغة العربية وتعلموها ولكن كان نطقهم لاحنًا، حيث إنهم نطقوا بها نطقًا خاطئًا يخالف أسس اللغة العربية وأحكامها، " وأصبحت هذه الظاهرة خطرةً بعد الفتح الإسلامي وكثرة الموالي في البيئة العربية، وزاد الأمر خطورةً بإصهار العرب لغير العرب، فنشأت فيهم ناشئة لا تقيم ألسنتهم بلغة آبائها " [5]؛ ممّا كان له أبلغ الأثر في أن يهب العرب ليتصدوا لهذا الخطر الجارف ويحافظوا على لغتهم من مغبته [6].

ولقد كان انتشار اللحن سبباً رئيساً في دفع علماء العربية إلى التفكير في وضع قانون يعيد العرب إلى طبيعتهم وسليقتهم اللغوية، ليحفظها من الزيغ والانحراف ثمّ الاندثار [7]، لأنّ اللحن في هذه الفترة – فترة انتشار الإسلام في بلدان غير عربية – قد صار ظاهرةً لغويّةً في منطق العربي والعربية، وانتشر انتشاراً رهيباً بين طوائف العرب، وتسرب ذلك كلّه إلى النطق بالقرآن الكريم، فنطق به بعض النّاس نطقاً لاحنا، سواءً أكان ذلك من عامة العرب أو خاصتهم !! [8]

---

[1] . محمد الطنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، مطبعة المنار، القاهرة، ص:9 . وينظر: محمد حسن عبد العزيز، مدخل إلى علم اللغة، مطبعة دار الهاني، القاهرة، ص: 35

[2] . محمد الطنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، ص: 5

[3] . فوزي مسعود، سيبويه جامع النحو العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1986م، ص: 19

[4] . أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، عالم الكتب، ط6، القاهرة، 1988م، ص: 77 – 80

[5] . تمام حسّان، الأصول، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، 1982م، ص: 23

[6] . فوزي مسعود، سيبويه جامع النحو العربي، ص: 10

[7] . عبد العال سالم، الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993م، ص: 11 – 28 . وينظر: أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، ص: 90

[8] . عبد الله جاد الكريم، التوهّم عند النّحاة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1422ه – 2002م، ص: 12.

ويضاف لظاهرة اللحن عوامل أخرى دفعت لظهور قواعد النحو العربي [1]؛ ومنها:

أ. العامل الديني:

" فيبدو أنّ كثيراً من المحاولات الأولى للدّرس اللغوي التي تمّت في أماكن مختلفة من العالم كانت مرتبطةً بالدين والعقيدة " [2]، وقد " حرص العرب المسلمين حرصاً شديداً على أداء نصوص الذّكر الحكيم أداءً فصيحاً فصيحاً سليماً إلى أبعد الحدود في الفصاحة والّسلامة، وخاصةً بعد أن أخذ اللحن يشيع على الألسنة، وتطرّق ذلك إلى قراءتهم للقرآن الكريم "[3]، ولا عجب من صنع النحاة العرب، فقد كان " القرآن الكريم محور الدراسات الثقافية عند العرب" [4].

ب. العامل القومي:

فقد وجد العرب أنفسهم قد أصبحوا قوامين على أمم ذات حضارات قديمة وثقافات ذات تنوع وعمق، ولم يكن للعرب مثل هذه الحضارات ولا تلك الثقافات، كما كان عند غيرهم من الأمم؛ مثل: السريان والهنود والمصريين، فوجد العرب أنفسهم أمام أمر جد خطير، هو: إما أن يكونوا أصحاب رسالة لا تستند إلى ثقافة، وبذلك يعرّضون دينهم ولغتهم للجمود وتدخل الأفكار الأجنبيّة، أو يثبتون لأنفسهم وللعالم أجمع أنّهم أهل لحمل رسالة السّماء والحفاظ عليها ونشرها والذود عن اللغة العربية ضدّ كلّ ما يعرضها للانحراف [5]، ولذلك " أهابت العصبيّة العربيّة بالعلماء في الصّدر الأوّل الإسلامي أن يصدوا هذا السيل الجارف الذي كاد يكتسح اللغة العربية؛ بما قذف فيها من لحن تسرّبت عدواه إلى القرآن الكريم والسنّة الشّريفة، بما هدوا إليه من علم النّحو " [6].

وظيفة القواعد النحوية :

تنبُع أهمية القواعد النحوية من كونها تعلّم اللّغة العربيّة وتمهّد لها الطريق، ولابدّ حين تعليم العربيّة بنصوصٍ أدبيةٍ فصيحةٍ من تعلّم قواعدها، فهي كما يرى الثعالبيّ (ت 429ه): " خير اللّغات والألسنة، والإقبال على

[1] . تمام حسّان، الأصول، ص: 22 23.
[2] . أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، ص: 78 -81 .
[3] . محمد الطنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، ص: 8.
[4] . تمام حسّان، الأصول، 23-24 .
[5] . تمام حسّان، المرجع السابق، ص: 23-24 .
[6] . محمد الطنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، ص: 8 .

تفهّمها من الدّيانة، إذ هي أداة العلم ومفتاح التّفقّه في الدّين " [1]. فتعليم القواعد يعني أنّ هذه الدّراسة أداةٌ من أدوات فهم نصوص القرآن والحديث، وبتعليم قواعد النحو قد تعلّمنا أكثر علوم القرآن والسنّة.

أنّ وظيفة النّحو هو بيان قواعد اللغة من خلال النصوص وضبطها، وغايته غرس المقدرة على التمكّن منها، فهماً لأساليبها وتعبيراً بها، ومقتضى ذلك أنّ تعليم النّحو من هذه النصوص الفصيحة ليس غايةً لذاتها، بل وسيلة لغاياتٍ أخرى غيرها. والمعلوم أنّ وظيفة العلم وغاياته يمكن أن تتطوّر مجالاته وتتغيّر علاقاته بتفرّع أجناسه.

فوظيفة القواعد النحوية هي دراسة مستوًى بعينه من مستويات اللّغة، ومعرفة نظمه وضوابطه، وصياغة هذه النّظم والضّوابط في صورة قواعد كليّة تُستخلص ممّا كان من نصوصٍ فصيحةٍ، وتبني أسسها منها، هذا المستوى الذي فيه ما فيه من الظّواهر والعوامل، وما يتّصل بها من علاقاتٍ يسمّى الجملة العربيّة. وما من شكٍّ أنّ معرفة نظم الجملة والعلاقات المترابطة فيها تتطلّب علماً بالأصوات والمعاجم والأصول اللّغويّة، وهذا بالضّرورة يستدعي معرفةً بمباني الجملة أي: علم الصرف ومعاني الجملة ودلالاتها.

تتحدّد وظيفة القواعد في ضوء دراستنا للنّصوص الفصيحة، بحيث نعرض للتّحليل والتّقنين لها، فهي تدرس مستوى واحداً من مستويات العربيّة، وليس باعتبارها قواعد اللغة كلّها، وكلّ خطوةٍ نخطوها في تقعيد هذه القواعد يجب أن تشمل ما فوق هذا المستوى ما فوق هذا المستوى، أو ما دونه قديماً وحديثاً.

وقد أكّد الدكتور علي أبو المكارم حقيقةً علميّةً عن أذهان كثيرٍ من الباحثين في هذا المجال، فقال: " إنّ في اللغة – كما هو ثابتٌ علميّاً – مستوى صوتيّاً لا يتداخل فيه صوتٌ إلا في ظلّ نظمٍ بعينه يدرسها علم الأصوات، ومستوى بُنَيويًّا لا تتضارب فيه صيغةٌ مع صيغةٍ أخرى، وله نظمه الدّقيقة التي فصّلها علم الصّرف، ولها مستوى تركيبيّ لا تختلف فيه قاعدةٌ مع أخرى بل تتّسق جميعاً لأداء وظائف الجملة كما يحدّدها علم النّحو" [2].

ونرى أيضاً أنّ وظيفة القواعد النّحويّة لا تنحصر في ظاهرة النّصوص الفصيحة، بل يدرس ظواهرها كاملة، ويحلّل خصائصها كافّة، ويصنّف علاقاتها والروابط بغيرها في النّص، وليست كما قال بعض النحويين إنّ وظيفة القواعد عي الوقوف عند ظاهرة الإعراب والبناء منفصلةً عن غيرها.

[1]. الثعالبي : عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، فقه اللّغة وسرّ العربيّة، تح: د. خالد فهمي، القاهرة، 1418ه ، ص: 1

[2] . د. علي أبو المكارم، تعليم النحو العربي – عرض وتحليل – ، القاهرة، مؤسسة المختار، 1428 ه – 2007م، ص: 15

الفصل الثّاني

العلماء السّابقون، وآثارهم في النّحو والمراجع التي خلّفوها

مشاكل النحو وصعوباته

أوّلا : عيوب كتب النّحو

ثانيا : عيوب مناهج النّحاة

ثالثا : عيوب في المادّة النّحوية

خلاصة عن علمائنا السابقين، وآثارهم في النّحو والمراجع التي خلّفوها

تمهيد:

تعدّ الخطوات الأولى لنشأة النحو العربي منعطفاً فاصلاً في الحياة اللغوية التي أدركت نمطاً شديداً من التعقيد والغموض لأنّ مستعملي اللغة قديماً لم يكونوا بحاجة إلى قاعدة نحوية تضبط لسانهم من اللّحن فهم الذين جُبلوا على التحدّث بلغةٍ فصيحةٍ فأجادوا فيها و تفنّنوا و سحروا النّاس ببيانها . وكانوا يستقبحون اللّحن في الكلام، وحرصوا على إصلاح ألسنتهم ، ومن أقوال العرب المأثورة في هذا الصدد : " المرء مخبوء تحت طيّ لسانه " ، لذلك تجنبوا اللحن في كلامهم ، بل وكانوا ويوصون أبناءهم بإصلاح ألسنتهم ، حتى قال أحدهم لبنيه : " يا بَنِيَّ أصلحوا ألسنتكم، فإنّ الرجل تنوبه النائبة فيتحمل فيها، فيستعير من أخيه دابته، ومن صديقه ثوبه، ولا يجد من يُعيره لسانه " [1] .

و كان الهدف من نشأة النحو العربي هو صون كلام الله تعالى من اللّحن، وتلقين الوافدين مبادئ اللغة العربية. فالنّحو يستولي على منزلة رفيعة ومكانة كبيرة في اللغة ، لأنّ اللغة إذا خلت من النحو غُمّ كلامها، وغمض فكرها، وصارت مبهمة لمن يقرؤها [2]. فالنحو الذي جاء ليحافظ على القرآن الكريم واللغة من الخطأ والزلل ، ها هو يفتح أبواباً من الاختلاف والتعدّد و قضايا مليئة بالتعقيدات والغموض حتى صار مادة يصعب دراستها وتعلّمها، فقد روي " أنّ أعرابياً وقف على مجلس الأخفش الأوسط (ت 215ه)، فسمع كلام أهله في النّحو و ما يدخل معه ، فحار وعجب ، وأطرق ووسوس، فقال له الأخفش : ما تسمع يا أخا العرب ؟ قال : أراكم تتكلمون بكلامنا في كلامنا بما ليس من كلامنا " [3] .

وهذا القول يبرز مسألة المصطلحات النحوية الصعبة والمعقّدة، و ما ابتدعه النّحويّون من اصطلاحات وما نقلوه من قضايا تخص الرفع والنصب والخفض والمعرب والمبني والنكرة والمعرفة والممنوع من الصرف، وغيرها من المسائل ، و هذا أمر لا يفهمه من يتحدّث العربية فطرة.

وإذا نظرنا إلى ما بين أيدينا من إرث هائل في النّحو العربي عبر أربعة عشر قرناً ونيف ، وما حواه من ورق وأحرزه من تآليف، فإنّه بمقدورنا أن ندرك تلك المسائل الشائكة والمربكة التي خلّفها النّحو، و ما وقع حولها من جدل وخلاف ، بحيث جرت على إثرها أقلام القدماء والمحدثين،بدءا بتاريخ ظهوره، فكثرة مذاهبه، مروراً بجموده ورتابته و تعقّده، ووصولاً إلى جهود تيسيره و تجديده و تطويره .

---

[1] . بروكلمان (كارل)، تاريخ الأدب العربي، ترجمة السّيد يعقوب بكر ورمضان عبد التّواب، ج2، ص 124

[2] . علوي عبد الله طاهر ، في محاولات تيسير النحو العربي، مجلة التّواصل ، العدد 12، دار الجامعة عدن للطباعة، يوليو، 2004م، ص 111

[3] . التوحيدي (أبو حيان) ، الإمتاع والمؤانسة ، تحقيق أحمد امين وأحمد الزين ، الناشر مؤسسة الهنداوي سي آي سي، دط، 2017،ص 139.

ولكنّ النظرة الشاملة على هذه المؤلفات النحوية التي وصلت إلينا توضّح أنّ جميع هذه الدراسات يمكن أن تصنّف في اتجاهين أساسيين :

- أحدهما يمثّل تلك التآليف التي وضعها أئمة النّحو ، تجاوباً مع الغايات الأساسية التي وضع من أجلها هذا العلم.
- وأما الثاني فيمثّل الدراسات المستفيضة في النحو و في فقهه وفلسفته، وهي دراسات تتجه إلى دقائق المعارف النحوية ، وإلى كلّ ما هو شاذ و نادر [1]

وعدم التمييز بين هذين الاتجاهين في الدراسات النّحوية والعربية، و مبالغة بعض النّحاة في التعقيد والغموض، هو السبب الرئيسي الذي يقوم وراء هذا التصوّر الخاطئ في صعوبة العربية، و في نشأة النّحو العربي على هذه الصورة من من الصعوبة وعسر الفهم ، الذي يصدّ الناشئة و ينفّرهم، ويكون سبباً في أن يتيه في مسالكه المتعلمون الحاذقون.

ومن أمثلة هذا التعقيد والمبالغة في الغموض و الإفراط في التهويل من شأن النّحو لدى النّحاة أنفسهم، وما يروى " عن ابن خالويه (ت 370ه) ، وهو في مجلس سيف الدولة الحمداني (ت 356ه)، فقال له رجل ، أريد أن أتعلّم من العربية ما أقيم به لساني، فقال : أنا منذ خمسين سنة أتعلّم النّحو، ما تعلّمتُ ما أقيم به لساني"[2] . ونحن هنا لسنا بصدد مناقشة هذه الحادثة ، أوقعت فعلاً أم كانت على سبيل الطرفة ؛ ولكن الحادثة لها دلالاتها، و من ذلك أن دراسة النّحو ليست بالقضية السّهلة الهيّنة ، و لا المقوّمة للألسن حتماً، و المتأمل في هذا القول يجد الفرق كبيراً بين ما كان يطلبه الرجل ليتعلّم أساسيات النّحو ليُقيم به لسانه ، وبين ما عكف عليه ابن خالويه من دراسة دقائق النّحو والغوص في مشكلاته و أبوابه.

ومن خلال هذه المسألة البالغة الأهمية ، علينا معرفة ما الذي جعل النحو العربي مستعسراً ؟ و أيّة صعوبات هي للنّحو ؟

مشاكل النحو وصعوباته :

كان الرّعيل الأوّل من النّحويين رجالاً أولي عقل واسع وفكر مستنير، حين فكّروا في وضع النّحو خططوا له ليكون جامعاً للنّاس لا مفرّقاً لهم، وأرادوه أن يكون علماً جديداً و مفتاحاً لكلّ العلوم، وقد كان هذا الرّعيل

[1] . خليفة عبد الكريم، تيسير العربية بين القديم والحديث، مجمع اللغة العربية الأردني، عمّان، ط1، 1407 ه 1986م، ص36

[2]. السيوطي ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تح: محمد أبو الفضل ، ج1، ص 529.

رواة نقلوا كلام العرب نقلاً صحيحاً صافياً خالياً من الأخطاء إلى النّاس وإلى بطون الكتب، و لم يكن لديهم تعصّب لرأي دون آخر [1] .

وكانت الطبقة الأولى من هؤلاء النحاة أعلم النّاس بكلام العرب وبالقرآن الكريم ، إذ تهيّأ لهم قراءة القرآن برواياته المعروفة، أخذاً عن أئمة القراءات أنفسهم، مع الألمام الجيّد بالتفسير ورواية الحديث وعلوم الفقه ورواية الأشعار وأيام العرب، والتّمكّن الواسع فهماً للغة العربية وتبصراً بأسرارها، فمجالس النّحاة كانت محملة بعلوم شتّى، وكثر فيها إنشاد الشّعر ورواية الأخبار، و بهذه الأخبار كانوا يستنبطون النّحو، ويتدارسونه فيما بينهم، وينقلونه إلى تلامذتهم، حتى صاروا جهابذة فيما بعد [2] .

وأصبح النحو مادة من العسير فهمها لدقّة قواعدها وتداخل مصطلحاتها وكثرة أبوابها، وكثرة تآليفها ، حتى تورّط الدّرس النّحوي في متاهات فسيحة هو في غنى عنها . و من الروايات التي تُشير إلى تعظيم دراسة علم النّحو ما يرويه المبرّد (ت 286ه) عن المازني (ت 248ه) أنّه قال : " قرأ عليّ رجل كتاب سيبويه في مدّة طويلة ، فلما بلغ آخره قال لي : أمّا أنت فجزاك الله خيراً ، وأمّا أنا فما فهمتُ منه حرفا" [3] . ولا شكّ أن التجربة التّي مرّ بها النّحو والنّحاة كانت عظيمةً جداً وغنيّةً، وفيها زاد طيّب لمن أراد أن يتعلّم العربية أو يعلّمها[4]. و أنّ الإرث النّحوي الذي خلّفه أسلافنا لنا ثمين للغاية ، و أنّ المحاولات المبذولة فيه خلال الأزمان المتوالية جديرة بالتقدير و التعظيم . غير أنّ النّحو كسائر العلوم الأخرى، انطلق بسيطاً ثمّ نما وتطوّر، فداخله الغموض والتعقيد ممّا نحا به الجمود و كذا الرتابة ، فأصابه الوهن والضعف .

فالنّحو مصاب منذ نشأته إلى عصرنا هذا؛ ببعض العلل و الآفات التي شوّهت الصورة الجميلة له، وظلّلت الدارسين أحيانا، و لكن تولّتها الأزمان بالعناية حتى كادت تقضي عليها. وقد شخّص بعض الدارسين هذه العيوب والصعوبات في ثلاث نواحٍ ؛ في (كتب النحو) و (مناهج النحاة) وفي (المادة النّحوية نفسها) [5] .
و هذا ما يحيط بها بإسهاب :

[1] . بن حمو محمد، النّحو العربي في مرحلته الأولى ،منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2001م ، ص 14

[2] . ينظر : بن حمو محمد، النّحو العربي بين جمود القواعد وإبداع النصوص، مجلة الحضارة الإسلامية ،العدد 08 ، ص 63.

[3] . القفطي علي بن يوسف ، إنباه الرواة على أنباه النّحاة، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ج 1 ، ص 283.

[4] . : بن حمو محمد، النّحو العربي بين جمود القواعد وإبداع النصوص، ص 63.

[5] . العزاوي نعمة رحيم ، في حركة تجديد النحو وتيسيره في العصر الحديث ، ص 15.

أوّلا : عيوب كتب النّحو :

1- تداخل الأبواب وفوضى العناوين :

تعاني كتب النّحو من الاضطراب في تتالي الأبواب، وفي توزيع جزئيات الباب الواحد ، فضلاً عن الغموض في العناوين، مع غياب الدّقة في المصطلحات وصعوبة الاهتداء إلى مسائل النّحو، و عدم التطابق بين العنوان و ما تحته، و نضرب على ذلك أمثلة ؛ منها ما ورد في كتاب سيبويه (ت 180ه) ، فهو خير نموذج لهذه الأحكام ، مع أنّه يمثّل أكمل وأنضج محاولة في التأليف النّحوي قديماً وحديثاً [1] .

أما طول العنوانات وغموضها فسببه أنّ المواضعة لم تكن قد أخذت شكلها المناسب على الفرضيات المستحدثة، إذ لم يكن حينذاك مصطلح واضح على طرف الثُمام [2] ، ولا مُسميات مختزلة مبتكرة تلخّص الأفكار الموضوعة وتوضّحها، فكانوا لذلك معذورين بما وضعوا، ثمّ اتضحت الصورة أكثر فأكثر مع تقدّم صناعة التأليف في العصور اللاحقة .. وكذا الأمر في الظواهر الأخرى ؛ كظاهرة عدم التطابق بين العنوان وما تحته ، والجفاف ... إلخ [3] .

والاضطراب في كتاب سيبويه يظهر في طول العناوين وغموضها، فمن هذه العناوين : (الفعل الذي يتعدّى اسم الفاعل إلى اسم المفعول، و اسم الفاعل و المفعول فيه كشيء واحد) يعني باب (كان وأخواتها) ، و(باب الفاعلين والمفعولين اللّذين كلّ واحد منهما يفعل فاعله بفاعله مثل الذي يفعل وما كان نحو ذلك) ، يعني (باب التنازع) [4] .

وكذلك في كتاب المقتضب للمبرّد، فالعناوين غامضة وغير متطابقة، إذ الأبواب متداخلة ، فالجزء الأول منه يشتمل على مباحث نحوية و صرفية و صوتية متداخلة وردت على هذا النّحو : أنواع الكلمة ، الفاعل ، حروف العطف ، البدل ، القلب المكانيّ ، كيفية التلفظ بالحروف المفردة ، مباني الكلمات ، حروف الزيادة، همزة الوصل والقطع، التعريف ، الإدغام، مخارج الحروف [5] .

---

[1] . مبروك سعيد عبد الوارث ، في إصلاح النّحو العربي ، ص 23.

[2] . مثل يضرب لما يوصل إليه من غير مشقّة ، وهو نبت ضعيف سَهْل التناول ينبت على قدر قامة المرء. ينظر مجمع الأمثال لأبي الفضل الميداني، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المعاونية الثّقافية للآستانة الرضوية المقدّسة، إيران ، ج 2 ، باب 27.

[3] . أسامة رشيد الصفار ، في عيوب النّحو رأي .. وتعليق ... ، جامعة بغداد ، كلية التربية : ابن رشد ، قسم اللغة العربية ، مقال ، ص 221.

[4] . العزاوي نعمة رحيم ، في حركة تجديد النحو وتيسيره في العصر الحديث، دار الشؤون الثّقافية العامة، بغداد، العراق، دط، 1995م، ص 16.

[5] . العزاوي نعمة رحيم ، المرجع نفسه، ص 16.

2- صعوبة اللغة في كتب النّحو :

ومن العيوب التي طبعت كتب النّحو القديمة ، جمود اللغة و التواؤها، ففي كثير من هذه الكتب نجد لغة مضغوطة مزدحمة بالدلالات، والإشارات والأحكام النّحوية العسيرة على الفهم ، وأوضح مثال لهذين : كتاب سيبويه الذي يمثّل في كثير من نواحيه لغة الفارسي المستعرب، في إيجازها وفي ازدحامها بالمعاني والأغراض ازدحاماً قد يبلغ حد التخمة مع التواء حينا و عجز يبلغ حد اللكنة أحياناً ، أو نجد لغة موجزة كزّة كلغة المتون و أشباهها [1] .

و كذا اختلاف الأقوال والآراء في المسألة الواحدة لأنّ " النّحويين القدماء حين قعّدوا قواعدهم أقحموا اللّهجات العربية بصفاتها وخصائصها المتباينة ونظروا إليها أنّها صورة مختلفة من لغة مشتركة " [2]

ويروي لنا الجاحظ (ت 255 ه) في كتابه " الحيوان " حواراً جرى بينه وبين أبي الحسن الأخفش (ت 215ه)، يلومه على لغة النّحاة الغامضة والمعقّدة ، فيقول : " قلت لأبي الحسن الأخفش : أنت أعلم النّاس بالنّحو، فلِمَ لا تجعل كتبك مفهومة كلّها ، وما بالنا نفهم بعضها، و لا نفهم أكثرها، و ما بالك تقدّم بعض العويص، وتُؤخّر بعض المفهوم ؟ قال : أنا رجل لم أضع كتبي هذه لله، وليست هي من كتب الدين، ولو وضعتها هذا الوضع الذي تدعوني إليه، قلّت حاجاتهم إليّ فيها وإنّما كانت غايتي المنالة، فأنا أضع بعضها هذا الموضع المفهوم، لتدعوهم حلاوة ما فهموا إلى التماس فهم ما لا يفهموا، وإنّما قد كسبتُ في هذا التدبير إذ كنت إلى التكسّب ذهبتُ " [3] .

ففي القرون المتأخّرة كثرت عيوب اللغة في التأليف النّحوي، والسّبب في ذلك هو أنّ الدّراسات النّحوية كانت مقصورة على جماعة من النّحويين واللغويين ، وجدوا في تعقيدات تلك اللغة والتوائها مجالاً رحبا لاستفراغ طاقاتهم وللظهور بمظهر العلماء ، خاصة في العصور التي نضبت فيها ملكة التجديد والإبداع في هذا الفن [4] .

---

[1] . حسن عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، ص 225.

[2] . عمر أحمد مختار، البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثّر ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط6، 1988 م، ص 146

[3] . الجاحظ أبو عثمان ، الحيوان، تح : عبد السلام هارون، ج 1 ، ص 92.

[4] . مبروك سعيد عبد الوارث ، في إصلاح النّحو العربي، ص 27.

3- التكرار والحشو :

ومما تعانيه كتب النّحو القديمة الطول المفرط الناشئ عن التكرار والاستطراد والحشو ومعالجة قضايا أجنبية لا صلة لها بالنّحو . وممّا أسهم في ذلك أيضا الولع بالجدل والمناقشات اللّفظية ، والإغراق في الجري وراء العلل وتتبع السقطات ولو كانت أسلوبية ، والتسابق في تكثير الأقسام، رغبة في إظهار التفوّق والسبق ، وتتمثّل هذه الظاهرة في أوضح صورها في الشروح والحواشي و التقارير [1] .

ثانيا : عيوب مناهج النّحاة :

1- اضطراب منهج التأليف والتصنيف :

الاضطراب المنهجي في التقعيد " الذي نتج من لجوئهم إلى المنطق فاتخذوا القياس المنطقي لهم منهجاً وسبيلاً من طرائق التفكير في النّحو والقياس في حدّ ذاته مبدأ مهم ومقبول في كلّ العلوم، بشرط أن يكون هناك توافق و تماثل بين المقيس والمقيس عليه في السّمات والصّفات " [2] .

ومن أمثلة ذلك، اضطراب المنهج في كتاب سيبويه، وصعوبة الاهتداء فيه إلى مسائل النّحو، حتى على المتخصصين، يقول محمد عبد الخالق هضيمة : " الرجوع إلى سيبويه في كلّ مسألة من الصعوبة بمكان ولا شيء أشقّ منه ، وليس أدلّ على ذلك من أنّه قد خفي بعض ما في سيبويه على كثير من الأئمة الأعلام فكيف بغيرهم ممّن لم يبلغ مبلَغهم ، و لم يُدرك شأوهم ؟ " [3]

إذن فاضطراب منهج التأليف يؤدي إلى تمحيص الكتاب كلّه حتّى يتوصّل المتعلم منها مبتغاه، وفي ذلك من التّعب و العناء و المشقّة للباحث ما لا يخفى، يقول د. مهدي مخزومي : " لو أراد المتخصص في النّحو والمتفرّغ له أن يدرس موضوعاً نحوياً دراسة وافية لكلّفه الرجوع إلى كتب النّحو في جميع عصورها جُهداً مُضنياً ، وأضاع كثيراً من وقته في سبيل التّعرف على مسائل موضوعه في هذه الكتب المختلفة المناهج"[4].

ومع هذا كلّه فقد حاز هذا الكتاب من التعظيم و التقدير الكبيرين ما لم يحزه أي كتاب بعده، فهو يعتبر عند النّحويين قديماً و حديثاً معيار العربية لفضله و شهرته . فنال " الكتاب " من مدائح العلماء وثنائهم الكثير

[1] . مبروك سعيد عبد الوارث ، المرجع السابق ، ص 27 .

[2] . كمال بشر ، اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم، دار غريب ، القاهرة ، ط1، 1999م ، ص 140.

[3] . المبرّد أبو العباس ، المقتضب ، تح : محمد عبد الخالق هضيمة ، ج1 ، ص 127.

[4] . المبرّد أبو العباس ، المرجع نفسه ، ج 5 ، ص 1.

والكثير، فقد أفرغه صاحبه في قالب الكمال، و لا تُفْتَح العين على أتمَّ منه حسناً في بابه، و أصبحت كلمة " الكتاب " كما يقول الزمخشري إذا أفردت بالحديث علماً على " كتاب سيبويه " [1] .

وبقي هو المصدر الأساسي لنحو العربية غبر قرون، و لم يترك للأجيال التالية سوى خلافات فرعية تتّسع و تضيق حسب المدارس و النّحاة [2] .

وقد بلغ إطراء النّحاة واللّغويين له مبلغاً كبيراً ، حتى " أنّ المبرّد (ت 286ه) كان إذا أراد أن يسأل إنساناً عن قراءته إياه ، قال له : هل ركبت البحر ؟ تعظيماً و استعظاماً لما فيه " [3]، و قال أبو عثمان المازني (ت 248ه) : " من أراد أن يعمل كتاباً في النّحو بعد كتاب سيبويه فليستحي " [4] وقال أيضاً :" ما أخلو في كلّ زمن من أعجوبة في كتاب سيبويه، و لذلك سمّاه النّاس قرآن النّحو " [5] وقال ابن النّحاس (ت 338ه) :" لم يزل أهل العربية يفضلون كتاب سيبويه حتى قال محمد بن يزيد : لم يعمل كتاب في علم من العلوم مثل كتاب سيبويه " [6] .

ومن فرط عنايتهم بهذا الكتاب، توافر على شرحه عدد كبير من العلماء، و شرَحَ مشكلاته ونكتَه وأبنيتَه وشواهدَه عددٌ آخر من العلماء المشهورين، فضلاً عن أولئك الذين اختصروه، أو اختصروا شروحه، أو اعترضوا عليه، أو ردّوا على تلك الاعتراضات في المشرق و المغرب، و الأندلس [7].

وهذه المحاولات والجهود كلّها إنّما تعكس اهتماماً بالغاً بهذا الحقل المعرفيّ الجديد الحديث النشأة ، ولكّن الذي يُلام عليه أسلافنا نظرتهم المقدّسة لهذا الكتاب ، مع أنّه قد اشتمل من الاضطراب و الغموض ومزج للمباحث النّحوية بالمباحث الصرفيّة و الصوتيّة و البلاغية الشيء الكثير .

---

[1] . الزمخشري ، الكشاف ، تح : يوسف حمادي ، مكتبة مصر ، القاهرة ، د ط ، ج 1 ، ص 13 14.

[2] . شوقي ضيف ، المدارس النّحوية ، ص 95 .

[3] . النديم أبو الفرج محمد ، الفهرست ، تح: إبراهيم رمضان ،دار المعرفة ،بيروت، لبنان، دط، 1997م ، مصر، ص 57.

[4] . أبو الطيّب اللغوي عبد الواحد بن علي ، مراتب النحويين و اللغويين ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم، ص 65.

[5] . البغدادي عبد القادر بن عمر ، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، تح : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ،مصر ، ط4 1418 ه /1997م ،ج1 ، ص 371.

[6] . البغدادي عبد القادر بن عمر ، المرجع نفسه ، ص 371.

[7] . سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان) ، الكتاب ، تح : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر، ط3 ، 1408ه 1988م، ج1 ، ص 36 41

2- غياب الأهداف و الغايات :

إذا تتبعنا مناهج النّحاة عند التّأليف والتّصنيف ، فإنّنا نجدها قامت على أسس باعدت بين النّحو ووظيفته والغاية المتوخاة منه [1] ، فقد تأسّس النّحو عند الأوائل على الجمع بين دراسة اللّغة و دراسة النّحو أمثال أبي عمرو بن العلاء (ت 154ه) والخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175ه) ، فكانت لهم جهود في ميدان جمع اللغة و تمحيص نصوصها ودراستها لاستخلاص القواعد منها ، كما كانت لهم جهودهم في مجال وضع أسس النّحو وقواعده على أساس ما توصّلوا إليه في الميدان اللغوي [2]. و هذا ما يُدعى بالمنهج الوصفي في جمع اللغة واستقرائها ، ثم استنباط القواعد من خلالها .

لكنّ هذا العمل الكبير قد شابته مجموعة من العيوب، أهمها عملية الفصام و القطيعة بين اللغة والنّحو. ومن هنا صحّ ما يقال: إنّ اللغويين هم أصحاب الفضل الأوّل على النّحويين وإنّهم كذلك أهل الإساءة الأولى للنّحو والنّحاة، وهؤلاء وهؤلاء قد أحسنوا أيّما إحسان إلى العربية والنّاطقين بها، و إن كانوا قد مزجوا إحسانهم بإساءة، و خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيّئاً [3].

ويذكر إبراهيم مصطفى هذه العلّة التي تمّت حين فصل الدارسون بين النّحو واللغة، وفوّتوا على العربية الكثير والكثير ، فيقول في ذلك : " إنّهم أي النّحاة حين حدّدوا النّحو وضيّقوا بحثه ، حرموا أنفسهم و حرمونا إذِ اتبعناهم من الاطّلاع على كثير من أسرار العربية وأساليبها المتنوّعة ، ومقدرتها في التعبير ، فبقيت هذه الأسرار مجهولة، و لم نزل نقرأ العربية ونحفظها و نرويها ، ونزعم أنّنا نفهمها و نُحيط بما فيها من إشارة و ما لأساليبها من دلالة ، والحقّ أنّه يخفى علينا كثير من فقه أساليبها ومن دقائق التصوير بها " [4] .

3- التضييق في منابع الاستشهاد :

ومن هذه العيوب الاقتصار على أخذ اللغة من قبائل بذاتها القبائل الست والإعراض عن سواها، وهو عيب آخر يُرهق النّحو العربي ويطعن في مصداقيته، ومن ثمّة فات الرّعيل الأوّل من النّحاة كثير من منابع الأخذ، و

---

[1] . العزاوي (نعمة رحيم) ، في حركة تجديد النّحو وتيسيره في العصر الحديث ، ص 18.

[2] . مبروك سعيد (عبد الوارث) ، في إصلاح النّحو العربي،، ص 28.

[3] . حسن عباس ، اللغة والنّحو بين القديم والحديث، ص 78.

[4] . مصطفى إبراهيم ، إحياء النّحو ، مؤسسة هنداوي للتّعليم والثّقافة ، القاهرة ، ط2 ، 1992 م، ص 07

مراجع الاستنباط كشفت عنه الأيّام بعد ذلك، فأثبتت تقصير اللغويين، وقصور النّحو المؤسّس على ما جمعوه[1].

وكان هذا التحديد حرصاً على أن تكون اللغة المأخوذة عربية خالصة من التأثيرات الأجنبيّة، ولكنّ هذه الحجة قد تعرّضت للنّقد و الطّعن، فهي لا تشفع لهم على حد قول د. عبّاس حسن، لأنّها واهنة غاب عن أصحابها ما غاب عن جامعي اللغة أن هذه القبائل المتروكة عربية أصيلة، وأنّها تملك من اللغة أضعاف ما تولكه القلّة المحصورة في الستة، وأنّه لا يعيبها أن تسكن الحضر وأطراف البلاد [2] .

4- توسيع الفترة الزمنيّة للاحتجاج:

كما أدّى توسيع الحدود الزّمنيّة للفترة التي حدّدوها للاحتجاج، والتي امتدّت على مدى عدّة قرون بعضها قبل الإسلام وبعضها بعده، إلى اضطراب القواعد وتصادم الأقيسة، وكان المنهج اللغوي يقتضيهم أن يميّزوا بين مادة لغوية تاريخية وصلت إليهم عن طريق النّصوص القديمة، فتُصنّف على أنّها نحو تاريخي، وبين المادة اللغوية الحيّة تجري بها الألسن ويتداولها النّاس في حياتهم [3] .

والحقّ أن النّحاة الأوائل ممّن كانوا في المقدّمة، وانقاد وراءهم في هذا الخلف، قصّروا في اتباع منهج سليم يحفظ اللغة والنّحو من الاضطراب والاختلال، فقد شرعوا في تدوين هذا العلم ولّما تستقم لهم بعدُ رؤية واضحة بائنة لا غبار عليها، لأنّ هناك تساؤلات بالغة الأهمية يجب التنبّه لها، وهي: من أي المصادر الوثيقة نستنبط قواعدنا ؟ ومن أيّ أنواع الكلام الأصيل ننتزع أحكامنا النّحوية ؟

5- عدم استقرار القواعد النّحوية :

وممّا زاد في اضطراب مناهج النّحاة عدم استقرار القواعد النّحوية، واعتماد النّحاة على الشّعر كمصدر أساسيّ لاستنباط هذه القواعد وأحكامها، والشّعر في اللغات كلّها له أسلوب خاص وأوضاع وتريب في الكلام يُقبَل من الشاعر ولا يُقبَل من الكُتّاب عادة، ولا يعدّ أصلاً يُتّبع في النثر ، ومن ثمّة لا يصلح الشّعر لأن يكون هو الطّريق للقوانين النّحوية لأنّه لا تُؤمن فيه السّلامة والاستقامة بحكم ما به من قيود [4] .

---

[1] . حسن عباس ، اللغة والنّحو بين القديم والحديث ، ص 77.

[2] . حسن عباس ، المرجع نفسه ، ص 79.

[3] . العزاوي (نعمة رحيم) ، من قضايا تعليم اللغة العربية رؤية جديدة ، ص 98.

[4] . مبروك سعيد عبد الوارث ، في إصلاح النّحو العربي، ص 30.

وكان ابن جني (ت 392ه) قد فطن إلى أنّ الشّعر قد يضطر الشاعرَ إلى مفارقة المعهود من نظام اللغة فقال : " والشّعر موضع اضطرار، وموقف اعتذار، وكثيراً ما يُحرّف فيه الكلم عن أبنيته، تحال المثل عن أوضاع صيغها لأجله " [1].

6- التأثّر بالمناهج الفكرية الأخرى :

وقد تأثر النّحو بمناهج التفكير الدينية والفلسفية آنذاك، بحكم أسبقيتها عليه، كعلم الكلام وأصول الفقه، ثمّ الفلسفة والمنطق بعدهما. يقول د. علي أبو المكارم: " فالتحليل العلمي يُثبت أنّ الأصول النّحوية قد استمدّت مقوماتها من عناصر إسلامية طوال فترة طويلة من الزمن قبل أن تتأثر هذه الأصول بمؤثرات غير إسلامية في أخريات القرن الثالث هجري وأوائل القرن الرابع " [2].

ويوجز عبد الكريم خليفة تأثر النّحو بهذه العلوم موضّحاً أثرها الإيجابي والسلبي عليه فيقول : "..فكان للمنطق وعلم الكلام والفقه والفلسفة آثار واسعة في هذا الأدب النّحوي. وإذا كانت هذه العلوم قد أغنت الدراسات النّحوية، وأدّت إلى ظهور علماء يقفون حياتهم على البحث في دقائقه، ويتخذونه مهنة لهم في معاشهم، فإنّها في الوقت ذاته قد أدّت إلى رسم صورة للعربية يكتنفها الغموض والتعقيد، وهي صورة غريبة عن العربية ونحوها.." [3] .

أ. تأثّر النّحو بعلم الكلام :

يعد علم الكلام من أهم العلوم الإسلامية وأكثرها تأثيراً في غيره؛ نظراً لأنّ موضوعه العقائد الدينية التي هي أساس للأحكام الشّرعية والعلوم الدينية، ومن ثمّ كثر استخدام العلماء من كلّ فن لاصطلاحات المتكلمين ومسائلهم على نحو ما نرى في مصطلحات الواجب والجائز والمستحيل، والعدم والوجود، والنّفي والإثبات، والهوية والماهية، والعين والذات، والعلّة والمعلول، وغيرها؛ فهذه الإصطلاحات صارت عرفا عاماً لدى الأصوليين والفقهاء والمفسرين والبلاغيين والنّحويين وغيرهم [4] .

وليس بغريب إذاً أن يتأثّر النّحو بعلم الكلام لأنّه سبقه إلى الوجود وذاع صيته واشتهر أعلامه، ولم يكن النّحو شيئاً مذكوراً، فمن طبيعة العلوم أن يتأثّر حديثها بقديمها، فالتعليل قاد النّحويين إلى دور المتكلمين

---

[1] . ابن جني (أبو الفتح) ، الخصائص ، تح : محمد علي النّجار ، ط2 ، بيروت ، 03/ 188.

[2] . صالح (محمد سالم) ، أصول النّحو،، ص 56.

[3] . خليفة (عبد الكريم) ، تيسير العربية بين القديم والحديث، ص 45.

[4] . مصطفى أحمد عبد العليم بخيت ، أثر العقيدة وعلم الكلام في النّحو العربي، دار البصائر ، القاهرة ، ط1، 1433ه 2012م، ص 28.

فوجدوا ضالتهم فيها فأخذوا عنهم أساليب الجدل، وأنواع العلل فوصلوا إلى التوفيق بين النّقل والعقل حتى قاربت عِلَلُهم عِلَلَ المتكلّمين [1] .

ومن الملاحظ أن المادة الكلامية كانت أكثر هذه المواد استخداماً في الكتب النّحوية ، وذلك راجع إلى أمرين:

أولها: ارتباط علم الكلام بما يتضمّنه من أسس منطقية بقوانين الفكر التي هي أيضاً من أسس الدراسة النّحوية.

والثاني: أن المنهج الكلامي كان يشكل لدى علماء العصور القديمة أحد مناهج البحث المعتمدة في التأليف والمناظرة العلميّة؛ لأنّه علم يقوم على الاستدلال وكيفية إيراد الحجج ودفع الشبه، فلا نكاد نجد كتاباً نحوياً من الكتب المؤلّفة بعد المائة الثالثة خالياً من اعتماد على الطريقة الكلامية سواء في التقسيم أو المصطلح أو التعليل أو التنظير أو غير ذلك [2] .

تأثر النّحو بعلم أصول الفقه :

أما علم أصول الفقه فقد كان أشدّ العلوم الإسلامية تأثيراً في الدّرس النّحوي منذ نشأته، حتّى زحمه الفكر اليوناني بتصوراته الذهنية ومنطقه الشّكلي، بعد ثلاثة قرون، وأوضح مظاهر التأثير العناية البالغة بالنّصوص جمعاً واستقصاءً على طريقة الأصوليين، وتحديد المصلحة النّحوية (لا خطأ ولا لبس) على شاكلة الأصوليين (لا ضرر ولا ضرار) ، قضية الأصل والفرع ، وتأثر النّحويين بالعلّة الأصولية فأنشؤوا العلّة النّحوية، أضف إلى ذلك أموراً أخرى لا يتسع المقام لذكرها [3] .

ويذهب ابن حزم إلى أنّه لا يحلّ لمن لا يعرف العربيّة أنْ يفتي في مسائل الدين ، فيقول: " لابُدّ للفقيه أن يكون نحوياً لغوياً، وإلّا فهو ناقص لا يحل له أنْ يفتي بجهله بمعاني الأسماء، وبعده عن الأخبار " [4]

لذا فإنّ العلاقة بين أصول الفقه وأصول النحو تكاد تتشابه وتتداخل؛ نظرًا للوحدة الإصطلاحية التي يدور حولها هذان العلمان، فإذا كان علم الأصول موضوعه "علم أدلة الفقه"، وإذا كان الفقهاء قد قسموا الحكم

[1] . المبارك (مازن) ، النّحو العربي، العلة النّحوية نشأتها وتطورها، دار الفكر ، بيروت ، لبنان، ط3، 1981م، ص 79 80.

[2] . مصطفى أحمد عبد العليم بخيت ، أثر العقيدة وعلم الكلام في النّحو العربي ، ص 32.

[3] . نحلة (محمد أحمد) ، أصول النحو العربي،دار العلوم العربية، بيروت ، لبنان، ط1، 1987م ، ص 15.

[4] . علي بن حزم الأندلسي الظاهري، الإحكام في أصول الأحكام، تح : محمد تامر، دار الكتب العلمية ، ط1 ، 2004م ، ج1 ، ص 72.

الشرعي إلى واجب وحرام، ومندوب ومكروه، ومباح ووضعي[1]. فكذلك ذهب النّحويون في تقسيمهم للحكم النّحوي، فهو عندهم واجب، وممنوع، وحسن، وقبيح، وخلاف الأولى، وجائز على السواء [2] .

وإذا سلّمنا بتأثّر النّحو بأصول الفقه وعلم الكلام، لكونهما من العلوم الدينية القريبة منه ، فإنّ المشكلة الكبيرة التي ابتُلي بها النّحو ولا يزال تأثيرها إلى اليوم، هي تسرّبُ عناصر أجنبية من مناهج التفكير إلى النّحو، وسيطرتها على عقول النّحاة، وهي دراسة المنطق اليوناني، الذي انتهى بهم إلى الانحراف عن الخلط اللغوي الأصيل لدراسة النّحو.

ب. تأثر النّحو بالفلسفة اليونانية :

أثّر المنهج الفلسفي في النّحو العربي، وأصبح خطاباً يُؤطّره إلى يومنا هذا، بل كان حضوره اطّراديّاً لم يتغيّر و لم يتبدّل، وملامح التأثير تتبدى في توجيه مسائله الاتفاقية والخلافية، وتكوين المتن الاصطلاحي للنّحو العربي، أضف إلى ذلك الإجراءات التطبيقية القائمة على هذا الجدل الفلسفي والعقائدي والخلافات المذهبية [3] .

من هنا أخذ النّحو ينحرف عن طريقه، وبدأ يتحوّل شيئاً فشيئاً إلى درس ملفّق غريب، ليس فيه من سمات الدّرس اللغوي إلا مظهره وشكله، ودبّ إلى هذا الدّرس جدب أودى بحيويته وقدرته على تأدية وظيفته، وصار درساً في الجدل يَعْرِضُ النّحاة فيه قدرتهم على التحليل العقلي، بما كانوا يفترضون من مشكلات وما يقترحون لها من حلول [4] .

وتظهر أزمة النّحو العربي حين أصبح نوعاً من التّحليل الفلسفي الذي لا يراعي طبيعة اللغة، ويؤكّد هذا المعنى ما جاء عند بعض أهل الأدب: " كنا نحضر عند ثلاثة مشايخ من النّحويين؛ فمنهم من لا نفهم من كلامه شيئاً، و منهم من نفهم بعض كلامه دون البعض، ومنهم من نفهم جميع كلامه، فأمّا من لا نفهم من كلامه شيئاً، فأبو الحسن الرّماني (ت 384ه)، وأمّا من نفهم بعض كلامه دون البعض فأبو علي الفارسي (ت 377 ه)، وأمّا من نفهم جميع كلامه فأبو سعيد السيرافي (ت 368ه) " [5].

---

[1] . حسين حامد حسان ، الحكم الشرعي عند الأصوليين، دار النهضة العربية، القاهرة، 1972م ،ص65.

[2] . السيوطي ، الاقتراح في علم أصول النّحو، ص 10 11 .

[3] . حساني أحمد، النظام النّحوي العربي بين الخطاب الفلسفي والخطاب التعليمي ن منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2001، ص 385.

[4] . المخزومي (مهدي) ، في النّحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت ، لبنان، ط2، 1986م، ص 14 15.

[5] . ابن الأنباري (أبو البركات) ، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تح : إبراهيم السامرائي، ص 234.

فهذه الرواية تبرز بعمق الخلل بين النّحاة أنفسهم في المنهج والتّعليم. والمتفحّص لبعض كتب النّحو يجدها أشبه بالألغاز والأحجيات على أن تكون قوانين مستنبطة من اللغة، فهي تستعصي على المعلّمين قبل المتعلمين.

ولكن إبراهيم مصطفى لا يرى ضرراً في الانتفاع من الفلسفة أو علوم أخرى، و إنّما يكمن الضرر في التوفيق في هذا الأخذ فيقول:" وليس من عيب أن ينتفع النّحاة بما بين أيديهم من الفلسفة ومن العلوم التي يدرسونها، ولا في أن يصطنعوا في تفكيرهم النّمط المألوف في زمنهم، والسبيل المرسومة للجدل أيامهم .. ولكن علينا أن ننظر مبلغ توفيقهم في نظرهم، وإصابتهم للغاية التي سعوا إليها، وهي الكشف عن أحكام الإعراب وأسراره " [1] .

وإذا تفحّصنا مبلغ توفيقهم في النّظر، عثرنا نتائج هذا النّظر مشكلات كثيرة حلّت بالنّحو العربي، فأتعبته وعقّدت من مسائله، كالإغراق في القياس، والتّعليل، وكثرة التقديرات، بل إنّه فتح لباب الاختلاف و تضارب الآراء مع كثرة الوجوه والتقديرات ما لا يُحصى ويُعد .

ومن أمثلة هذا التأثّر البيّن بالفلسفة والمنطق قول الزّجّاجي (ت 340ه) في حدّه للاسم والفعل والحرف، موضّحاً الحدّ على طريقة الفلاسفة :" إن الحدّ لا يجوز أن يختلف اختلاف تضاد وتنافر، لأن ذلك يدعو إلى فساد المحدود وخطأ من يحده، ولكن ربما اختلفت ألفاظه على حسب اختلاف مما يوجد منه، ولا يدعو ذلك إلى تضاد المحدود، كما يوجد الحدّ تارة من الأجناس والفصول وتارة من المواد والصور لأن المادّة تُشاكل الجنس، والصورة تُشاكل الفصل، ألا ترى أن الفلاسفة الذين هم معدن هذا العلم أعني معرفة الحدود والفصول والخواص وما أسبه ذلك قد اختلفوا في تحديد الفلسفة نفسها اختلافاً " [2] .

وأدّى هذا التأثّر بالفلسفة والمنطق الأرسطي إلى الاضطراب المنهجي في التقعيد، فكان التركيز على النّظرة المعيارية التي تعني محاولة الوصول إلى مجموعة من القوانين والضّوابط المطّردة، و فرضها على اللغة ، فاتخذوا القياس المنطقي لهم منهجاً و طريقاً من طرائق التفكير في النّحو .

[1] . مصطفى إبراهيم ، إحياء النّحو، ص 33 34.

[2] . الزجاجي (أبو القاسم) ، الإيضاح في علل النّحو، ص 46 47.

ثالثا : عيوب في المادّة النّحوية :

1- غرابة المصطلحات النّحوية:

إذا تفحّص الباحث المادة النّحوية والمتن الاصطلاحي الذي كتب به النّحاة، فإنّه يجد مشاكل وصعوبات أخرى، أهمها النّفور من الخطاب الدّخيل على النّظام النّحوي، والذي استعار النّحاة لغته وأدواته من الفلسفة والمنطق الأرسطي [1] .

وفي هذا الصّدد يقول د. أنيس فريحة: " إنّ الشقّة بين المدلولات الأولى للمصطلحات النّحوية وبين ما ترمز إليه في هذا العلم وائعة وتشكّل عثرة لأكثر الطلاب: المسند والمسند إليه، المضارع ، المبتدأ، صيغ المبالغة، الصفة المشبهة، الممنوع من الصرف، لا محل له من الإعراب، صلة العائد وغيرها من المصطلحات يفهمها علماء اللغة والمتفقهون ولكنها لا تعني شيئاً عند المتعلّمين " [2] .

وهذا النّفور إنّما نشأ لأنّ ما استحضره النّحاة من مصطلحاتٍ غريبٌ لم يكن مألوفاً ولا شائعاً في البيئة العربية القديمة، ممّا جعل أهل العربية من الفصاحة والنّاطقين بالسّجية يتعجبون منه ويستهجنونه، بل ويرفضونه رفضاً شديداً، ويمكن في هذا المقام أن نلجأ إلى بعض الشهادات من التّراث العربي نفسه لتعميق ما نحن بشأنه؛ إذ يروي أنّ أبا مسلم مؤدّب عبد الملك حضر درساً في النّحو و لم يفهم منه شيئاً نتيجة إغراقهم في مصطلحاته ونظرياته فعافه وهجا أصحابه [3].وذكر أبو حيان أنّ أبا سليمان قال: " نحوُ العرب فطرة ، ونحونا فطنة؛ فلو كان إلى الكمال سبيل لكانت فطرتهم لنا مع فطنتنا ولكانت فطنتنا لهم مع فطرتهم " [4].

2- تداخل المصطلحات وتعدّد المفاهيم:

ومن عيوب المادّة النّحوية كذلك تداخل المصطلحات وتعدّدها للمفهوم الواحد والتباسها، قد أدّى إلى الاضطراب وعدم الوضوح، ومع أنّ المصطلحات قد اختلفت بين النّحويين إلا أنّها تتقارب في الدلالة اللغوية، ومثال ذلك الخصومة بين البصريين والكوفيين، ممّا نشأ عنه رفضهم لمصطلحات بعضهم البعض، فجعل الأمر أكثر سوءاً، فمثلاً نجد عند الكوفيين مصطلحات (الترجمة والتبيين والتكرير والمردود) كلّها لما يسمى عند البصريين "البدل" وسيبويه يسمي عطف البيان بدلاً، ويطلق الفرّاء التفسير على ما عُرف عند البصريين

[1] . حساني أحمد، النظام النّحوي العربي بين الخطاب الفلسفي والخطاب التعليمي، ص 386.

[2] . فريحة أنيس ، نظريات في اللغة ، دار الكتاب ، بيروت، لبنان، ط2 ، 1981م، ص 167.

[3] . التوحيدي (أبو حيان) ، الإمتاع والمؤانسة ، تح: أحمد أمين وأحمد الزين، ج 2 ، ص 139.

[4] . التوحيدي (أبو حيان) ، المرجع نفسه، ص 139.

بمصطلح (المفعول لأجله) ، ويطلقه أيضاً على التمييز [1]. وهذا ما جعل الأمر أكثر سوءاً واضطراباً ، فالمادّة النّحوية تنفّر قاصديها و تُرهق أهل الاختصاص فيها لشدّة صعوبتها .

3- التمارين غير العمليّة :

أضف إلى ذلك التمارين غير العمليّة التي صنعوها للدربة والرياضة اللّغوية [2]، أي ؛ التمارين اللّغوية كانت في العديد من الأحيان لا تعمّ القواعد النّحوية كلّها إذ أنّها كانت ضئيلة الشواهد ممّا اشتدّ و عسُر إدراكها ، ومن ذلك قول سيبويه: " وأما قول النّحويين قد أعطاهوك وأعطاهوني؛ فإنّما هو شيء قاسوه لم تكلّم به العرب، ووضعوا الكلام في غير موضعه، وكان قياس هذا لو تُكُلّم به هيّناً " [3]، ويقول ابن جني : " وذلك عندنا على ضربين أحدهما الإدخال لما تبنيه في كلام العرب والإلحاق له به، والآخر الْتِماسُك الريّاضة به والتّدرب بالصّنعة فيه : الأوّل ، نحو قولك: في مثل (جعفر) من (ضرب) (ضربب) " [4] .

إضافة إلى كثرة الشواهد الشّاذة وغير المنسوبة بين ثنايا كتب النّحو، وفي كتاب سيبويه خمسون بيتاً بلا يُعرف صاحبها [5] .

4- الاختلاف البيّن في القواعد النّحويّة :

ثمّ إن الخلاف والتفرّق في كثير من القواعد النّحوية كان أظهر العيوب فيها، وأكبر العقبات في تحصيلها، والوصول إلى ضوابط محدودة سليمة، يسهل استخدامها، والاستعانة بها في التفاهم الكلامي والكتابي على وجه محكم دقيق ، لا فوضى فيه ولا اضطراب، شأن العلوم القاعدية المضبوطة التي تأخذ بيد صاحبها إلى غاياتها، وتنهض به في يسر وسهولة ودقّة إلى حيث يبغي منها [6].

لذلك فقد ملّ المتعلمون في عصرنا وقبل عصرنا و ابتعد فريق منهم عن مشقّة التحصيل وعناء الاستيعاب، وفرّ بنفسه من هذه الصراعات والاختلافات، قانعاً باليسير، مؤمناً بأنّ مام فاته ليس ذا بال .

---

[1] . القوزي (عوض أحمد) ، المصطلح النّحوي نشأته وتطوّره حتى أواخر القرن الثالث الهجري، جامعة الريّاض، 1981م ، ص 164.

[2] . ينظر: جنان التميمي، النحو العربي في ضوء اللسانيات الحديثة ، دار الفارابي، مصر ، ط1 ، 2013م ، ص 24.

[3] . سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان) ، الكتاب، ج2 ، ص 364.

[4] . ابن جني (أبو الفتح) ، الخصائص، تح: محمد علي النّجار، عالم الكتب، بيروت، د ط ، ج3 ، ص 487.

[5] . الحسين (محمد الخضر)، القياس في اللغة العربية، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، دط ، 1986م، ص 38.

[6] . حسن عباس، اللغة والنّحو بين القديم والحديث، دار المعارف ، مصر، ط2 ، 1966م، ص 73.

5- تعدّد الآراء والأقوال في المسائل النّحويّة :

وعلى رأسها هذه العيوب تعدد الآراء وكثرة الخلافات حول المسألة الواحدة، حتى ليستطيع الباحث أن يرى الرأي فيقول وهو آمن : إن هناك رأياً آخر يناقضه، من غير أن يُكلّف نفسه مشقّة الاطّلاع، والجري وراء هذا النّقيض، ذلك أنّه يعلم من طول ممارسة النّحو، والنّظر في قواعده، أنّ الواحدة منها لا تخلو من رأيين، أو آراء متعارضة [1].

والمطّلع على كتاب " همع الهوامع "، أو " الأشموني (ت 929ه) وحاشيته " ليَهُولُه ما يرى من كثرة تشعّب الأقوال واختلاف الآراء وكثرتها وتباعدها حتى لا يحتاج إلى تعدّد، وأغلب القضايا مختلف فيها لم تتّحد كلمة النّحاة على رأي مُوحّد بخصوصها، و لم تتفق أحكامهم على مسألة من المسائل الكليّة أو الجزئية، بل لم تقترب حتى.

إنّها الأزمة التي تعرّض لها النّحو العربي مردّها إما الانكباب على الإرث تعظيماً وتقديساً، وإمّا التيمم شطر الدّرس اللّساني العربي انبهاراً واستعارةً، فكانت الحاجة ملحّة إلى تخليص النّحو العربي من العيوب والشوائب التي دفعت إلى إغراقه وتعقيده، وذلك بتبسيط قواعده وتيسيرها لتكون زاداً طيّباً للناشئة بعدما كانت معقّدة مسببة للنّفور ومنعكسة على تحصيل الطلبة وإقبالهم على دراسة العربية، وإدراكهم لها بظهور مصطلح التّجديد، وتعالت الصيحات المطالبة بالتجديد بعدما كان الاتهام موجه إليه بالجمود والرتابة وعدم مسايرة الزمان، ولا يخفى علينا أنّ التّجديد في النّحو يعدّ دعوة صريحة للإصلاح والتطوير غاية في تسهيله للمبتدئين و تنحية الغموض وإزالة التعقيد من عباراته المبهمة [2].

[1] . حسن عباس، المرجع السابق ، ص 72.

[2] . ينظر: ملاوي الأمين، تيسير النّحو العربي بين التنظير والتّعليم ، مجلة العلوم الإنسانيّة،، جامعة محمد خيضر ، بسكرة، ع 25، 2012م، ص 213

خلاصة عن علمائنا السابقين، وآثارهم في النّحو والمراجع التي خلّفوها:

بعد هذه النبذة المختصرة حول أبرز مشاكل النّحو وصعوباته، اتضح حقيقة أنّه من المفروض تفادي هذا الاضطراب، والعمل على تسهيل النّحو العربي ، وقد أدرك أسلافنا القدامى من أنفسهم هذا الالتباس، فانكبوا في التفتيش عن سبل تيسيره بعد أن صار غامضاً و معقّداً و منفّراً للناشئة والدّارسين ، فكان منهم الجدّ والعمل لتفادي وتدارك هذه الأزمة التي تتوعّد اللغة العربية .

فألّفوا لأجل ذلك المختصرات والمنظومات والشروح؛ رغبة منهم في تبسيط النحو العربي لطالبيه، ولكنّ هذه المحاولات و الجهود لم تخرج عن نطاق الشّرح والإيجاز والتقريب، وتحاشي القضايا المتضاربة، و يتّضح من عناوينها الحاجة إلى التيسير والتطوير والتجديد.

ولعلّ دعوة الجاحظ (ت 255ه) أعلام النّحو إلى الإيجاز والتيسير هي من الدعوات الأولى، خاصة حين أدرك نفور الطلاب من صعوبات النّحو وغموضه ، فقال يوصي المعلمين: " أمّا النّحو فلا تشغل قلب الصّبيّ منه إلا بقدر ما يؤديه إلى السّلامة من فاحش اللّحن، ومن مقدار جهل العوام في كتابٍ كتبه وشعرٍ إن أنشده، وشيءٍ إن وصفه، وما زاد على ذلك فهو مشغلة عمّا هو أولى به ومذهل عمّا هو أرد عليه، من رواية المثل والشّاهد والخبر الصّادق والتعبير البارع "[1] .

وإذا رجعنا إلى كتاب سيبويه فقد بقي المصدر الأساسي لنّحو العربية عبر قرون [2]، فقد حاز على شهرة واسعة قديماً وحديثاً، حتى عُدّ إماماً أو كما قيل " قرآن النّحو "، وعليه كان مدار التأليف من شرحٍ لمشكلاته ونكته وأبنيته وشواهده، أو اختصار له، أو اختصار شروحه، أو اعتراض عليه [3].

فممّن تصدى لشرحه أبو الحسن الأخفش الأوسط (ت 215 ه)، وأبو عثمان المازني (ت 248ه)، وأبو بكر بن السّراج (ت 316ه)، وأبو سعيد السيرافي (ت 368ه)، وأبو علي الفارسي (ت377ه، وجار الله الزمخشري (ت 538ه)، وأبو عمرو عثمان بن الحاجب (ت 646ه) [4] .

---

[1] . الجاحظ (أبو عثمان) ، رسائل الجاحظ، تح : عبد السلام هارون، ط1 ، بيروت، دار الجيل، 1991م ، ج 2، ص 38.

[2] . خليفة (عبد الكريم)، تيسير العربية بين القديم والحديث، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، عمّان ، الأردن، ط1، 1986م، ص 43.

[3] . سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان) ، الكتاب ، ج1 ، ص 36 41

[4] . السيوطي (جلال الدين) ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنّحاة، ج1، ص 465.

ومن أبرز من تصدى لشرح مشكلاته أبو عمرو الجرمي (ت 225ه)، وأبو حاتم السجستاني (ت 250ه)، ومحمد بن يزيد المبرّد (ت 285ه) [1]. ونهض فريق بشرح شواهده كالمبرّد، وأحمد بن محمد النّحاس (ت 338ه)، ويوسف بن الحسن بن السيرافي (ت 385ه) [2] .

ولكنّ هذه المحاولات المبذولة رغم أنّها جليلة وغنية عن التعريف، فما هي إلا تبسيط وتخليص للكتاب من طول الشروح والاستطرادات واللغة المركّزة والمعقّدة الموجودة فيه، فالإشكال الأكبر يمسّ صميم المنهج وجوهره.

وقد نهضت كتب أخرى إلى جانب المحاولات السابقة، تعرض النّحو بطرائق جديدة أكثر يسراً وسهولةً، لتعالج في ظن أصحابها عللاً حلّت بمناهج من سبقوهم في التأليف، فحال بين الدارسين، وفهم ما جاء في تلك الكتب، وبرزت كتب عديدة لإصلاح المعضلات السابقة:

1- " مقدّمة في النّحو " لخلف الأحمر :

أول هذه الجهود القديمة و أشهرها محاولة خلف بن حيّان الأحمر البصري(ت 180 ه)، وكتاب "مقدّمة في النّحو" و قد حدّد في مطلعها دواعي تأليفها وهدفه منها، فقال :" لما رأيت النّحويين وأصحاب العربية قد استعملوا التطويل وأكثروا العلل وأغفلوا ما يحتاج إليه المتعلّم المتبلّغ في النّحو من المختصر والطرق العربية، والمأخذ الذي يُخفّف على المبتدئ حفظه ويعمل في عقله، ويُحيط به فهمُه، فأمعنت النّظر والفكر في كتابٍ أؤلّفه وأجمع فيه الأصول والأدوات والعوامل على أصول المبتدئين، ليستغني به المبتدئ عن التطويل، فعملتُ هذه الأوراق، و لم أدع فيها أصلاً ولا أداة ولا حجّة ولا دلالة إلا أمليتها فيها، فمن قرأها وحفظها وناظر عليها، علمَ أصول النّحو كُلّه " [3].

وفي هذا القول من صاحب الكتاب يتّضح بأنّ هدفه من وراء تأليفه له هو الاختصار بالاستغناء عن التطويل وكثرة العلل، والاقتصار على ما يحتاجه المبتدئون للإلمام بأصول النّحو، والمتصفّح للكتاب يجده بوجه الإجمال

[1] . خليفة (حاجي)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، لبنان، دط، 1941م، ج2، ص 1427

[2] . القفطي (علي بن يوسف)، إنباه الرواة على أنباه النحاة، دار الفكر العربي ، القاهرة، ط1، 1406ه / 1986م ، ج3 ، ص 285.

[3] . خلف الأحمر، مقدّمة في النّحو، تح : عز الدين التنوخي، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، وزارة الثقافة السورية، 1965 م، ص 33 34.

تلخيص لنظرية العامل التي وقف عليها هذا العلم العربي. ويقول فيه أحمد حسن الزيّات : " هذا هو النّحو قبل أن يُفلسفوه[1]". ومن بين العناوين التي ضمّها الكتاب :

- باب الحروف التي ترفع كلّ اسم بعدها.
- باب الحروف التي تنصب كلّ شيء أتى بعدها.
- باب الحروف التي تخفض ما بعدها من اسم [2].

وقد جمعت المقدّمة على صغر حجمها أساسيات النّحو العربي، وسلك مؤلفُها في عرض الظواهر النّحوية مسلكاً وصفياً إلى حدّ ما، وشملت مباحث متعددة من النّحو، خلصت إلى حد كبير من تلك العيوب، فجاءت فيها قواعد النّحو متكاملة وواضحة [3] .

وفي أغلب الأحيان تتبع القاعدة بمثال يوضّحها و يقرّبها إلى عقول الدارسين؛ ومن ذلك (باب وجوه الرّفع) الذي جاء فيه أن الرفع يأتي من ستة أوجه لا غير وهي : الفاعل، وما لم يسم فاعله، والابتداء، وخبره، واسم كان، وخبر إنّ. فكلّ ما أتى من الرفع بعد هذا فهو من الستة وراجع إليها وجزء منها[4].

والظاهر أن المصنف خطّ منهجاً بذل مجهوداً لاتّباعه ولكنّه لم يفلح، فكان منطلقه العوامل أي الكلمات التي ترفع أو تنصب أو تجرّ أو تجزم ما بعدها، ثمّ عرّج بذكر وجوه الرّفع ووجوه النّصب ووجوه الجرّ وتفسيرها. حيث أنّه فقد بعض الشيء في الترابط والإحكام، ففي آخر كلامه عن الخفض يمثّل لقوله تعالى:﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ [5]، و يذكر أنّها في التّعجّب، ثم يعرض لأبواب متفرقة، عن إنّ وأخواتها وعملها ومعانيها، وكان وأخواتها وعملها [6] .

---

[1] . شعبان عوض محمد العبيدي، النّحو العربي ومناهج التأليف والتحليل، دار طلاس، دمشق، دط، 1989 م، ص 112.

[2] . خلف الأحمر، مقدمة في النّحو، ص 36 41 43.

[3] . مبروك سعيد (عبد الوارث) ، في إصلاح النّحو العربي، ص 39 40.

[4] . خلف الأحمر، المرجع نفسه، ص 54.

[5] . الكهف: 05.

[6] . عبادة محمد إبراهيم، النّحو التعليمي في التراث العربي، ص 42.

2- " التفاحة " لأبي جعفر النّحاس :

يعدّ الكتاب الثاني هو كتاب " التفاحة " لأبي جعفر النّحاس المصري (ت 338ه)، أقرب إلى العمل النّحوي المنظّم، فمصطلحاته أكثر ثباتاً واستقراراً، وأبوابه مرتّبة وفق المنهج المألوف في كتب النّحو، و يشرع بإظهار أقسام العربية اسم وفعل وحرف يليه مبحث عن الإعراب وأنواعه ثمّ تتوالى الأبواب الأخرى.

ومن طريقة عرض مادته يتّضح أنّه " وضع ككتاب مدرسيّ يلبي حاجة طلاب العربية، ودارسي النّحو المتعجين، ولذلك فللكتاب قيمة كبيرة من النّاحية التّعليميّة [1] "، فكلامه واضح بيّن، ومسائله سهلة الإدراك، لأن صاحبه "كان أكثر دقّة وأقلّ ترخصاً في إطلاق المصطلحات وفي الأحكام التي يصدرها لبيان الوظائف النّحوية، والملاحظ أنّه اقتصر على قواعد النّحو وأغفل التعرّض لمباحث علم الصّرف كما فعل خلف الأحمر في مقدّمته" [2].

ويُعتبر هذا الكتاب بحقّ من المختصرات التي تصلح للمبتدئين، وقد ضمّنه صاحبه واحداً وثلاثين باباً، عنيَ ببيان العلامة الإعرابية لأنّها معيار تقويم اللّسان، وكيف يهتدي إليها المبتدئ فيصيب ولا يُخطئ، وحرص المصنّف على أن يبرأ الكتاب من ذكر العلل والخلاف بين النّحويين، وذكر الفرق بين المعرب والمبني، وتقسيم علامات الإعراب إلى أصليّة وفرعيّة، إلى آخر ذلك من المسائل الشائكة [3] .

3- " الجمل في النّحو " لأبي القاسم الزّجاجي:

هو أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزّجاجي (ت 340ه)، مؤلف كتاب "الجمل في النّحو" فغالباً ما تكون كتبه موجزة و مركّزة، كما تحمل قيمة عظيمة في تاريخ النّحو. وقد جاء بكتابه الذي يعرض لحصيلة تجربته الفنيّة في التعليم، إذ يعدّ نحوه يسيراً وسهلاً بعيداً كلّ البعد عن الغموض، خالياً من التعليلات الفلسفيّة، وميّز الزّجاجي كتابه هذا في أكثر من موضع بأنّ كتابه موجز بسيط، والواضح أن أسلوبه تعليمي، إذ ينهي كلّ باب تقريباً بما يفيد ذلك ، كقوله : " فافهم، فقس عليه تصب إن شاء الله " [4] .

---

[1] . أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، عالم الكتب، القاهرة، ط6، 1988م، ص 156

[2] . مبروك سعيد عبد الوارث ، في إصلاح النّحو العربي، ص 40

[3] . عبادة (محمد إبراهيم) ، النّحو التّعليمي في التّراث العربي، دار منشأة المعارف، الإسكندرية ، مصر، دط، 1986، ص 46 48.

[4] . الزجاجي (أبو القاسم) ، الجمل في النّحو، تح: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، دار الأمل، ط1، 1989م، ص 18 19.

وقال عنه " القفطي ": " هو كتاب المصريين، وأهل المغرب، وأهل الحجاز واليمن والشام، إلى أن اشتغل النّاس ب (اللّمع) لابن جنّي، و (الإيضاح) لأبي علي الفارسي [1] .

وقد أكثر الزّجاجي فيه من الشّواهد القرآنية والشّعرية والأمثلة، ليصل بمناقشتها بيسر وسهولة إلى تقرير قواعد موضوعاته، مع براعته في التّحليل والتّعليل. فأورد مثلاً ما يزيد على عشرين ومائة من الشواهد القرآنية، وما يزيد على ستين ومائة بيت من الشّعر والرجز، وينسب أكثرها إلى قائليها، أضف إلى ذلك عدداً من الأمثال والأقوال المشهورة، بينما اقتصر على حديثين شريفين فقط [2] .

ولكتاب "الجمل" شروح كثيرة، من أهمّها كتابُ "الحلل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل" لابن السيّد البطليوسي (ت 521ه)، والظاهر أنّ الزّجاجي تعرّض للنّقد من قبل البطليوسي، لأنّ هدفه يتضح من العنوان، فهو لم يقصد شرحاً أو تفسيراً للكتاب بقدر ما كان يُحاول إصلاح أخطاء الزّجاجي في كتابه، يقول البطليوسي في مقدّمة كتابه: "وليس غرضي أن أستوفي ما لم يذكره من أنواع هذا العلم وأقسامه، وإنّما غرضي أن أنبه على أغلاطه، والمختل من كلامه " [3] .

إذن فهو كتاب جامع للنّحو، و يعتبر من أهمّ ما ألّف الزّجاجي ، فهو يضمّ العديد من الأمثلة التوضيحية مع بساطة وسهولة منهجه ليسّر إدراكه على الدارسين.

4- " الإيضاح " لأبي عليّ الفارسي (377ه) :

هو كتاب الإيضاح لأبي عليّ الفارسي، الذي ذاع صيته واعتمده الكثير من المعلّمين والمتعلّمين ، وقام بشرحه العديد من النّحويين وأبرزهم " عبد القاهر الجرجاني " .

وقد ضمّ أبي علي الفارسي في كتابه الكثير من المسائل النّحوية و القليل من المواضع الصّرفية " يعرضها مرتبة ترتيباً منهجياً، ومن أبرز صفاته التّجانس بين موضوعاته في نظام تعليمي أقرب ما يكون إلى الترتيب والتبويب المتعارف عليه في المؤلفات التعليميّة " [4]. إذ بدأ كتابه بباب الكلام و يتألف منه وأتبعه بباب المرفوعات ثمّ المنصوبات وبعدها الأسماء المجرورة ... إلى غير ذلك.

---

[1] . جمال الدين أبي الحسن القفطي، إنباه الرواة على أنباه النّحاة، ص 161.

[2] . الزجاجي (أبو القاسم) ، الجمل في النّحو، ص 18 19.

[3] . البطليوسي (ابن السيّد)، الحلل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل، تح : حمزة النشرتي، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1، 2003م، ص 19.

[4] . سعود أبو تاكي، خصائص التأليف النّحوي في القرن الرابع الهجري، دار الغريب، القاهرة، ط1، 2005م، ص 116.

فكان أسلوب عرضه للمادة النّحوية مناسباً لتفكير النّاشئة والمبتدئين، لأنه اجتنب الولوج في تعقيدات النّحو، والانغماس في علله وصعوباته.

5- " الواضح " لأبي بكر الزبيدي :

يعتبر كتاب "الواضح" لأبي بكر الزّبيدي من أحسن الكتب التعليميّة، إذ يوحي إلى التجديد والتبسيط وأهميته بادية في قوله " في هذا المنهج العلمي الذي يتبناه الزّبيدي في معالجة قضايا النّحو لغايات تعليميّة من أجل تيسيره وتسهيل قواعده، وجعلها سائغة أمام المتعلّم " [1].

وقد ألّفه الزبيدي حين اختاره المستنصر بالله صاحب الأندلس لتأديب ولده وولي عهده (هشام المؤيّد).كما أنّه تأثر بمنهج الزّجاجي فكتابه لم يقتصر على الموضوعات النّحوية ، بل نظر إلى اللغة باعتبارها وحدة متكاملة، فعنيَ بموضوعات النّحو والصّرف، إلى جانب عنايته المتميّزة بالصّوتيات [2] .

ويتجنّب صاحب الكتاب كثرة التّعريفات و الخلافات الحاصلة بين النّحويين، فركّز بدوره على الأمثلة المختلفة المعينة على تكوين الحسّ اللغوي الصحيح، فامتاز الزّبيدي بطريقة ليّنة ويسيرة في تسهيل القواعد النّحوية، وتقديمها للمبتدئين .

6- " اللُّمع " لابن جني :

أما كتاب "اللُّمَع" لابن جني (ت 392ه) فيحتل مكانةً مرموقةً باعتبار أنّه وضع بعد "الكتاب" لسيبويه. وصاحبه يملك خبرة طويلةً وفائقةً بعلوم العربية، بحيث أراد في أواخر حياته تصنيف كتاب سهل وميسر في النّحو والصرف، فوضع هذا الكتاب ليناسب مستوى النّاشئة من المتعلّمين، فاقتصر فيه على عرض المسائل الأساسيّة الضّروريّة من أجل تقويم اللّسان والقلم، مبتعداً عن استطرادات العلماء في عرض المسائل واستقصاء الآراء [3] . ويتميّز ابن جني بدقّة استعمال مصطلحاته وبتسمية الأشياء بمسميات دقيقة. ونرى "شوقي ضيف" يشير إلى أن ما قام به ابن جني في كتابه "اللّمع" وعدّه بأنّه جمع لكلام أستاذه "أبي علي الفارسي" فيظهر ذلك

[1] . الزبيدي أبو بكر ، الواضح ، تح: عبد الكريم خليفة، دار جليس الزّمان، عمّان، الأردن، ط2 ، 2011م، ص 18.

[2] . خليفة (عبد الكريم) ، تيسير العربية بين القديم والحديث، مجمع اللغة العربية الأردني، ط1، 1986م، ص 47.

[3] . عبادة (محمد إبراهيم)، النّحو التّعليمي في التراث العربي، ص 27 29.

في حديثه عن مؤلفات "ابن جني"حين قال: "وبينها مصنفات وقفها على تسجيل كلام أستاذه الفارسي مثل اللّمع" [1].

فقد اعتُمد هذا الكتاب في تقريب الدّرس النّحوي لأذهان المتعلّمين، وساهم بشكل كبير في تجديد وتسهيل هذا العلم، فانفرد بالعموم والإيجاز والوضوح، و السهولة والتنظيم . وبعد وفاة "ابن جني" لقي هذا الكتاب ما لقيته أمّهات كتب النّحو قبله من اهتمام لدى العلماء، وقد حفظ لنا التّاريخ أسماء نخبة من العلماء الذين قاموا على خدمة هذا الكتاب [2] .

7- " المُفَصّل " للزّمخشري :

وكتاب "المفصّل" لجار الله الزّمخشري (ت 538ه)، "ما كاد يظهر حتى تلقته العلماء والأدباء في كلّ مكان؛ إذ وجدوا فيه ضالتهم المنشودة، والأمل الذي ظلّ يراودهم منذ سنين فقد ظهر المؤلّف الذي يحوي بين دفته النّحو كلّه في عبارةٍ موجزةٍ، وترتيب مفصّل دقيق، ساعدهم على حفظه ودراسته " [3] .

كان خلاصة عبقريته وحوصلة تجاربه لإنشاء خطّة شاملة لكافة القضايا النّحوية المعروفة في زمانه. وعرّفنا الزّمخشري بدواعي تأليفه لهذا الكتاب حين قال : "لقد ندبني ما بالمسلمين من الأرب إلى معرفة كلام العرب وما بي من الشفقة على أشياعي من حفدة الأدب لإنشاء كلام في الإعراب محيط بكافة الأبواب مرتباً ترتيباً يبلغ بهم الأمد البعيد بأقرب السعي، ويملأ سجالهم بأهون السّقي، فأنشأت هذا الكتاب المترجم بكتاب المفصّل في صنعة الإعراب ... مع الإيجاز غير المخلّ والتّلخيص غير المملّ " [4].

وقد شقّ الزّمخشري في هذا الكتاب طريقاً جديداً في تناول النّحو وطرح قضاياه، فقام بحصر مادّة النّحو في أربعة أقسام أساسية : جعل القسم الأوّل للأسماء، والقسم الثّاني للأفعال، والقسم الثّالث للحروف، والقسم الرابع للمشترك من أحوال الأسماء والأفعال والحروف، وتناول الأحكام النّحوية والصّرفية المتّصلة بهذه الأقسام[5].

---

[1] . شوقي ضيف، المدارس النّحوية، ص266.

[2] . الواسطي (محمد بن مباشر)، شرح اللّمع في النّحو، تح: رجب عثمان بن محمد وتص : رمضان عبد التّواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1، 1420ه / 2000م، ص 11.

[3] . علم الدّين السّخاوي، قضايا الخلاف النّحوي في المفضّل شرح المفصّل، تر وتح : عبد الله عبد العليم حسن، دار الكلمة، القاهرة، ط1، 2012م، ص 15.

[4] . الزمخشري (جار الله)، المفصّل في علم العربية، دار عمّار، الأردن، ط1، 1425ه/ 2004م، ص 05.

[5] . الزمخشري (جار الله)، المرجع السابق ، ص 05.

خلا المفصّل للزمخشري من الاضطراب المنهجي إذ منطلقه لم يكن العامل ولا المعمول؛ كمظهر أوّل، وقام بمزج القضايا النّحوية بالقضايا الصّرفية؛ كمظهر ثاني ، فامتاز كتابه بالتجديد في علم النّحو .

اهتم أهل علم النّحو بهذا الكتاب اهتماماً بالغاً بحيث وجدوا فيه سهولة وتفصيل، فانكبوا في دراسته وشرحه وكذا الردّ على زلاته، ومن أبرز شروحه شرح ابن يعيش النّحوي (ت634ه)، إذ يرى ابن يعيش "فلما كان الكتاب الموسوم بالمفصّل، جليلاً قدره، نابهاً ذكره، قد جُمعت أصول هذا العلم فصوله، وأوجز لفظه، فتيسّر على تحصيله، إلا أنّه اشتمل على ضروب منها : لفظ أغربت عبارته فأشكل، ولفظ تتجاذبه معانٍ فهو مجمل، ومنها ما هو بادٍ للأفهام إلا أنّه خالٍ من الدّليل مهمل " . [1]

8- " الكافية " لابن الحاجب :

كتاب "الكافية" لابن الحاجب (ت 646ه)، يعدّ صاحب رغبة جامحة في تيسير علم النّحو وتبسيطه، فاتجه إلى المفصّل للزمخشري وكتب بإقتضاب منه هذه المقدمة الصغيرة وسمّاها "الكافي" وهو بذلك يكفي الدّارس النّحوي المبتدئ عن الكتب الغامضة المعقّدة.[2] وظهرت المنافسة بين الأعلام من أجل شرح "الكافي" ومن أهم هؤلاء الأعلام محمد بن الحسن الرضيّ الأستراباذي النّحوي (ت 686ه)، و قد تمّت هذه الشروح باللغة العربية وكذا الفارسيّة. [3]

وقد اقتفى ابن الحاجب أثر الزّمخشري في كتابه " المفصّل " فبدأ بالحديث عن الكلمة والكلام، ثمّ تناول الاسم وما يتّصل به من إعراب، رفعاً، ونصباً، وجراً، ومن بناء، وتعريف وتنكير، وتذكير، وتأنيث، وإفراد وتثنيّة وجمع، ومن العمل عمل الفعل مصدراً، واسم فاعل، واسم مفعول، وصفة مشبهة، واسم تفضيل، ثمّ ثنى بقسم الفعل وخوّاصه وأصنافه، ثمّ انتهى إلى قسم الحروف [4] .

9- " التسهيل " لابن مالك :

ونختم هذه السلسلة من الكتب بكتاب " لتّسهيل" لابن مالك (ت 672ه)، الذي يعتبر من الكتب المعروفة على نطاق واسع، بحيث أنّه أحاط بجميع المسائل النّحوية، فجاء مسهلاً ومبسطاً لمادة علم النّحو، وغلب على

---

[1] . علم الدّين السّخاوي، قضايا الخلاف النّحوي في المفضّل شرح المفصّل، تر و تح : عبد الله عبد العليم حسن السنتريسي، دار الكلمة للنشر والتوزيع، ط1، 2012م ، ص 16.

[2] . ينظر : مكرم (عبد العال سالم) ، المدرسة النّحوية في مصر والشام ، دار الشّروق، القاهرة، ط1، 1980م، ص 63.

[3] . ينظر : خليفة (حاجي) ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج2، ص 1370.

[4] . عبادة (محمد إبراهيم) ، النّحو التّعليمي في التراث العربي، ص 63.

منهجه الطّابع التّعليمي من خلال أسلوبه في عرض القضايا النّحوية، ويظهر ذلك في مقدّمة كتابه: " هذا كتابٌ في النَّحو جعلتُه بعون الله مستوفياً لأصوله، مستولياً على أَبوابه وفصولِه؛ فسمّيته لذلك: (تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد) فهو جدير بأَن يلبّيَ دعوتَه الأَلِبّاءُ، ويجتنبَ منابَذتَه النّجباءُ، ويعترفَ العارفون برشد المُغْرَى بتحصيله، وتأتلفَ قلوبُهم على تقديمه وتفضيله. فليثقْ متَأَمِّلُه بلوغ أَمَلِه، وليتلَقَّ بالقبول ما يرد من قِبَله وليكنْ لحسن الظنِّ آلِفا، ولدواعي الاستبعاد مخالفا" [1] .

وقد بيّن "ابن مالك" علّة تسميته ب "التسهيل"، لأنّه تناول التّأصيل لعلم النّحو، وأحاط بجميع جوانبه، بنمط ليّن وسهل تقبله الأذهان، وتستطيبه القلوب، وتعتمد عليه النّاشئة في بلوغ غاياتهم وأهدافهم. وقد تضمّن كتاب "ابن مالك" على أبواب وفروع وأصول عددها ثمانين بابا ومائتين وأحد عشر فصلاً. متفرداً ببيان الترتيب على مستوى الباب وفصوله بشكل خاص، مع بيان الأسلوب و قربه من مستويات الدّارسين العلميّة وقدراتهم الفكريّة.

وتوالت جهود علماء النّحو في تسهيل هذا العلم خلال العصور المتأخّرة، و لم تتوقف كمحاولات المتون والمنظومات النّحوية، ولكنها اهتدت السبيل الصحيح و لم تظفر النّجاح، فقد أفرطت في التّكثيف والإختصار اللّذين وصلا حد التّعقيد والغموض، بسبب ما أوجبته من قيود الوزن والقافية[2].

فأضحت غاية في التعقيد والغموض تُنفّر المتخصصين قبل المتعلمين والمبتدئين، وخاصة عصور الضعف والانحطاط أين جفّت القرائح وأصبح التأليف عالة على ما سبق. والمطلع على هذه المؤلفات في كتب الفهارس العامة ككشف الظّنون وغيرها، ليهوله ما يرى من كثرة الحواشي كثرة تُفضي إلى الاستغراب والدّهشة، ولن تقع عيناه إلا على الحواشي المترادفة على شروح السابقين [3] .

وهذه الجهود التيسيريّة المتمثّلة في إصلاح المؤلفات النّحوية، إنما مشت على خطى النّحو التّقليدي باختلاف اتجاهاته، فانتهجت طريقته مع القليل من التّلخيص والإيجاز والحذف والشرح، أمّا المحاولات الشجاعة التي نزلت بمنهجه ونادت بالتجديد والتغيير سيكون الحديث عنها في الفصل الموالي [4] .

---

[1] . ابن مالك الطائي، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تح: محمد كامل بركات، دار الكاتب العربي للطباعة والنّشر، القاهرة، ط1، 1388ه / 1968م، ص 01 02.

[2] . ينظر : مبروك سعيد (عبد الوارث) ، في إصلاح النّحو العربي، ص 43.

[3] . الطنطاوي محمد، نشأة النّحو وتاريخ أشهر النّحاة، ص 300.

[4] . ينظر: مختار بزاوية، النّحو العربي ومحاولات تيسيره، دكتوراه كلية الآداب والفنون، جامعة وهران 1، أحمد بن بلّة، قسم اللغة العربية وآدابها، 2016 2017، ص 38

والآن أن نسلّط الضوء على جانب هام يتمثّل في إصلاح مناهج النّحاة، ولكن بإيجاز:

أولا: محاولة ابن ولّاد المصري (ت232ه) :

من أبرز اجتهاداته إصلاح المناهج حيث أشار إلى فكرة تحميل القياس في النّحو، ورأى أن طعن العربي، ورميه باللّحن والزلل لايجوز، كما رفض تصحيح ما لم يرد عن العرب بمقتضى القياس النّظري، وطريق النّحويين هو اتّباع كلام العرب إذا كانوا يقصدون إلى التّكلم بلغتهم، أمّا أن يُعملوا قياسا فهو يوصل إلى غير لغتها فليس لهم ذلك [1]. ولم يقبل ابن ولّاد التأويل والتقدير في النّحو أيضاً، والتمويه الحاصل في الأساليب العربية من حذف وإضمار مما حملها على غير ظاهرها [2] .

ثانيا : محاولة أبي العلاء المعري (ت 449ه) :

بأسلوب متفرّد فسّر فيه أبو العلاء المعري انتقاد النّحاة الذين عُرفوا بالتأويل والتّعليل وكذا استخدام المنطق في تحصيل النحو، في رسالته المعروفة " سالة الغفران"، والتي قدّم فيها المشاغل العاكف عليها الطلبة، فكان له فيها ما يناقض به مذاهب القوم، ولا ريب أنّه في جملته متأثر بآراء من سبقه من العلماء، الذين كانوا يتفادون الإيغال والتعمّق ، والضياع في متاهات التأويل [3].

واللافت للنظر أن مؤلفات أبو العلاء المعري السائدة لم تدرج له رأياً نحويّاً أو لغويّاً خاصّا به، بالرغم من أن كتبه كلّها تظهر تتّبعاً دقيقاً للموضوعات النّحوية والصّرفية والمشكلات اللّغويّة، والجدل الذي دار حولها ومواقف أعلام النّحو واللغة.

ثالثا : محاولة ابن حزم الظاهري (ت456ه) :

انتقد ابن حزم الظاهري القياس من خلال مذهبه الرافض للقياس طريقاً لاستنباط الأحكام الفقهية، وأيضاً هاجم العلل النّحوية وقال بأنها غير صالحة. إذ يعدّ منهجه رافضاً للتقليد آخذاً بظاهر النّصوص، فيرى بأنّه لا رأي في الدّين، ولا يمكن لأحد أن يجتهد برأيه، ويدّعي أنّ ذلك حكم الله عزّوجل، ومن فعل غير ذلك يكون قد سدّ باب الاستخلاص بالقياس والاستحسان والتعليل [4] .

---

[1] . ينظر : عمر أحمد مختار ، البحث اللغوي عند العرب، ص 157.

[2] . ينظر : مختار بزاوية، النّحو العربي ومحاولات تيسيره، ص 41

[3] . ينظر : مختار بزاوية، المرجع نفسه ، ص 42.

[4] . ينظر: شرارة (عبد اللّطيف) ، ابن حزم رائد الفكر العربي ، دار الفكر العربي، بيروت، دط، 1977م، ص 421.

ويعتبر العلل النّحوية فاسدة ؛ ودليله على ذلك قوله لمن قال : "إنّما سُمّيت الخيل خيلاً لأجل الخيلاء التي فيها، وإنّما سمّيت البازي بازياً لارتفاعه، والقارورة قارورة لاستقرار الشّيء فيها، والخايبة خايبة لأنّها تخبئ ما فيها". "إنّه يلزمُك في هذا وجهان ، أحدهما : أنْ تُسمّيَ رأسك خابية لأن دماغك مخبوء فيه، وأنْ تسمّيَ الأرض خابية لأنّها تخبئ كلّ ما فيها، وأنْ تسمّيَ أنفك بازياً لارتفاعه، وأنْ تسمّيَ البئر قارورة لأنّ الماء مستقر فيه، وأنْ تسمّيَ المستكبيرين من النّاس خيلاً للخيلاء التي فيهم. والوجه الثاني: إنِ اشتققت الخيل من الخيلاء أو القارورة من الاستقرار، والخابية من الخبء، فمنْ أين اشتققت الخيلاء والاستقرار والحبء " [1] .

هذه جملة من المحاولات المتنوّعة ، التي تبرز أهم الآراء للنّحاة القدامى بنقدهم للتعليلات واستيائهم منها ولسيطرة المنطق على الدراسات النّحويّة، وفي الحقيقة لم تتمكّن هذه الجهود اليسيرة أن تخلق نقداً ناجعاً ونسيجاً متكاملاً للمنهج النّحوي، ولا أن تصدّ وبقوة المدونات الهائلة والثّقيلة، فجاء على يد ابن مضاء القرطبي ما سيوضّح ذلك :

محاولة ابن مضاء القرطبي في تيسير النّحو :

في ظلّ دولة المحدين في الأندلس دَوت ثورة أبي العباس أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن مضاء اللّخمي القرطبي المتوفّي سنة 592 هجري، وكان حجّة في الفقه الظاهري والحديث النّبوي، وقد ولّاه الموحدون قضاء فاس، ثمّ ولّوه قضاء الجماعة، وكان طبيعيّاً أن يحمل حملتَهم على أصحاب المذاهب الفقهيّة. ولكنّ حملته كانت موجّهة إلى النّحو والنّحاة [2] .

يعدّ ابن مضاء صاحب أعظم وأفيد محاولة لإصلاح النّحو قبل العصر الحديث حيث كان مجهوده يحتوي أصالة وموضوعيّة تمكّنه من احتلال الصدارة في قائمة محاولات إصلاح النّحو العربي. وقد أطلق سهامه في هذا المجهود من خلال الثورة التي احتواها كتابه "الردّ على النّحاة"إلى النّحاة ومناهجهم في درس النّحو، باعتباره متأثّراً بعض التّأثر بموقف فقهاء الظاهرية [3] .

وقد عرض شوقي ضيف لكتاب ابن مضاء (الردّ على النّحاة) متأثّراً بما يراه ابن مضاء في إسقاطه لنظرية العامل فيقول "سدّد ابن مضاء سهام دعوته، أو قلْ سهام ثورته، إلى نظرية العامل، التي أحالت كثيراً من جوانب كتاب النّحو العربي إلى عُقَدٍ صعبة الحلّ، عسيرة الفهم. وما العامل؟ إنّ كلّ ما يتصوره النّحاة عن

[1] . بكري (عبد الكريم) ، ابن مضاء وموقفه من أصول النّحو، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، ط1، 1982م، ص 32.

[2] . شوقي ضيف، المدارس النّحوية، ص 304.

[3] . ينظر : مبروك سعيد عبد الوارث ، في إصلاح النّحو العربي، ص 48.

عواملهم النّحويّة تصوّرٌ باطلٌ، وهل يستطيع أحد أن يُنكر ما يقوله ابن مضاء، من أنّ الذي يصنع الظواهر النّحوية في الكلمات، من رفع ونصب وجرّ، إنّما هو المتكلّم نفسه، لا ما يزعمه النّحاة من الأفعال وما شاكلها من الأسماء والحروف" [1].

تعتبر نظرية العامل النّحوي من القضايا التي يستغني عنها علم النّحو، حيث يقول ابن مضاء : "قصدي في هذا الكتاب أن أحذف من النّحو ما يَسْتَغْنِي النّحوي عنه، وأنبه على ما أجمعوا على الخطأ فيه، فمن ذلك إدِّعاؤُهم أنّ النّصب والخفض والجزم لا يكون إلا بعامل لفظي، وأن الرفع منها يكون بعامل لفظي وبعامل معنوي " [2].

والعامل في مفهومه عند الجرجاني (ت 816ه) : "العامل ما أوجب كون آخر الكلمة على وجه مخصوص من الإعراب" [3].

وكذا عرّفه السيوطي (ت 911ه) :"الإعراب أثرٌ ظاهرٌ أو مقدّرٌ يجلبه العامل في محلّ الإعراب، والمراد ب (الأثر) : الحركة والحرف والسكون والحذف، والمراد ب (المقدّر) : ما كان مقصوراً ونحوه" [4]

ويُورد عبد القاهر الجرجاني (ت 471ه) في كتابه "العوامل المائة" العوامل وأقسامَها بإسهاب، فيقول : "العوامل في النّحو مائة، وهي تنقسم إلى قسمين لفظية ومعنويّة :

واللفظية تنقسم أيضا إلى قسمين : سماعية وقياسية :

العوامل اللّفظية السّماعية: ما سمعت عن العرب، ولا يُقاس عليها غيرها كحروف الجرّ، والحروف المشبهة بالفعل مثلاً، فإنّ الباء وأخواتها تجرّ الاسم، فليس لك أن تتجاوز وتقيس غيرها عليها.

العوامل اللّفظية القياسية: ما سمعت عن العرب، ويُقاس عليها غيره، وتفسير هذا المعنى أنّه سمع لها أمثلة مطّردة وصلت إلى بناء قاعدة كليّة في ذلك النّوع من العوامل، فكلّ ما يَصدقُ عليه تلك القاعدة يُطلَق عليه اسم العامل اللّفظي القياسي.

---

[1] . ابن مضاء القرطبي ، الردّ على النّحاة ، تح : شوقي ضيف ، دار الفكر العربي، القاهرة ، ط1، 1366ه 1947م ، ص 07.

[2] . ابن مضاء القرطبي ، المرجع نفسه ، 76.

[3] . الجرجاني علي بن محمد الشّريف، معجم التعريفات، ص 122.

[4] . السيوطي (جلال الدين)، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، تح: عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، ط1، 1399ه / 1979م، ج1، ص41

أمّا العوامل المعنويّة : فاسمها يدلّ عليها، إنّها معنى من المعاني لا نُطق فيه، هو معنى يُعرَف بالقلب، ليس للفظ فيه حظّ " [1] .

رفض تقدير العوامل المحذوفة :

أنكر وبقوّة ابن مضاء تقدير العوامل المحذوفة الضمائر المستترة في المشتقات والأفعال أو متعلقات المجرورات أو حتّى تقدير المحذوف واعتبرها شاهداً واضحاً على فساد نظرية العامل [2]. ولكنّه لم يقدر على إبطال العمل بها كلّها، لأنّه أعاد الفساد إلى بعضها فقط، فقسّمها إلى ثلاثة أقسام :

1) محذوف لا يتمّ الكلام إلّا به، حُذف لعلم المخاطب به ،كقولك لمن رأيته يُعطي النّاس: (زيداً) أي أعطِ زيداً، فتحذفه وهو مراد، وأن أُظهِر تمّ الكلام به.

2) والثاني محذوف لا حاجة بالقول إليه، بل هو تامّ دونه، وإن ظهر كان عيباً كقولك: (أَزيداً ضربته ؟) قالو إنّه مفعول بفعل مضمر تقديره: أضربتَ زيداً ؟ وهذا بناء على أنّ كلّ منصوب لابدّ له من ناصب ! [3]

3) تناول في القسم الثالث صوراً من الحذف والتقدير قال بها النّحاة، منها ما يتّصل بالعامل، ومنها ما يتعلّق بالمعمول. أما حذف العامل فيتناول فيه أقوال النّحاة في (النّداء)، و (المضارع) المنصوب بعد الفاء والواو)، و (متعلقات المجرورات) . وأمّا ما يتعلّق بالمعمول فهو ما يذكره النّحاة عن (الضمائر المستترة في المشتقات) وفي (الأفعال) [4] .

وقد تبادل أهل العلم آراء ابن مضاء بين مؤيّد ومعارض، وكلٌّ أعطى وجة نظره، رغم أن هذه المحاولة الجريئة والتي انبعثت في القرن السادس للهجرة كان لها الدويّ القويّ وتستحق منا كلّ المدح والتثمين، لأنّه أفرغ أقصى طاقته في تيسير وتجديد النّحو وقواعده، وفتح باباً واسعاً للبحث في المجال النّحوي بالرغم من فساد نظرية العامل التي لم تحرّر النحو من جموده أو رتابة قواعده، وهذه المحاولة تعدّ محاولة فريدة من نوعها في نظرنا كطلبة معاصرين وعلى ضوء ذلك نجد الصيحات المعاصرة تعالت في تجديد النّحو بعد ابن مضاء القرطبي، فتتبعوا أثر من سبقهم حتى أوائل القرن العشرين، واحتذو حذوهم في تخليص النّحو العربي من التعقيد والغموض، فشرعوا في الدعوة إلى التجديد والتطوير، وهذا ما سنتطرق إليه في الفصل الثالث

[1] . الجرجاني (عبد القاهر)، العوامل المائة، عني به أنور بن أبي بكر الداغستاني، دار المنهاج، بيروت، ط1،1438ه / 2017م، ص 39 40.

[2] . ينظر : عصيدة (فادي صقر)، جهود نحاة الأندلس في تيسير النّحو العربي ، رسالة ماجيستر، كلية الدراسات العليا، جامعة النّجاح الوطنية ، نابلس، فلسطين، 2006م، ص118.

[3] . ابن مضاء القرطبي (أبو العباس أحمد)، الردّ على النّحاة، ص 79 80 .

[4] . أبو المكارم (علي)، الحذف والتقدير في النّحو العربي، دار غريب، القاهرة، ط1، 2001م، ص 160.

الفصل الثّالث

العلماء المحدثون، وآثارهم في النّحو والمراجع التي خلّفوها

الدعوة إلى تيسير النحو العربي واختلاف المصطلحات

1- أشهر المصطلحات الحديثة

2- محاولات علمائنا المحدثين والآثار التي خلّفوها في النّحو

1)الاستشراق

2)الاستغراب

تمهيد:

ليس المحدثين من النّحويين بأقلّ خبرة أو حكمة من قدمائهم، إذ أحسوا بضرورة تطوير وإصلاح بعض أبواب وقواعد النّحو العربي، لكونه ما زال يعاني من التّعقيد والغموض، فصار عسيراً على المتعلّمين لما يحمله من تداخل وتطويل في موضوعاته، ممّا أدى إلى ظهور محاولات رائدة في العصر الحديث، والتي كان لها الصدى الكبير في السّاحة العلميّة، في تيسير وتجديد الدّرس النّحوي، وتبسيط طرائقه ومناهجه، فنجد من المحدثين من ارتكز على التّراث وحاول التّطوير من خلاله، وهناك من حاول تطبيق المناهج اللّغويّة الحديثة ونادى للاستفادة منها، وهناك من إلتجأ إلى العلوم اللغّوية وغير اللّغوية .

الدعوة إلى تيسير النحو العربي واختلاف المصطلحات :

لايطلب التيسير إلّا في عسر الأشياء، ومن ذلك عسر فهم المتعلّمين النّحو العربي فكان هذا مبدأ الجدّ والمحاولة إلى تيسيره، فتضافرت الجهود الجماعية والفردية لأجل ذلك، وألفت كتب عديدة تهدف إلى تبسيط النّحو للنّاشئة وتسهيل تدريسه وتطبيقه .

وكثيرة هي المصطلحات الدالة على التيسير النّحوي، ولعلّ أشهرها وأكثرها تداولاً هي :

التيسير والتجديد والإصلاح والتبسيط والإحياء ؛ وقد اختارها بعضهم لتكون عناوين كتبهم مثل :

- " تيسير النّحو التعليمي قديماً وحديثاً مع نهج تجديده" لشوقي ضيف .
- " نحو التيسير " لأحمد عبد السّتار الجواري.
- " تجديد النّحو العربي " لعفيف دمشقية .
- " تجديد النّحو " لشوقي ضيف.
- " في إصلاح النّحو العربي " لعبد الوارث مبروك سعيد .
- " إحياء النّحو " لإبراهيم مصطفى .

وهذه المصطلحات لم تكن رائجة ومتداولة بين النّحاة القدماء لأنّهم اتّخذوا في تسمية كتبهم ومؤلفاتهم التي اهتمت بقضيّة تيسير النّحو، عناوين ومصطلحات تهدي إلى البعد التّعليمي لهذه الكتب، ومن ذلك : التفاحة في النّحو، الإيضاح العضدي، الواضح في النّحو، المفصّل في النّحو، وغيرها من المؤلفات التي لا تختلف في محتواها عن كتب النّحو المطوّلة والمتخصصة إلّا في طريقة عرضها للمّادة النّحوية، واعتمادها على الإيجاز والانتقاء من النّحو ما يلائم النّاشئة المبتدئين.

1- أشهر المصطلحات الحديثة :

1) مصطلح التيسير :

أ. التيسير لغة :

يَسَرَ : هو مصدر الفعل يسّر واليَسْرُ اللّين والانقياد، يكون ذلك للإنسان والفرس، و يَاسَرَهُ ؛ أي ساهله، ولاينهُ ، واليسر ضدّ العسر وفي هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾[1]، وهو السهولة والابتعاد عن الصعوبة والعسر، وتيسّره لفلان الخروج واستيسر له؛ بمعنى تهيّأ، ومن تيسّر الشيء تهيّأ ويقال تيسّر القتال ونحوه، ويقال تيسّر له كذا أي تهيّأ (ييسر) يسراً أو يسارة؛ أي يسر وخفّ وقلّ، فهو يسير أيضاً واليسر ضدّ العسر ومنه : الدّين يسير؛ أي سهل، سمح قليل التشديد [2] .

ب. اصطلاحا :

يرى مهدي المخزومي أنّ التيسير"لا يقوم على الاختصار ولا على حذف الشروح النّحوية والتعليقات والحواشي التي تملأ الكتب النّحويّة، ولكنّه ينبني على العرض الجديد لموضوعات النّحو، يُسّر للناشئين أخذها واستيعابها، وتمثّلها ولن يكون التيسير وافياً بهذا ما لم يسبقه إصلاح شامل بمنهج هذا الدّرس وموضوعاته أصولاً ومسائل" [3]

ويعرّفه محمد ضاري بأنّه :"عرض جديد لموضوعات النّحو، وترسيخ لها بطرق حيّة جذابة فيها إبداع وابتكار، وعلى هذا ينبغي أن تنصبّ جهود التيسير أو هو تكييف النّحو والصّرف مع المقاييس التي تقتضيها التّربية الحديثة عن طريق تبسيط الصّورة التي تُعرض فيها القواعد على المتعلّمين [4]. والمقصود هنا أنّ التيسير يكون في طريقة عرض القواعد و أسلوب التّعليم لا مادة النّحو نفسها.

---

[1] . الشّرح: 5 6 .

[2] . ينظر : ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد السّلام هارون، ج2، ط6، دار صادر، بيروت، 2006م، ص 1147. وإبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ج1، دار الدّعوة، مصر ، ط3، 1989م، ص 1123.

[3] . مهدي المخزومي، في النّحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، لبنان، ط2، 1982م، ص 15.

[4] . محمد صاري، تيسير النّحو موضة أم ضرورة، بحث منشور في أعمال ندوة تيسير النّحو ، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2001م ، ص 184 و 203.

والتيسير أيضاً ما ذهب إليه الدكتور شوقي ضيف؛ حيث يقرّر أنّه إعادة تنسيق أبواب النّحو، وإلغاء بعضها ووضع تعريفات دقيقة لأبوابه العسيرة أساسُ التيسير [1] .

واتجاهه هذا جاء ولا شكّ لتقريب المادة النحويّة وتقديمها في أيسر صورة لطالب العلم البسيط مع ما يتناسب وقدراته الذهنية عبر مختلف مراحل التّعليم التي يمرّ بها .أما الأستاذ التواتي بن التواتي، فالتيسير عنده هو: "تبسيط الصّورة التي تُعرض فيها القواعد على المتعلّم؛ أي التبسيط في كيفيّة تعليم النّحو لا في النّحو ذاته، لأنّه علم محض، لا يُعقل حذف بعض قوانينه وعلله "[2].

و"التيسير اللّغوي عام يشمل التيسير النّحوي، والصّرفي، والدّلالي والبلاغي، وهو من حيث المنهج يشمل طريقة العرض بتقديم المباحث اللّغوية مبرّأة من العلل والتفريعات والتأويلات سهلة التناول، ويشمل أيضاً النّظر فيما جدّ من ألفاظ اللغة واستعمالاتها، ثمّ التمييز بعد ذلك وقبول ما كان ناشئاً عن طبيعة اللغة متولّداً من قواعدها، وأمّا ما كان دخيلاً عليها وخالف فطرتها، وسنن نموّها وناموس حياتها رفضه ووضعه في مدرّج اللّحن وجانبه الصّواب " [3] .

والنّحو لا يعدّ غاية في حدّ ذاته ، وإنّما هو وسيلة لتقويم اللّسان ووقايته من اللّحن خلال التّكلّم، وحفظ القلم من الزلل و السّهو أثناء الكتابة، فمن الضروري علينا عرض القواعد النّحوية "للطلاب والدارسين ميسّرة مبسّطة، ليقبلوا عليها غير كارهين وأن نبدأ معهم من المرحلة الأولى متدرجين، وأن نزوّدهم بالتدريبات اللّغوية والأساليب العصريّة التي تجعلهم يجيدون فن الإعراب" [4] .

ويعتبر الهدف من تيسير النّحو العربي هو إيصال المتعلّم إلى معرفة الكلام العربي وتزويده القدرة على استخدامه أصحّ استخدام حتى يصيب به دقائق المعاني، ويعمل على تسهيل المادة النّحوية على المبتدئين ويقوم بتبسيط قواعدها ويقربها إلى الأذهان حسب مؤهلاتهم، حتى تتغيّر صورة عسر فهم علم النحو ويتمّ القضاء على بعض المشكلات المنسوبة إليه [5].

---

[1] . ينظر : شوقي ضيف، تجديد النّحو ، دار المعارف، القاهرة، ط6، 1426ه ، ص 11.

[2] . التواتي بن التواتي، هل النّحو العربي في حاجة إلى التيسير؟ (الجزائر : الجزائر ، مجلة اللسانيات، مركز البحوث العلميّة والتّقنيّة، 2003م، ع 08) ، ص 03.

[3] . محمد صاري، تيسير النّحو موضة أم ضرورة، ص 203.

[4] . محمد علي أبو العباس، الإعراب الميسّر والنّحو، دار الطلائع، القاهرة ، مصر، 1998م ، ص 06.

[5] . ينظر : محمد عبده، قضايا معاصرة في الدراسات اللّغوية، عالم القاهرة، د ط، 1989م، ص 12.

2) مصطلح التجديد :

أ. التجديد لغة :

مصدر على وزن (تَفْعيل) من الفعل (جدّد) على وزن (فَعّلَ) وهو من الجدّة.

قال الجوهري : جَدَّ الشَّيءُ يَجِدُّ بالكسر جِدَّة : صار جديداً ، وهو نقيض الخَلِق. وتَجَدّدَ الشَّيءُ : صار جديداً، وأجَدّهُ، واسْتجدّهُ وجَدّده، أي صَيّرَهُ جَديداً وبَهيّاً " [1].

وجاء في العين: "الجِدّة : جِدّة النّهر أي ما قَرب من الأرض. والجَدد والجديد: وجه الأرض ... والجديدان: اللّيلُ والنّهارُ " [2]. وأيضاً: "الجديدُ : نقيض البالي، وجدّ الشّيءُ يجِدّ بالكسر فهو جديدٌ، وهو خلاف القديم، وجدّد فلان الأمر واستجدّه: إذا أحدثهُ، فهو جديدٌ وهو خلاف القديم "[3] وفي المصباح جدّ الشّيءُ يجدّ بالكسر جدّةً فهو جديد وهو خلاف القديم، وجدّد فلان الأمر واستجدّه إذا أحدثه فتجدّد ، وقد يستعمل استجدّ لازماً [4].

ب. اصطلاحا :

عرّفه أصحاب الفكر الإسلامي بأنّه : " نتيجة لدراسة الآراء والأفكار وأخذ الصّالح المفيد مع إضافة رؤى أخرى عليها فيتولّد من ذلك فكرٌ نيّرٌ تسترشد به الأمّة في مسيرتها " [5]. ويرى الباحثون أنّ التّجديد اللّغوي موضوع شامل يحيط بكلّ مظاهر اللّغة وبكلّ مستوياتها، بل وبكلّ تجلياتها الأدبيّة [6]، بمعنى أنّه لا يقتصر على فنّ دون فنّ ، بل يسعى إلى الاهتمام بكلّ العلوم العربية. وقد استخدمه النحاة بمعنى التغيير والتحوّل نحو : (من سلك الجدد آمن العُثار): أي يضرب في طلب العافية والأمن، والتجديد في النّحو بعث الحياة في المنهج النّحوي ليعود غضاً طرياً بعد الجفاف والعقم والغموض وتحديث قواعده وتحريكها إلى الأسهل ورسم صورة

---

[1] . الجوهري ، الّصحاح ، مادة (جدد)، 2/ 454. وابن منظور ، اللّسان ، 3/ 111 .

[2] . الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، مادة (جدد) ، 6 / 8.

[3] . الطريحي، الشّيخ فخر الدّين (ت1085ه) ، تح: السيّد أحمد الحسيني، مجمع البحرين ،إيران، ط2، 1408ه ، مادة (جدد) ، ص 249 250.

[4] . أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري، المصباح المنير، مادة (جدد)، دار الحديث، القاهرة ، مصر، د ط، 1429ه /2008م، ص 63.

[5] . الشعيب : د.خالد عبد الله، ضرورة التجديد وضوابطه في الفكر الإسلامي، المؤتمر الثالث عشر لتجديد الفكر الإسلامي، 2001م، بحث منشور على الموقع (www. Alazhr. Orglconf).

[6] . عبد السّلام المسدي، تجديد النّحو أبعاده وحدوده، بحث قدّم لمؤتمر مجمع دمشق السّنوي: 2008م (الجزائر، الجزائر، مجلة المجمع الجزائري للغة للغة العربية، ع: 16 س : 8، صفر 1434ه / ديسمبر 2012م، ص 11.

جيّدة عن المادة النّحوية التي اتهموها بالصعوبة والتّعقيد [1] . قال حسن عباس : "الانتقال بالعربية من مرحلة (كيف) التّراثية التي دامت ألف عام ونيّف، إلى مرحلة (لماذا) الحديثة، إنّما هو مكسب (لغوي إنساني) بمقدار ماهو مكسب (لغوي عربي) وأنّه يستحق أ يكرَّس له جيل كامل من فقهاء العربية وعلمائها " [2]

فعدّ مصطلحاً حديث النّشأة غايته تهيئة الأساليب الجديدة في مختلف جوانب الحياة، وفتح الأبواب الفسيحة بهدف النّظر إلى كلّ نواحي علم النّحو، لغربلته ،وحذف ما لا يحتاج إليه وتبويبه تبويباً جديداً، ردّاً على من لقّبوا النّحو بالتّعقيد والصعوبة، وتنوّعت المصطلحات المماثلة أو المرادفة للمصطلح؛ بين " تيسير" و "إصلاح " و" تحديث "،وهي مصطلحات لها صلة متينة بالتجديد، رغم تنوّعها وتعدّدها إلا أنّها تصبّ في مفهوم واحد، فكلّها تنتهي إلى إنقاذ النّحو العربي من القيود وتخليصه من التّعقيد والغموض، ومحاولة تقريب المادة اللّغوية إلى ذهن المتلقي، مع إبطال فكرة صعوبة النّحو وغموض قواعده وفلسفة مواضيعه [3] .

إذن فالتجديد هو إلباس النّحو العربي التقليدي ثوباً جديداً يليق بضخامة محتواه، من قواعد متشعّبة وأبواب كثيرة، دون المساس بروحه وأصله، و كذا تنقيته من الجمود العالق به ،وتحريره من القيود القديمة المكبّل بها ، وبعثه في إطار جديد و صورة مطوّرة ، مستلهمة من عصر السرعة والابتكار.

3) مصطلح الإصلاح :

أ. الإصلاح لغة :

هذا المصطلح مصدر للفعل (أصلح) وهو عكس الإضرار، وهو الإتيان بما هو صالح ونافع وأصلح الشيء بمعنى أزال فساده. فيُقال : "صَلَحَ صلاحاً، وصُلُوحاً: زال عنه الفساد. وأصلح في عمله أو أمره: أتى بما هو صالح ونافع ،والشيءَ: أزال فساده ، وبينهما، أو ذات بينهما: أزال ما بينهما من عداوة وشقاق، وفي التنزيل العزيز : ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾[4] و ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم

[1] . جنان التميمي، النّحو العربي في ضوء اللسانيات الحديثة، ص29.

[2] . عباس حسن، حروف المعاني بين الأصالة والحداثة، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، دط، 2000م، ص 159.

[3] . ينظر : خالد عبد الكريم بسندي، محاولات التجديد والتيسير في النّحو العربي، المصطلح والمنهج، دكتوراه، جامعة الملك سعود، قسم اللغة العربية، المملكة العربية السعوديّة، 2008م، ص 06.

[4] . الحجرات: 09.

مُّؤْمِنِينَ ﴾ [1] واللهُ لفلان في ذريّته أو ماله : جعلها صالحة، وفي التنزيل العزيز : ﴿ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [2] واستصلح الشيءُ: تهيّأ للصلاح: الاستقامة والسّلامة من العيب " [3].

وجاء في لسان العرب:" الإصلاحُ نقيضُ الإفساد، والمصلحةُ: الصّلاح، والمصلحة: واحدة المصالح، والاستصلاحُ نقيض الاستفساد، وأصلح الشيءَ بعد فسادِه أقامهُ، وأصلح الدّابة، أحسن إليها فصلحتْ، وفي التهذيب: تقولُ : أصلحت إلى الدابة: إذا أحسنت إليها " [4].

ب. اصطلاحا :

ورد المصطلح في ثنايا العديد من الدراسات النّحويّة التي نادت بإعادة النّظر في النّحو العربي خلال العصر الحديث، والنّحاة الذين تبنوا هذا المصطلح " يسعون إلى حذف بعض الأبواب من النّحو وإعادة النّظر فيها مرّة أخرى ، ففحوى الإصلاح ارتبط عندهم بالتّغيير والحذف؛ وإعادة تقديم النّحو تقديماً حديثاً جديداً و بعيداً كلّ البعد عن المتون والشروح المطوّلة فيه [5]. إذ يرمي الإصلاح إلى تخليص النّحو العربي من تراكمات وإنقاذه من الجمود، حيث صار بحاجة ماسّة إلى التغيير، وقد انطلقت هذه الجهود مع بداية القرن العشرين بغرض حذف بعض من أبواب النّحو أو التعديل فيها.[6]

4) مصطلح التبسيط :

أ. التبسيط لغة :

وهو مصدر للفعل (بسّط)، وقد ورد في الثلث الأول من القرن العشرين. فيُقال : "بسّط الشيء؛ نشره وجعله بسيطاً لا تعقيد فيه... والبسيطُ : المنبسط وضدّ المركّب، وما لا تعقيد فيه " [7]. وهو لا يخرج عن سبل التّبسيط المقترحة في النّحو العربيّ، التي تمكّن في آليّة عرضه، لا بتغيّر مسمّيات أبوابه. وهي كذلك معاني جميعها تدلّ على ما سعى إليه الباحثون في إزالة التعقيدات وتسهيل قواعده، وتقديمها في شكل بسيط لا غموض فيه،فيتحوّل النّحو بذلك من الصورة المركّبة المعقّدة إلى صورة مبسّطة وسهلة .

---

[1] الأنفال: 01.

[2] . الأحقاف : 15.

[3] . المعجم الوسيط ، مادة (صلح) ، ص 520.

[4] . ابن منظور، لسان العرب، ج 28، مادة (صلح) ، ص 2479.

[5] .ينظر : خالد بن عبد الكريم بسندي، محاولات التجديد والتيسير في النّحو العربي، ص 06.

[6] . ينظر : عبد الوارث مبروك سعيد، في إصلاح النّحو العربي، ص 87.

[7] . المعجم الوسيط ، مادة (بسّط) .

5) **مصطلح الإحياء :**

أ. **الإحياء لغة :**

المتأمّل في الدّلالة المعجمية لمصطلح (الإحياء) يجد أنّه مصدر للفعل (أحيا) ، وقد ورد في الثلث الأوّل من القرن العشرين، فيقال : "حيّ يحيا فهو حيٌّ، ولقوم حسُنت حالتهم، والطّريق : استبان، وأحيا الله فلاناً: جعله حيّاً، وأحيا الله الأرض :أخرج فيها النبات[1]، وفي التنزيل الحكيم: ﴿ فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ [2]. والإحياء هو الحياة .

وجاء في لسان العرب: "الحياةُ نقيضُ الموت، كُتبت في المصحف بالواو ليُعلم أنّ الواو بعد الياء في حدّ الجمع، وقيل على تفخيم الألف".وفيه أيضاً : أحياه : جعله حيّاً [3]؛ وفي التنزيل الحكيم :﴿ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴾[4]

من خلال هذه الدلالات المتنوّعة يتبيّن لنا أنّ مصطلح الإحياء يحمل بعداً إيجابياً يوحي إلى النّماء والخصوبة، والتغيير نحو الأفضل، كما أن هذه المصطلحات لها صلة وثيقة بالمعنى الذي يشير إليه النّحاة المحدثين في دراستهم النّحوية؛ كأنّهم يتصوّرون أنّ النحو العربي أدركه البلى والموت ونال منه الجمود، فعمدوا في أبحاثهم ودراساتهم إلى بعثه إلى الحياة بشكل جديد وإيقاظه من سباته الطّويل .

ومن هنا يمكن القول بأنّ مصطلح (الإحياء) يرمي إلى التأثير في الباحثين والنّحاة قصد دفع النّحو العربي دفعةً قويّةً جريئةً تنادي بالتخلي عن القديم وتبني الحديث.

ب. **اصطلاحا:**

لعلّ أوّل من دعا إلى التيسير مستخدماً مصطلح الإحياء هو "إبراهيم مصطفى" من خلال كتابه "إحياء النّحو" سنة : 1937م، والذي يعتبر "أوّل كتاب ظهر في العالم العربي في العصر الحديث لنقد نظريات النّحو التقليديّة " [5]، كما وضّح فيه مفهومه للإحياء ومنهجه في الكتاب حيث يقول:" كان سبيل النّحو موحشاً شاقّاً، وكان الإيغال فيه ينقض قواي نقضاً، ويزيدني من النّاس بعداً ومن التّقلّب في هذه الدنيا حرماناً، لكّن أملاً كان

[1] . المعجم الوسيط ، مادة (حيي)

[2] . فاطر: 09.

[3] . ابن منظور، لسان العرب، مادة (حيا) ، ج 12 ، ص 1075 1076

[4] . القيامة: 40.

[5] . عبد الرحمان أيوب، دراسات نقدية في النّحو العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، دط، 1957م، ص ج (المقدمة) .

يزجيني ويحذو بي في هذه السبيل الموحشة، أطمع أن أغيّر منهج البحث اللّغوي للغة العربية، وأن أرفع عن المتعلّمين إصر هذا النّحو وأبدّلهم منه أصولاً سهلةً يسيرةً تقرّبهم من العربية، وتهديهم إلى حظٍّ من الفقه بأساليبها "[1] .

والمنهج عند إبراهيم مصطفى جاء بعد تعسّر شقّ سبل النّحو العربي و صعوبة الإلمام بدقائقه، فقاده ذلك إلى استبدال المنهج القديم بمنهج جديد رغبة في رفع هذا الثقل عن طلاب العلم .فاقترح إبراهيم مصطفى ب" أن ندرس علامات الإعراب على أنّها دوال على معاني، وأن نبحث في ثنايا الكلام عمّا تشير إليه كلّ علامة منها، ونعلم أنّ هذه الحركات تختلف باختلاف موضع الكلمة من الجملة وصلتها بما معها من الكلمات" [2].ومن هنا تتضح لنا الرؤية بأن مصطلح الإحياء جاء للتخلّص من الصورة التقليديّة للنّحو العربي، خاصة ما يتعلق الأمر بنظرية العامل والمعمول، والإتيان بنظرية جديدة تتأسس على أن العلامات الإعرابية دوال لها صلة بالمعنى، عكس ما رآه النّحاة القدامى بأنّها أثر يحدثه العامل.

ومن خلال هذا المبدأ حاول إبراهيم مصطفى التجديد والتطوير عن طريق إعادة تبويب النّحو العربي، والتخلي عن البعض منها، وحتى أنّه سعى إلى إدماج بعضها ببعض، وعرض فهماً جديداً لقسم ثالث [3]، وكتاب الإحياء لم يسلم من النقد ، حتى عدّه البعض مجرّد ترديد لآراء ابن مضاء [4] .

كما أن هذا المصطلح لم يرد فقط في كتاب إبراهيم مصطفى بل ورد في كتب أخرى مثل ما نجده عند نهاد الموسى [5]ولكن بدلالة مغايرة؛ حيث أكسبه طابعاً وظيفيّاً يتمثّل في تعويد المتعلّمين على إحياء النّص " غير معجم ولا مشكول ولا مضبوط لينظروا فيه ويستدلّوا بمكوناته الماثلة كالهيكل العظميّ، ويقرؤوه قراءة صائبة بإعجامه، وضبط أبنية الكلم فيه وشكل أواخره من أجل إعادة بناءه وتهيئته من جديد حتى يصير جسداً سويّاً ينبض بالحياة سويّاً في المبنى والمعنى " [6] .

---

[1] . إبراهيم مصطفى، إحياء النّحو، مؤسسة هنداوي للتعليم والثّقافة ، القاهرة ، مصر ، 1413ه 1992م، ط2، ص أ (مقدمة المؤلّف) .

[2] . إبراهيم مصطفى، المرجع نفسه ، ص 49.

[3] . ينظر : نعمة رحيم العزاوي، في حركة تجديد النّحو وتيسيره في العصر الحديث، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ، دط ، 1995م، ص72.

[4] . د. هلال ناجي، في تيسير تعليم مباحث النّحو، بحث مقدّم لمؤتمر مجمع دمشق الأوّل، 2002م، (سورية، دمشق، مجلة مجمع اللغة العربية ، مج : 82، ج1، ذو الحجّة 1427ه ، يناير، 2007م، ص 67.

[5] . ينظر: خالد بن عبد الكريم بسندي، محاولات التجديد والتيسير في النّحو العربي، مجلة الخطاب الثقافي ، السعودية، 1429 ه 2008م، ع 03.

[6] . ينظر : نهاد الموسى، الأساليب مناهج ونماذج في تعليم اللغة العربية ،دار الشروق ، الأردن ،ط1، 2003م، ص 185.

وهكذا يظهر لنا بأن هذا المصطلح أخذ منعطفاً جديداً ومختلفاً تماماً عن ما وجدناه عند إبراهيم مصطفى، ولكّن يظلّ المعنى الذي تمّ عرضه في كتاب "إحياء النّحو " أهمّ وأبرز المعاني التي أدرك بها هذا المصطلح في أبحاث النّحو الحديثة .

إذن فهذه مصطلحات متنوّعة ، متداخلة فيما بينها كثيراً، والأصوب لو عددناها مصطلحات المفهوم الواحد، إذ كلّها تنتهي إلى محاولة إزالة الغموض الذي حول النّحو، وتقريب مادته إلى عقول المتعلّمين، حيث أنّها "لم تصل للحدّ الشامل المانع ، الذي ندرك من خلاله أوّل وآخر هذا المصطلح، وأوجه التوافق والاختلاف، بل كانت مختلطة، تخلّفت معها مؤشرات الدلالة الاصطلاحية " [1]. وممّا صعّب مهمّة التمييز أو التفريق بينها اصطلاحياً أنّها جاءت في الكثير من الأحيان مترادفة المعنى .

وفي العموم ارتبطت هذه المصطلحات في تقديم النّحو تقديماً حديثاً بعيداً عن الشروح المطوّلة والمتون، فكانت مشتركة في الدّعوة إلى التّيسير والتّسهيل، ومعالجة المنهج النّحوي، وتقريب أساليب فهم قواعد النّحو، تماشياً مع ما فرضته طبيعة الحياة وتطوّر المجتمعات. ومن هنا نجد العديد من الباحثين المحدثين يرون أنّ تيسير النّحو وتطويره "لا يحلّ مشكلة النّحو، ولا يقضي على مصادر الصعوبة فيه، لذا نراهم يشترطون أن تسبق عملية (التيسير) خطوة جريئة تتوخى (إحياء) النّحو أو (إصلاحه) أو (تجديده)، فإذا تمّت هذه الخطوة، أعقبتها خطوة ثانية هي انتخاب ما يصلح من هذا النّحو الجديد للتّعليم، ثم تقديمه بأساليب تعليميّة حديثة " [2].

وعطفا لما سبق، برزت في هذا المسعى مؤلفات كثيرة، منها ما قدّم قيمة علميّة ثمينة وآراء منهجية، وأفكار إصلاحية جديدة ، ومنها ما اكتفى بالقراءة الناقدة التي تضف للنّحو شيئاً، والسؤال المتبادر في أذهاننا الآن: هل استطاع المحدثون وضع بصمة واضحة في إحياء النّحو؟ هل هذه المساعي هي هدم و إصلاح لما سبق ؟ أم هي تأسيس شيّد حديثاً ؟

يقول د. نعمة رحيم العزاوي :" لم يتعرّض نحو أمّةٍ من الأمم لمثلِ ما تعرّض له نحو العربية من هجومٍ عليه ونقدٍ لاذع له، فقد شُنّت عليه حملات كان بعضها ظالماً لا يستند إلى أساس، ولا يقدّم غير التّجريح، وانطوى بعضها الآخر على اقتراحاتٍ هي إلى الهدم أقرب منها إلى البناء، في حين أنّ هناك دعواتٍ لم تهدف إلى النّقض

[1] . ينظر : خالد بن عبد الكريم بسندي، محاولات التجديد والتيسير في النّحو العربيّ، ص 11.

[2] . نعمة رحيم العزاوي، في حركة تجديد النّحو وتيسيره في العصر الحديث، ص123 .

أو الهدم وإنّما انطوت على اقتراحاتٍ جزئيّة لم تنتظم النّحو كلّه، و لم تُعنَ برسم بديل له ، فلم ترقَ لذلك إلى مستوى المحاولات العلميّة الشّاملة "[1]

ولأزمة تمرّ بها العربية دعا البعض لإصلاح النّحو، فالإصلاح النّحوي يعدّ ظاهرة من ظواهر التطوّر اللّغوي؛ إذ به يتمّ تخليص النّحو من الصلابة والجمود ، وكثرة الأبواب والعلل والتفريعات كي يكون بسيطاً سهل التناول فيتناسب ومستويات المتعلّمين ، فيصير بذلك وسيلةً لحفظ اللسان العربي، لا عائقاً يحول دون تحقيق الدّارسين غاياتهم.

ففي العصر الحديث حظي النّحو العربي بعناية ملحوظة تصبّ في السّعي وراء تطويره وتيسيره، فظلّت فكرة التجديد تراود أذهان المشتغلين المحدثين ،وتوالت محاولاتهم في الكشف عن أسهل الطرق للظفر بهذا العلم؛ ولعلّ من أهمّ هذه المبادرات ما سيأتي؛ وهو عبارة عن أبرز وأهمّ المحاولات في هذا الصّدد عند الدارسين المحدثين :

2- محاولات علمائنا المحدثين والآثار التي خلّفوها في النّحو :

1- إبراهيم مصطفى وإحياء النّحو :

يعدّ إبراهيم مصطفى من علماء العصر الحديث الذين صنّفوا ضمن دعاة التيسير النّحوي، وذلك من خلال مؤلفه "إحياء النّحو" الذي أطلّ عام 1937م بعد موجة انتقادات في العصر الحديث لمنهج النّحاة القدماء في دراستهم للنّحو، فهو لدى بعض المهتمين" أوّل كتاب ظهر في العالم العربيّ في العصر الحديث لنقد نظريات النّحو التّقليدية، وأوّل محاولة رصينة للتجديد " [2]. وكان ثمرة دراسة وتمحيص ونتائج بحث دؤوب وطويل شاق ومتعب أمضى فيه سبع سنين دأباً وهو يغوص في أعماق علم النّحو وفي مصادره على اختلافها ،فأكسبه ذلك دراية وخبرة بدقائق النّحو ومشكلاته.

وذكر الدكتور طه حسين في المقدّمة أنّه صاحب اقتراح تسمية الكتاب ب (إحياء النّحو)، ذلك أنّه يرى أن إحياء النّحو على وجهين : " أحدهما أن يقرّبه النّحويون من العقل الحديث؛ ليفهمه ويسيغه ويتمثّله ويجري عليه تفكيره إذا فكّر، ولسانه إذا تكلّم، وقلمه إذا كتب، والآخر أن تشيع فيه هذه القوّة التي تحبّب إلى النّفوس درسه ومناقشة مسائله والجدال في أصوله وفروعه، وتضطرّ النّاس إلى أن يُعنَوا به بعد أن أهملوه، ويخوضوا فيه

[1] . نعمة رحيم العزاوي، المرجع السابق، ص 52.

[2] . ينظر : د . عبد الرحمن محمد أيوب، دراسات نقدية في النّحو العربي، مؤسسة الصّباح ، الكويت، ، د ط ، د ت ، ص (ج) من المقدمة .

بعد أن أعرضوا عنه " [1]، وقدّم بعد ذلك أن الأستاذ إبراهيم مصطفى قد وُفّق إلى إحياء النّحو على هذين الوجهين[2].

وقد أحدث الكتاب ضجّة غير اعتيادية في الوسط العلمي وكان بمثابة القاعدة التي بنيت عليها بقيّة المحاولات الإصلاحية، إذ أضحى يمثّل طموحاً عالياً في النّهوض بمادة نحوية جديدة فقال فيه : " كان سبيل النّحو موحشاً وشاقاً، وكان الإيغال فيه ينقض قواي نقضاً، ويزيدني من النّاس بعداً ومن التّقلب في هذه الدنيا حرماناً ولكّن أملاً كان يرجيني ويحدو بي في هذه السبيل الموحشة ؛أطمح أن أغيّر منهج البحث النّحوي للغة العربية، وأن أرفع عن المتعلّمين إصر هذا النّحو، وأبدلهم منه أصولاً سهلة يسيرة تقرّبهم من العربية وتهديهم إلى حظ من الفقه في أساليبها " [3] فما نلحظه هنا أنّ الكتاب جاء بآراء جريئة، وتطرّق إلى قضايا ومباحث عديدة في النّحو، وأتى بمحاولات تفتح أفقاً جديداً للنّحو تماشياً مع ما تمليه الحداثة اليوم .

ولا شكّ أن المحور الرئيس الذي تدور حوله أبحاث الكتاب هو "حدّ النّحو كما رسمه النّحاة، وجهات البحث النّحوي، أصل الإعراب، معاني الإعراب، الضّمة علم الإسناد، الكسرة علم الإضافة، الفتحة ليست علامة إعراب، الأصل في المبني أن يسكّنا، العلامات الفرعية للإعراب، التوابع، مواضع أجاز فيها النّحاة وجهين، و الصرف " [4]، فيرى إبراهيم مصطفى أنّه قد بُذلت جهود كثيفة في إصلاح طرق التعليم لكنّهم لم يتّجهوا إلى القواعد نفسها، وإلى طريقة وضعها ،فكان ذلك هو الدافع الرئيسي لتأليف الكتاب [5]. وقد اتّخذ صاحب الكتاب مجموعة من المبادئ متمثّلة في :

أولا : أن النّحو هو قانون تأليف الكلام، وبيان ما يجب أن تكون عليه الكلمة في الجملة، والجملة مع الجملة، حتى تتّسق العبارة ويمكن أن تؤدّي معناها [6].

[1] . إبراهيم مصطفى ، إحياء النّحو، مقدمة طه حسين، ص (ن ، س).

[2] . المرجع نفسه ، ص (س).

[3] . مصطفى إبراهيم، إحياء النّحو، القاهرة ، 1959م،ص(أ) مقدمة الصفحة .

[4] . جيلالي بوترفاس ، تيسير النّحو العربي في منظور المجامع اللّغوية العربية المجمع اللغوي السوري نموذجاً ، مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في : النّحو الصّرف، جامعة أبي بكر بلقايد، 2013م / 2014م، ص 70.

[5] . ينظر : إبراهيم مصطفى ، إحياء النّحو، ص (د).

[6] . إبراهيم مصطفى ، المرجع نفسه ، ص 1.

ثانيا : وجوب دراسة النّحو بأسلوب يجمع شتاته، ويضمّ ما تفرّق منه، لأنّهم لو يحيطوا بجوانب درسه، و لم يتناولوا جميع أحكامه ، فجاءت مادته مشتتة بعيدة كليّا عن التّعمق في الظاهرة الواحدة [1].

ثالثا : النّحو المنشود يرتبط أشدّ الارتباط بنظريّة النّظم وعلم المعاني، وحينما دُرس النّحو بمنأى عن علم المعاني. أُزهقت روح الفكرة ، وذهب شُعاعها، وحينما فُصل علم المعاني عن النحو، بتروا الاسم هذا البتر المضلّل [2]

رابعا: التخلّص من فكرة العامل، لأنّها تعد أساس المشكلات في النّحو، وهي تكلّف اللغة العربية الكثير وأصابت النحو بالتّعقيد والجمود ، فإذا ألغيت فُتح باب التيسير، وصار الأولى أن يُدرس النّحو باعتبار المعاني لا العوامل [3].

خامسا : اقتصر على الضّمة والكسرة كعلامات إعرابيّة " وليستا بقيّةً من مقطع، ولا أثراً لعاملٍ من اللّفظ، بل هما من عمل المتكلّم، ليدلّ بهما على معنى في تأليف الجملة، ونظم الكلام " [4]. فالضّمة عَلَم الإسناد، أمّا الكسرة فهي عَلَم الإضافة ، وليس في العربية علامات فرعيّة ، وإنّما مدّت حركات الإعراب لتعطي الكلمة حظّاً من البيان في النّطق [5] .

سادسا : الفتحة ليست علامة إعرابية، بل هي حركة خفيفة مستحبّة عند العرب، أخفّ من السّكون [6].

سابعا : التنوين عَلَم التنكير، فَلَك في الأعلام ألا تنوّنها، إنّما يلحقها التنوين، إذا كان فيها حظٌّ من التنكير، وتُحرم صفة التنوين إذا كان لها حظٌّ من التعريف [7] .

هذه باختصار أهمّ المبادئ والآراء التي شاد عليها إبراهيم مصطفى نحوه المرتجى، وقد تلقّاها باحثو النّحو بإنكار واضح وبخاصة نظرية العامل، و علامات الإعراب، وأبرزهم الشّيخ محمد عرفة، حيث انتقده وفهمه لنظرية العامل، ورأى أنّها كانت كما ذهب إليه لعُدّت "هدراً يجب حماية العلم منه، وحُمقاً يجب أن يطهّر

[1] . إبراهيم مصطفى ، المرجع السّابق ، ص 4

[2] . إبراهيم مصطفى ، المرجع نفسه ، ص 19 .

[3] . ينظر : عبد الوارث مبروك سعيد ، في إصلاح النّحو العربي،ص 29 .

[4] . إبراهيم مصطفى ، المرجع نفسه ،ص 50.

[5] . إبراهيم مصطفى ، المرجع نفسه ،ص 109

[6] . إبراهيم مصطفى ، المرجع نفسه، ص 50.

[7] . إبراهيم مصطفى ، المرجع نفسه ، ص 165 166

العقل من التفكير بمثله، فليس من جِدّ القول أن نقول أنّ هذه الألفاظ لها قدرة على الرّفع، والنّصب، والجر"[1].

ومع كون إبراهيم مصطفى في رأيه هذا كان متبعاً لابن جني وابن مضاء، إلّا أن البعض يعتبر فضله يكمن في ناحيتين :الأولى أنّه أبرز بوضوح أبعاد نظرية العامل وآثارها السّيئة على النّحو، والأخرى أنّه حاول أن يقدم التّفسير للظواهر الإعرابية وعلاماتها؛ ليكون بديلاً لنظرية العامل الملغاة [2]. ويرى الأستاذ رشيد بالحبيب أن إبراهيم مصطفى جاء في كتابه بآراء واجتهادات نظرية لم يكن لها أثر واضح في الواقع والتّطبيق، وذلك لأنّ صاحب كتاب "إحياء النّحو" ألف كتباً مدرسية في قواعد النّحو و لم يستطع أن يضع منها شيئاً من الآراء النّحوية الجديدة التي ضمنها كتابه الموضوع أساساً لتيسير النّحو باستثناء فكرة المسند والمسند إليه التي تجمع أبواب المبتدأ والفاعل ونائبه معاً "[3] .

كان لإبراهيم مصطفى مجموعة من الباحثين المؤيدين لنحوه ، وفي مقدمتهم الدكتور طه حسين الذي كتب مقدمة طويلة للكتاب أشاد فيها بجهود إبراهيم مصطفى وأعجب أيّما إعجاب بآرائه حيث يقول في نهاية المقدّمة " فالكتاب كما ترى يحيي النّحو لأنّه ينبه إليه من اطمأنوا إلى الغفلة عنه، وحسبك بهذا إحياء " [4]، كما أشاد به أيضاً الدكتور مهدي المخزومي، و الدكتور إبراهيم السامرائي، و الدكتور تمام حسّان .

فتحت هذه المحاولة باب التجديد في وجه الباحثين، رغم كلّ ما وجه لها من الانتقادات وبغضّ النّظر عن الأخطاء الواضحة التي وقع فيها إبراهيم مصطفى، إلا أنّها تبقى محاولة جادّة تحتسب للمؤلّف في مجال تيسير النّحو العربي ، باعتبارها أوّل محاولة نقد في العصر الحديث والتي خلّفت بصمة من المستحيل أن تمحى .

2- مهدي مخزومي وتوجيه النّحو العربي:

يعد مهدي مخزومي من الشّخصيات العلمية البارزة في المجال النّحوي، وله عديد المؤلفات التي تمتاز بالتعمّق في النّحو، ويعتبر كتابه "في النّحو العربي نقد وتوجيه" أشهرها على السّاحة العلمية والذي صدر عام 1964م، حيث عرض فيه مجموعة من الانتقادات التي عدّها من النقائص العالقة بالنّحو العربي، و لم يتمكن الفكر العربي الحديث أن يبدّل منه إلّا الشّكليات رغم أن النّحو يصحّ له أن يتطوّر بتطوّر اللغة، وفي ذلك أشار إلى أنّ " النّحو عارضة لغويّة تخضع لما تخضع له اللّغة من عوامل الحياة والتّطوّر فالنّحو متطوّر أبداً لأنّ اللغة

[1] . محمد أحمد عرفة، النّحو والنحاة بين الأزهر والجامعة، مطبعة السعادة، القاهرة ،مصر ، ط1 ، 1937م ، ص 110.

[2] . عبد الوارث مبروك سعيد ، في إصلاح النّحو العربي ، ص 103

[3] . ينظر : أ .د . عبد الله بن عبد الرّحيم عسيلان، قضية الإعراب ومشاريع تجديد النّحو العربي .

[4] . إبراهيم مصطفى، إحياء النّحو، مقدمة طه حسين ، ص 4

متطوّرة أبداً، والنّحويّ الحقّ هو الذي يجري وراء اللّغة يتتبّع مسيرتها وبفقه أساليبها، ووظيفة النّحويّ أن يسجلّ لنا ملاحظاته ونتائج اختباراته في صورة أصول وقواعد تمليها عليه طبيعة هذه اللّغة " [1].

وقد أشاد الأستاذ مصطفى السقا بما تضمنه كتاب الدكتور المخزومي من تجديد وتيسير لقواعد النّحو ورأي في عمله "الخطوة الواسعة الأولى في تيسير النّحو العربي على طلاب المدارس والمعاهد والكليات في السنين الأولى الدّراسية، وحسبه أنّه أبطل كثيراً من مشكلات التّأويل والتّقدير والإضمار والعلل الثواني والثوالث والأقيسة البعيدة" [2]

ولا يقوم مشروع الدكتور مهدي المخزومي على الاختصار والإيجاز، ولا على حذف الشّروح النّحوية، والتّعليقات، والحواشي التي تغرق الكتب النّحوية ، "وإنّما هو تقديم عرض جديد لموضوعات النّحو ، حتى يسهل على النّاشئين أخذها، وتمثّلها، ويكون ذلك من خلال إصلاح شامل لمنهج الدّرس النّحويّ وموضوعاته أصولاً ومسائل " [3]. وهذا لا يتأتى إلا بتحقيقهما :

الأولى : أن ننقذ النّحو من ورطته ؛ إذ علقت به مجموعة من العيوب والشّوائب التي جرّها إليه منهج الفلاسفة الذي يحمل عبء فكرة (العامل)، ولذلك فهو يحثّ على إلغائها ويرى أنّ النّحاة قد : " تكلّفوا هذه التأويلات تشبثاً منهم بنظرية العامل، لأنّهم لا يتصوّرون أن حركة من الحركات لا تنتسب إلى عاملٍ من العوامل المقدّرة لديهم "[4].

الثانية : " أن نحدّد موضوع الدّرس اللّغوي، ونعيّن نقطة البدء به، ليكون الدارسون على هدى من أمر ما يبحثون فيه " [5] .وفي منهجه هذا يظهر بمظهر من اطّلع على الدّرس النّحوي القديم، واستوعبه استيعاب العالم

[1] . مهدي المخزومي ، في النّحو العربي نقد وتوجيه، دار رائد، بيروت ، لبنان، ط2 ، 1406ه / 1986م، ص 19.

[2] . ينظر :مهدي المخزومي، في النحو العربي: قواعد وتطبيق على المنهج العلمي الحديث، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط1، 1966م، ص 6.

[3] . ينظر : د .محمد حسن عبد العزيز، العربية الفصحى المعاصرة قضايا ومشكلات ، مكتبة الآداب، مصر ، القاهرة، ط1، 1433ه 2011م، ص 300.

[4] . مهدي المخزومي ، في النّحو العربي نقد وتوجيه، ص 77.

[5] . مهدي المخزومي ، المرجع نفسه، ص 16.

المجتهد فيه، لا وعيَ المدرّس الذي يردّد أقوال السابقين [1]،ومن المسائل النّحوية التي تناولها المخزومي مسألة المنصوبات إذ يرى أن المنصوبات في العربية نوعين هما :

أ. نوع يؤدي وظيفة إعرابية في إثناء الجملة ، كالمفعولات ، والحال، وغيرها من متعلقات الجملة ؛ نحو: قوله تعالى : ﴿ وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ [2] .

ب. ونوع لا يؤدي شيئاً من ذلك، ولكنه مفتوح الآخر لأنّه لا سبيل إلى تحريك آخره بغير الفتحة، ولأنّ الفتحة هي الحركة الخفيفة التي يستريح إليها العرب حين يريدون تحريك آخر كلمة لا تدخل في نطاق إسنادٍ ولا إضافةٍ، ولا تحمل أيّ معنى إعرابي؛ وذلك كالمناديات .

ومحاولة المخزومي هذه مبنية على جانبين نظري تضمنه كتابه " النّحو العربي نقد وتوجيه " وتطبيقي في كتابه " النّحو العربي قواعد وتطبيق وفق المنهج العلمي الحديث " .

والمخزومي يرى أنّ النّحو لا يتأتى إلا بالعناية بمختلف مستويات التّحليل اللّغوي وإدراكها، ويكون ذلك بتفريق الموضوعات التي تناولها النّحاة القدامى، وإلى أن يعرف الدّارس موضع قدمه، ليكون درسه أوضح حدوداً وأعمّ فائدةً، وإلى أن ينبري لكلّ موضوع دارسون مختصّون، يتناول كلّ فريق منهم موضوعه بإحاطة وعمق، لكي يتعاون الدارسون جميعاً في تقديم ما يحصلون عليه، ليتمّ للدارسين بحث لغوي ناضج [3].

ويرى أيضاً أنه : "ليس من وظيفة النّحوي الذي يريد أن يعالج نحواً للغة من اللغات أن يفرض على المتكلّمين قاعدة، أو يُخَطّئ لهم أسلوباً، لأنّ النّحو دراسة وصفيّة تطبيقيّة، لا تتعدى ذلك بحال " [4].

كما وضع المخزومي مصطلحات للنّحو بعضها جديد وبعضها من التّراث العربيّ، والتي كان متأثّراً فيها بالمذهب الكوفي وكانت المعين لضالته، والخطوة الصّحيحة في طريق الإصلاح والتيسير إذ قال: "أرى أنْ يُعنى الدارسون بكلّ ما خلّفته مدرسة الكوفة وأنْ يُستعان بما توصّل إليه بوجهيها من إصلاح جذري منشود، ومن تيسير لا غنى عنه إذا أردنا صالح الدارسين النّاشئين " [5].

---

[1] . د. زهير غازي زاهد ، موضوعات في نظرية النّحو العربي دراسات موازنة بين القديم والحديث ، دار الزمان للطباعة والنّشر والتوزيع، دمشق، سوريا ، ط1، 2010م ، ص 220.

[2] . مريم: 04.

[3] . مهدي المخزومي، في النّحو العربي نقد وتوجيه، ص 27.

[4] . المرجع نفسه، ص233.

[5] . د. مهدي المخزومي ، دعوة جادة في إصلاح العربية، مجلة المعلّم الجديد ، مجلّد 18، كانون الأوّل ، 1955م ، ج6، ص 29.

ويتّضح لنا من خلال ما تطرقنا إليه أنّ غاية المخزومي وراء المصطلحات النّحوية التي اقترحها، والتي في غالبها مصطلحات كوفية، وبلوغ نحو جديد لا عيب فيه غير متأثّر بنظرية العامل ، و كذا تمثّل دعوته قمّة هرم الدعوات السابقة، ففيها إعادة واضحة لبناء النّحو العربي، وتحمل نضجاً يتلائم ومتطلبات الحياة الجديدة، وسرعة التّطوّر، فالتيسير النّحوي عنده يأخذ منحى تعليمي وتقويمي، ينهض أساساً على مصطلحات لغوية دقيقة، وتبني النّحو التطبيقي كبديل عن النّحو القديم، ولكّن بالعمل وفق خطوات المنهج .

3- إبراهيم السّامرائي وبناء النّحو العربي :

يعتبر إبراهيم السامرائي من الشخصيات التي تملك باعاً طويلاً في علم اللغة العربية، فقد امتاز بتنوّع اهتماماته وتعدّد دراساته، كما أنّ له زاد كبير من الكتب التي ألّفها في مدّة ليست بقصيرة، ومحاولات تجديدية وجهود تيسيرية كثيرة، واشتهر بدعوته إلى المنهج التاريخي ودراسة العربية في ضوءه لأنّها اليوم غيرها بالأمس، وكذلك قد حثّ بتفسير الظواهر اللّغوية و العديد من الأساليب والتراكيب في علم النّحو على ضوء هذا المنهج ، واعتمد في دعوته على نهوض النّحو الجديد على دعائم النّحو القديم [1].

وفي كتابه : "النّحو العربي نقد وبناء " المؤلّف سنة 1968م، فنّد الدكتور السّامرائي قضية العلّة ونظرية العامل، واعتمد على المنهج الوصفي في دراسته للّغة، واستفاد من دراسة تمّام حسّان في كتابه " الأصول " ، وقد قسّم كتابه إلى :

- **قسم لغوي** : يدرس أصوات العربية والكلمة وبناءها والأسماء وما تشمل عليه.
- **قسم نحوي** : يدرس أنواع الجملة والأفعال، وأنواع الإعراب، والمرفوعات، والمنصوبات، والجرّ، والتوابع.

فيرى أنّ هذه المواد ينبغي لطالب النّحو أن يتزوّد بها، ولكّن ذلك لا يُغني عن معرفة النّحو القديم معرفة جيّدة تقف على الأصول والفروع وعلى الأساليب التي درج عليها الأقدمون [2].

قدم الدكتور إبراهيم السّامرائي الدّرس الحديث في كتابه يعدّ أساس العربية المعاصرة والذي عرّفه الغربيون وشاع منه النّحو التّحليلي الذي التزم به العالم الأمريكي تشومسكي فقال : "من حق الغربيين أن يجتهدوا ويبدعوا، وإن كان هذا الاتجاه موضع نظر ، ذلك أن النّحو التحويلي لم يصل إلى الدرجة التي يكون فيها علماً

[1] . ينظر : العكيلي (حسن منديل حسن)، محاولات التيسير النّحوي الحديثة، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، دط، 1971م، ص 40.

[2] . إبراهيم السامرائي، النّحو العربي نقد وبناء، دار الجيل، بيروت، ط1، 1990م، ص 10.

يدخل في الكتب التّعليميّة عندهم " [1]. كما عرض أيضاً باب التّقديم والتّأخير لدى عبد القاهر الجرجاني يندرج في باب النّظم، ولا يمكن أن نقصره على منهج التحويل الجديد. ثمّ عرض نماذج منهج التّحويل التي بسّطها بعض الباحثين العرب.

1- عبده الرّاجحي والنّحو العربي والدّرس الحديث :

كتاب "النّحو العربي والدّرس الحديث " هو من أهمّ الكتب المهتمة بالدّراسات النّحوية العربية، إذ يعدّ بحثاً في المنهج، فيعتني بالتفتيش عن النّظم والقواعد النّحوية التي من خلالها ندرك الجملة و نفهم العبارة الصحيحة في اللغة العربية.

في رأيه نحن " أحوج ما نكون إلى البحث في المنهج، وبخاصّة عند نحاة العرب" [2]، لذا من الضروري التفتيش عن منهج نحوي جديد لخدمة الدّرس الحديث، وحسب ما اقترح علينا " أن ننظر في أصول المنهج النّحوي عند العرب، ثمّ ننظر فيه على ضوء المناهج الحديثة " [3] ، ولكن الذي لا ريب فيه ؛ أن عدم تقبّل الجديد من منطلق الجهل به؛ هو شيء ترفضه الطبيعة الإنسانية رفضاً قاطعاً .

كما يحث عبده الرّاجحي على" أن البحث في المنهج يقتضي علماء العربية خاصة أن يبحثوا أيضاً عن المنهج والذي لا شكّ فيه أنّ ذلك يقتضي حركة نشطة في دراسة التّراث العلمي دراسة علمية صحيحة " [4].

فيناقش في كتابه هذا ملابسات نشأة علم النّحو العربيّ، وامتزاجه بعلم الفقه وأصوله، ثمّ يقوم بتقديم موقف المنهج الوصفيّ من هذا النّحو، ثمّ بعد ذلك يفرد فصلاً كاملاً لمسألة هامّة وهي صلة النّحو العربيّ بالمنطق الأرسطي فيقول في هذا الصّدد: " رأيت أنّها لا تزال من أهمّ قضايا النّحو العربي "، وفي الختام قام بعرض أصول نظرية النّحو التّوليدي وطريقته في التّحليل، ثمّ الجوانب التّحويليّة في علم النّحو العربي .

ولا ننسى طبعا كتابه " التطبيق النّحوي " الذي يعد هو أيضاً من أهم الكتب التي ألّفها عبده الراجحي، فكتابه هذا جاء ليعين النّاشئة على إدراك وفهم علم النّحو فهماً دقيقاً و بشكل سهل ومبسّط.

---

[1] . إبراهيم السامرائي، المرجع السابق ، ص 237 238.

[2] . عبده الرّاجحي ، النّحو العربي والدّرس الحديث، دار النّهضة العربية، بيروت ، ط2، 1988م، ص 5

[3] . عبده الرّاجحي ،المرجع نفسه، ص 6

[4] . عبده الرّاجحي ،المرجع نفسه، ص 161.

وقد نحا الراجحي في هذا الكتاب نحواً يخالف من سبقه؛ حيث جعله بابين خصّ الأول منهما للكلمة وأنواعها ، وحالتها من حيث الإعراب والبناء، كما فصّل الحديث عن الإعراب وعلاماته، دون أن يغفل الحديث عن الأفعال والحروف .

أمّا في الباب الثاني فتناول فيه بالدراسة الجملة الاسمية وما يلحقها من نواسخ فعلية وحرفية، ودرس الجملة الفعلية؛ من خلال الفاعل ونائبه، وأنواع المفاعيل[1]، وأدرج باباً جديداً أسماه الجمل الأسلوبية و ذلك لأنّ هذه الجمل تقرن عادة بالأسلوب حيث يشيع مثل : أسلوب الاستفهام، والتّعجّب، والمدح والذم و النّداء ...، كما أنّ هذه الجمل في أغلبها لا تنتمي إلى الجملة الاسمية أو الفعلية انتماءً لازماً بل تندرج تحتهما معاً [2] ، وقد أدرج ضمنها جمل : الاستثناء ، النّداء، الاستغاثة، النّدبة، التّعجّب، المدح، الذم، والشّرط، والقسم.كما تعرّض في فصل مستقل للجمل التي لها محل من الإعراب والجمل التي لا محل لها من الإعراب، كما خصّ شبه الجملة بفصل مستقلٍّ، قبل أن يدرج التوابع ضمن ملحق خاص، مع متفرقات في آخر الكتاب.

ما نلحظه هنا هو تغليبه للجانب التّطبيقي؛ وهذا نابع من قناعته الشّخصيّة فيقول : "ونحن نؤمن بضرورة تدريس النّحو في جامعاتنا في مظانه القديمة إلى جانب الدّرس التطبيقي؛ ولقد كان ذلك منهج القدماء، قدّموا لنا كتباً تضمّ أبواب النّحو، وتَوفّر عددٌ منها على معالجة النّصوص معالجة نحوية تطبيقية " [3]. في نظره أنّ تكثيف التّطبيقات يجعل علم النّحو في متناول الطلاب، وهذا لا يعدّ عيباً كطريقة للتّدريس على حدّ قوله.

وعليه فمن الضرورة تمرين وتعويد الطّلاب على درس النّحو درساً تطبيقياً، والكتاب هنا جمع بين مظانة القديم والدّرس التطبيقي في النّحو، وقام بتوضيح المصطلحات بالأمثلة الموضّحة وطريقة الإعراب كل مثال وتذييل كل قسم بتدريبات من القرآن الكريم.

2- شوقي ضيف وتجديد النّحو :

للدكتور شوقي ضيف مساعي واضحة في العمل على تجديد النّحو العربي وتطويره منذ عام 1947م،حيث تولّى تحقيق كتاب ابن مضاء القرطبي " الردّ على النّحاة " وكَتب له مقدّمة طويلة اشتملت على دراسة لمضمون الكتاب ، فجاء كتابه تطبيقاً للمنهج الذي دعا إليه ؛ في المدخل الذي ضمّنه كتاب " الردّ على النّحاة

[1] . ينظر : جيلالي بترفاس، تيسير النّحو العربي في منظور المجامع اللّغوية العربية المجمع اللّغوي السّوري نموذجا ، ماجيستير، كلية الآداب واللّغات، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2013م / 2014م، ص 67

[2] . عبده الرّاجحي، التّطبيق النّحوي، دار النّهضة العربية، لبنان، بيروت، ط1، 1426ه / 2004م، ص 303.

[3] . عبده الرّاجحي ،المرجع نفسه ، ص 09.

" ويظهر ذلك في حديثه عن أفكاره، التي جاء كتاب " تجديد النّحو "تطبيقاً لها فيقول : " وأكبر الظّن أنّنا حين نطبق على أبواب النّحو ما دعا إليه ابن مضاء ... نستطيع أن نصنّف النّحو تصنيفاً جديداً يحقق ما نبتغيه من تيسير قواعده تيسيراً محقّقاً ، وهو تيسير لا يقوم على ادعاء النّظريات ، وإنّما يقوم على مواجهة الحقائق النّحوية وبحثها بطريقة منظمة لا تحمل ظلماً لأحد، وإنّما تحمل التيسير من حيث هو حاجة يريدها النّاس إلى النّحو في العصر الحديث " [1] .

وفي عام 1977م قدّم لمجمع اللغة العربية بالقاهرة مشروعاً لتيسير النّحو أحيل إلى لجنة الأصول التي درسته دراسة علميّة تمخّضت عن إقرار شطر كبير منه مع إجراء بعض التّعديل، ومن ثمّ اُعتمد من مؤتمر المجمع سنة 1979م، وقد اقترح في مشروعه هذا تصنيفاً جديداً للنّحو يذلل صعوباته وأقام ذلك على دعائم أظهرها في كتابه " تجديد النّحو"، فكان عبارةً عن انتقال من الجوانب النّظرية السابقة التي ضمّها كتاب "الردّ على النّحاة" إلى الجانب التّطبيقي، وأقام كتابه على ستة أسس يمكن الإشارة إليها بإيجاز فيما يأتي :

- إعادة تنسيق أبواب النّحو، حتى لا يتشتّت فكر دارس النّحو في كثرة الأبواب.
- إلغاء الإعرابين التّقديري والمحليّ؛ ومتعلّق الجاو والمجرور، وعمل (أنْ) في المضارع مقدّرة، وإلغاء العلامات الفرعيّة في الإعراب؛ مستنيراً برأي ابن مضاء ،فرأى أن يقال في " جاء الفتى " ، والفتى : فاعل محله الرّفع وفي " هذا زيد "، هذا : مبتدأ محله الرّفع وفي ذلك تعميم للمصطلح، وفي "زيد يكتب" :يكتب جملة فعليّة خبر، فيعيّن وظيفة الجملة دون ذكر محلها من الإعراب.
- الأصل في الإعراب أنّه ليس غاية في ذاته، بل هو وسيلة للنّطق السّليم للعربية؛ ولذلك رأى وجوب إهمال إعراب ما لا يقدّم فائدة في تصحيح النّطق، أو تثقيف اللّسان، مثل : أدوات الاستثناء، وأدوات الشّرط، وكم بنوعيها: الاستفهاميّة، والخبريّة، ولا سيّما.
- وضع تعريفات وضوابط دقيقة لأبواب المفعول المطلق، والمفعول معه، والحال، وغيرها؛ تجمع صور التّعبير في كلٍّ منها جمعاً محكماً وافياً.
- حذف زوائد كثيرةٍ في أبواب النّحو، تُعرض فيه دون حاجة؛ كالشّروط، والأحكام، والصّيغ النّادرة والشاذّة؛ التي أطلق عليها اسم المتسلّقات والأعشاب، التي ملأت كتب النّحو؛ ولذلك فقد حذف من

[1] . ابن مضاء القرطبي، الردّ على النّحاة، ص 67.

أقسام النّحو ثمانية عشر باباً فرعيّاً، كانت تُثقل النّحو وتجهد دارسيه، وترهقهم من أمرهم عُسراً، واكتفى باستيفاء أمثلتها في الأبواب الباقية [1].

- زيادة إضافات لأبواب ضروريّة، كالصّوتيات التي تسعف الدّارس في النّطق، علاوة على إضافات فرعيّة، كالجداول التي تُسعف في التمثّل والفهم [2].

إنّها الأسس المقترحة التي شيّد شوقي ضيف بِنيانه بها، وهي مجموع أفكار نيّرة مواكبة لمتطلبات العصر، حيث يقول :" وإنّي لشديد الأمل في أنْ يصبح نهجُ هذا الكتاب، وتبويبه ومادّته، عتاداً يَرجعُ إليه مؤلفو كتب النّحو التّعليميّ؛ ليضعوا على أسسه كتباً لهم متدرّجة مع سنوات النّاشئة في التّعليم " [3]. وفي موطن آخر يقول : "ولم ألبث أن أخذتُ في تأليف هذا الكتاب، وسمّيته " تجديد النّحو" مبتغياً بأنْ أسوّيَ صيغة مُثلى لتيسر النّحو بحيث يُستضاء بها في عرضه على النّاشئة، عرضاً متكاملاً على مرّ السّنين، في صور متدرّجة ما تزال تتّسع كما كان يصنعُ أسلافُنا في مختصراتهم من سنة لأخرى " [4] .

وكان من دأب الأوائل تأليف كتاب في النّحو، ثمّ شرحه، وربّما اختصروه؛ ولذلك نجده يقلّدهم بتأليف كتاب تيسير النحو التّعليميّ، الذي يشرحُ كتابَه تجديد النّحو ويوضّحُ دقائقه ... إلخ .

ومحاولاته هذه لا تضيف تيسيرات للنّحو بقدر ما تُضيف تعليلات وافتراضات جديدة، حيث يقول محمد عيد في نقده لتلك المحاولة: " إنّه خلط بين مستويين لدارسي هما مستوى المتخصّصين والدارسين في مدارس وترتب على ذلك الخلط بين التّجديد والتيسير ويرجع سبب ذلك أنّ المادّة العلميّة لهذا الكتاب مقتبسة من كتب النّحو القديمة وليست من واقعهم اللّغوي " [5] .

ويصرّ شوقي ضيف على تسمية كتابه " تجديد النّحو " لما ورد فيه من إضافات جديدة وتنويرات فريدة، وإن كانت غايته الرئيسيّة هي تيسير النّحو العربي ؛ وفي ذلك يقول: "سمّيت الكتاب (تجديد النّحو) ولم أُسمّه تيسير النّحو، مع أنّ التيسير غاية، لأنّه يصوغ النّحو صياغة جديدة، فأردت أن يتطابق اسمه مع مضمونه " [6] .

---

[1] . مجلة مجمع اللّغة العربيّة المصري، م 47 : 119.

[2] . شوقي ضيف، تجديد النّحو، ص 4 5.

[3] .شوقي ضيف ، المرجع نفسه، ص 8.

[4] . شوقي ضيف ، تيسير النّحو التّعليميّ ، دار المعارف، مصر ، ط1، 1986م، ص 65.

[5] . ظبية سعيد السليطي، تدريس النّحو العربي في ضوء الاتجاهات الحديثة، دار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، ط1، 2002م، ص 51.

[6] . شوقي ضيف ، تيسير النّحو التّعليميّ، ص 74.

وأمل شوقي ضيف من خلال " تجديد النّحو" هو تحقيق ما طال انتظاره بتطوير النّحو على منهاج متين يساير العصر الحديث فيذلّل صعوباته ويبسّط قواعده ويعين على استكمال نواقصه[1]، وتسهيله لطلاب العربية ومساعدتهم على فهم ما صعب منه وحلّ ويلات عقباتهم ، فيكون هذا العمل بذلك فاتحة خير على الناشئة والدارسين ، لا مادة جامدة في قالب ضيّق من العسير تشكيلها حسب ما تقتضيه الحاجة والحياة .

3- تمام حسّان وتيسير النّحو :

الأستاذ تمام حسّان من كبار علماء العصر الحديث حاذق وذو معرفة وخبرة بعلم النّحو، وهو محافظ ومجدّد في آن واحد ؛ محافظ بالتزامه التراث النّحوي وانطلاقه مما انتهى إليه النّحو عند النّحويين المتأخرين، ومجدّد لأنّه حاول أن يقدّم نحواً معاصراً خالياً من الصعوبات وممّا داخله من شوائب أساءت إليه دون المساس بجوهر النّحو واللغة كما فعل بعضهم ممّن دعا إلى حذف بعض أبواب النّحو كإلغاء نظرية العامل . وغيرها من الآراء التي دعت إلى إلغاء الإعراب وتسكين أواخر الكلمات .

وقد ذهب الأستاذ تمام حسّان إلى تبسيط هذه الأبواب وتقريبها وتوضيحها وعرضها عرضاً سهلاً ميسراً. ومن ذلك ما قام به من محاولات في تيسير هذا العلم، ومن بين هذه المحاولات ما أفصح عنه في كتابه " اللغة والنّحو بين القديم والحديث " حيث انتقد بعض ما تمخّض عن أصوات تنادي بالتجديد والتّطوير، ومنها الصوت الذي ينادي بالتّحرّر من قيد الإعراب، والتّخلي عنه بتسكين أواخر الكلمات، وأظهر عمّا تنطوي عليه هذه الدّعوة من خطر يحدق بالتراث القديم والعريق، والذي لا سبيل إلى فهمه غير الإعراب، ويرى أن مثل هذه الدّعوة إنّما هي كلام ظاهره التيسير ولكنّه في بريقه وخلابته لا يثبت على التّمحيص. [2]

وله كتاب آخر مهم وهو " النّحو الوافي " سعى من خلاله أيضاً إلى تيسير النّحو من جهتين: الطّريقة والمادّة، حيث سلك في طريقة عرض النّحو مسلكاً يختلف عن مسلك النّحاة؛ إذ قسّم كلّ مسألة إلى قسمين: قسم موجز للطلاب، وآخر مفصّل للمتخصّصين، واستخدم في التّمثيل على المسائل أمثلة حديثة، ونوع في أسلوب عرض المادّة فجاءت لغة كتابه سهلة، بسيطة ، واضحة ، بعيدة كلّ البعد عن التعقيدات والغموض.

كما تعرّضّ للمادّة النّحوية نفسها، فانتقد منهج النّحاة في كثير من الأصول والمسائل متأثّراً بالفكر السائد في عصره ، والذي يتعلّق بتيسير المادة النّحوية نفسها لا بطريقة عرضها .

---

[1] . ينظر :شوقي ضيف، تجديد النّحو ، ص 4 . 5 . 8 (المقدمة).

[2] . تمام حسّان، اللغة والنّحو بين القديم والحديث، دار المعارف، ط1، مصر ، 1966م، ص 261.

وألّف كتاب " اللّغة العربية معناها ومبناها " ؛ حيث اعتمد فيه على المنهج الوصفي، " ومجال هذا البحث هو اللغة العربية الفصحى بفروع دراستها المختلفة، فليس هذا الكتاب كتاباً في فرعٍ معيّن من فروع هذه الدّراسات ، ولكنّه يجول فيها، ويأخذ من كلّ فرع منها ما يراه بحاجة إلى معاودة العلاج، على طريقة تختلفُ اختلافاً عظيماً أو يسيراً عن الطّريقة التي ارتضاها القدماء، ثمّ ينتهي أخيراً إلى نتيجة مختلفة أيضاً " [1].

وقد جعل تمام حسّان همّه الأكبر هو المعنى، وكيفيّة ارتباطه بأشكال التّعبير المختلفة، ذلك إنّ الارتباط بين الشّكل والوظيفة هو اللغة، وهو العلاقة الوثيقة بين المبنى والمعنى. وهذا النّوع من الدّراسات يمتدّ من الأصوات إلى الصّرف إلى النّحو إلى المعجم إلى الدّلالة [2]. "ويتمّ ذلك أحيانا بإطراء القديم والإشادة به، وأحياناً أخرى باستبعاده والاستبدال به، وأحياناً بالكشف عن الجديد الذي لم يُشر إليه القدماء، مع وضوحه أمام أنظارهم، وأحياناً بجمع الظّواهر المتفرّقة المترابطة، التي لم يعنَ القدماء بجمعها في نظام عام واحد " [3] . وهكذا تمكّن تمام حسّان أن يجعل جهوده منصبّة على اللغة كلّها، وأصبح بحثه على ضآلة جمعه ، قد جعل كلّ تفكير لغويّ سبقه تحت متناول نقده، سواء كان ذلك بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

فقد جاء هذا الكتاب يلغي الشّرعيّة على التّقليد، لمن يلتمسون النّجاة في ظلّ أعوادها اليابسة، التي غرسها الشؤم في صحراء الجهل ويبابه [4] لأنّ الدراسات اللغويّة العربية اتّسمت بالاتجاه إلى المبنى أساساً، ولم يكن قصدها إلى المعنى إلا تِبعاً لذلك، وعلى استحياء [5]؛ ذلك إنّ الغاية التي نشأ من أجلها النّحو العربي انحصرت في ضبط اللغة، وإيجاد الأداة التي تعصم اللّاحنين عن الوقوع في دائرة الخطأ؛ ومن هنا اتّسم النّحو في جملته بسمة النّحو التّعليمي، وليس النّحو العلميّ، أو توجه صوب النّحو المعياري لا النّحو الوصفيّ [6] .

4- أحمد عبد الستار الجواري وتيسير النّحو :

عُني الدكتور الجواري بالنّحو العربي، وبضرورة تجديده وإصلاحه منذ وقتٍ مبكّر من حياته العلمية. فطرح أولى محاولاته متأثّراً بأستاذه إبراهيم مصطفى وما طرحه الأخير في كتابه "إحياء النّحو "، وقد عرض آراءه في

[1] . تمام حسّان ، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، دط، 994م، ص 9.

[2] . تمام حسّان ، المرجع نفسه، ص 9.

[3] . تمام حسّان المرجع نفسه ، ص 9.

[4] . تمام حسّان ، اللغة العربية معناها ومبناها ، ص 10.

[5] . تمام حسّان ، المرجع نفسه، ص 12.

[6] . تمام حسّان ، المرجع نفسه، ص 13.

تيسير النّحو ومعناه، والإعراب، والعوامل، منهاج النّحو ، وعلامات الإعراب. وضمّن هذه الآراء كتابه الموسوم ب " نحو التيسير " الذي ألّفه عام 1962م . ولعلّ من أهم الأسس التي قامت عليها محاولاته هي : [1]

- الاهتمام البالغ بالقرآن الكريم في تقعيد النّحو العربي ، لأنّه أضحى مصدراً هاماً للغة وأمثل صورة من صور التّعبير العربي.
- الدعوة إلى تصفية النّحو من الشوائب العالقة به، كدخول الفلسفة والعوامل والابتعاد عن إخضاعه في دراسة الفقه ومصطلحاته.
- يرى أن العامل خلق في النّحو أبواباً لا فائدة منها، وأن الأولى اطراحه .
- تحرير النّحو من قيوده ، وتأكيد صلته بالبلاغة وعلم المعاني.

ومن الأسباب التي أدّت به إلى تأليف " نحو التيسير "؛ هي صعوبة النّحو العربي وتعقيداته المبالغ فيها، وعدم قدرة الطلاب على إدراك واستيعاب قواعده وأحكامه التي طغى عليها المنطق والفلسفة " وكان أوّل الأسباب التي عزوت إليها عزوفهم عن مادة النّحو وبرمهم بها على ذلك الوجه، أنّهم لا يستطيعون أن يتذوّقوها بأفكارهم على كلّ حال، وإنّما يحفظون منها ما يحفظون حتى يقطعوا بها مرحلة من مراحل الدّراسة ويقضوا بها حاجة من حاجاتها " [2] .

وقد قسّم كتابه إلى بابين، وكلّ باب إلى فصول، من عناوين فصوله: تيسير النّحو، معنى النّحو، النّحو والإعراب، أحوال الإعراب، الرّفع ، النّصب، ... إلخ.

وانتقد فيه وولع وتعلّق النّحويين بالتّقدير والعوامل، وما يتبع ذلك من تكلّف في التأويل وتعسّف في التّقدير، ويرى أنّ البحث في عوامل الإعراب وفي ظواهره ليس عملاً عقيماً على الإطلاق، ولا هو معدوم الفائدة بحدّ ذاته، ولكنّه يكون كذلك إذا انحرف عن طبيعة الدّراسة اللّغويّة [3] .

كما وجّه للنّحاة مجموعة من الانتقادات؛ من أبرزها اعتمادهم على الشواهد الشّاذة والأمثلة المصنوعة، التي لم يتمّ تداولها على ألسنة العرب، وعدّ افتتانهم بالشّعر والإكثار من الاستشهاد به عيباً، و فساد تبويبهم للمّادة النّحوية وكذا تركيزهم على الإعراب؛ لأنّ ذلك جعلهم يغفلون مهمّة النّحو الأساسيّة وهي تأليف الكلام وترتيبه وتركيبه، وأساليبه المتنوّعة ، وغيرها من الانتقادات التي طالت النّحاة، والتي أفرد لها فصلاً كاملاً برمّته.

[1] . ينظر : حسن منديل حسن عكيلي، محاولات التيسير النحوي الحديثة، ص 52.

[2] . أحمد عبد الستار الجواري، نحو التيسير دراسة ونقد منهجي ، المجمع العلمي العراقي، العراق، دط، 1404ه/ 1984م، ص 6.

[3] . أحمد عبد الستار الجواري، المرجع نفسه ، ص 49.

والظاهر في هذه المحاولة تأثرها الهائل بالقرآن الكريم، واستشهادها بآياته، ولا ريب أنّها من الجهود العظيمة والتي تركت بصمتها في لوح النّحو، حيث تعتبر الخطوة التي مهّدت لتشييد صرح نحو جديد مبسّط مواكب للعصر ولكن مع الحفاظ على جوهره وأصالته.

وعلى الرغم من وجود جهود كثيرة أخرى سبقت محاولة الدكتور الجواري ، إلّا أنّه طبّق علمياً كلامه النّظري في تدريس وتعليم النّحو العربي، ولم تتوقّف محاولاته في سبيل تسهيل النّحو بل كافح لذلك وواصل العطاء وبذل الغاليَ والنّفيس إلى غاية آخر عمره، لعلّه يظفر بغايته التي خطّها بيده، والظّن الراجح أنّه ظفر بما يريد والدليل على هذا ما خلّفه لنا من مآثر جليلة بالذّكر والتّعظيم تخدم اللغة العربية .ولا شكّ أنّه بعد الوقوف على أشهر المحاولات التّجديديّة في الدّراسات اللغوية القديمة والحديثة لتيسير وتطوير النّحو العربي تبيّن لنا ما يلي :

- مسألة تيسير النّحو العربي من المسائل اللغوية الشائكة والمهمّة جداً، التي أولى لها القدماء والمحدثون بالغ الاعتناء، بحكم ما تلعبه من دور هام في تبسيط القواعد النّحوية وتسهيلها .
- تركيزها على التّنظير للنّحو ، وإلغاء نظرية العامل بدعوى إنقاذ النّحو من القيود الفلسفية.
- رفض بعض النّظريات عند القدماء والمحدثين، غير أن المحدثين بالغوا في الرفض فكانوا الأكثر جرأة في الاعتراض على نظرية العامل حيث طالبوا بإلغائها جملةً وتفصيلاً عكس القدماء الذين اتخذوا بين ذلك التوسّط لا الرفض القاطع.
- تجاوز النّحاة القدامى الحدّ في تيسير النّحو، وكذا من خطى خطاهم من المحدثين، من خلال طريقة الاختصار للمّادة النّحوية، وتقديمها بلغة بسيطة وسهلة، وتجنّب كثرة الشّواهد والأمثلة، وكذا تفادي الحشو والتّطويل الذي لا فائدة منه إلا التضخيم والمبالغة.
- تأليف مختصرات وشروح القدماء كانت أعلى رفعة من حيث الأسلوب والصّياغة من لغة تأليف الكتب الحديثة، وهذا العادي لأنّ لغة التأليف تابعة للغة العصر الذي يكون فيه المؤلّف.
- طريقة الشّرح وهي الأكثر شيوعاً مع القدماء، وهذا حصيلة غموض المختصرات وشدّة اختصارها الذي افتقر التّفصيل والتّوضيح وكذا الإضافات، على غير المؤلّفات الحديثة التي أغناها وضوحها وكفاها شمولها مع الإيجاز عن الشّروح، فالنّاظر للكتب الحديثة لا يتعطّل فزعاً من متن نحوي بحاجة إلى شرح طويل.

- تميّز المحدثين في إعادة تبويب المّادة النّحوية وتفوّقوا فيها ؛ إذ زيادة على دمج الأبواب والتّخلي عن بعضها وإضافة أخرى، قاموا بفصل بعض الظّواهر اللّغويّة عن أبوابها، وجعلوها مستقلّة عنها كما فعل شوقي ضيف مثلاً.

وعليه من الضروري إعادة النّظر في وصف وتفسير ما خلّفه النّحاة وراءهم للوقوف على آراء في غاية النّفاسة والأهميّة، بمقدورها دفع الباحثين المهتمّين بالموضوع إلى الظفر بنحو سهل بسيط متداول ومتكامل الأبعاد.

فلايعقل أن نكون في القرن الحادي والعشرين ونهمل مفردات تفكير قرننا من خلال المثال والأسلوب، فإذا قلنا سابق زيد عمراً، أو سابق الحصان الجمل ، فهو مثال ولكنّه لا يدلّ على أنّ الكتاب كتب في القرن الحادي والعشرين.

ولكن إن قلنا سابق الصاروخ الطائرة، أو قلنا سابقت الصهيونية الشّيطان في الإفساد، دلّ ذلك على أنّ الأمثلة ذات دلالة تاريخية وزمنيّة وفكرية معاصرة. وكل ما يكتب في النّحو والصّرف العربي هو درع لهجوم المستغربين والمستشرقين الذين يتهمون هذه اللّغة بالجمود والصعوبة، وهي ليست كذلك على كلّ حال[1].

1) الاستشراق :

عرّفه أحمد حسن الزّيات قائلاً : "هو دراسة الغربيين لتاريخ الشّرق وأممه ولغاته وآدابه وعلومه وعاداته ومعتقداته وأساطيره" [2] أي التّعمّق في العلوم العربية والتّدقيق فيها، وهنا تكمن خطورة أبحاث المستشرقين، أما الغربي جويدي قد عرّفه قائلاً :" بأنّه التعمّق في درس أحوال الشّعوب الشّرقية ولغاتها وتاريخها وحضارتها"[3].

وما يتعلّق بتحديد مصطلح "المستشرق" فإنه :" عالم متمكّن من المعارف الخاصّة بالشّرق ولغاته وآدابه " [4] ؛ أي هو الدّارس والمطّلع على الثقافات الشّرقية والمعجب بها.

ومن أشهر هؤلاء المستشرقين الذين ركّزوا اهتمامهم على دراسة اللغة العربية من خلال العودة إلى الإرث اللغوي العربي ؛ نذكر:" إيفالد Ewald Wagner " 1875م ،"فلايشرHeinrichberecht Fleischer "

[1] . رسمي علي عابد، مهارات التّطبيقات النّحوية واللّغوية دار يافا العلميّة للنّشر والتوزيع، ط1، 2011م، عمان، الأردن، مقدمة : ص 5 6

[2] . أحمد حسن الزّيات، تاريخ الأدب العربي، دار المعرفة، مصر، ط4، 1997م، ص 378.

[3] . أحمد سمايلوفيتش، فلسفة الاستشراق، دار الفكر العربي ، القاهرة، مصر، دط، 1418ه / 1998م، ص 24.

[4] . يحيى مراد، أسماء المستشرقين، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 2004م، ص6

1888 م، و "نولدكه Theodor Noldeke " 1930م، "بروكلمان Carl Brockelman " 1956م، و"يوهان فوك Johann Fuck " 1974م، وغيرهم من المستشرقين الألمان الذين بذلوا جهداً معتبراً من خلال ترجمة التّراث اللغوي العربي إلى الألمانية.

ومن المستشرقين الفرنسيين "سلفستر دي ساسي Silvestre de Sacy "الذي اهتمّ بدراسة قواعد اللغة العربية، منذ المنتصف الأوّل من القرن التاسع عشر، مع تنوّع غايات كلّ منهم، إذ هناك من جاء منهم إلى بلاد الشّرق بهدف تحقيق غاية علميّة، وقد خلّفوا وراءهم آثاراً في مختلف المجالات : اللّغوية والأدبية والدينيّة، وهناك من بينهم من له غاية استغلاليّة استعماريّة.

كان ومازال الاستشراق يعتني بالشّعوب الشّرقيّة، حيث عرف انتشاراً و تطوّرا بالغاً حتى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، فتبنّى في بادئ الأمر دراسة الفصحى وساروا على نهج الأوائل حيث ركّزوا على اللّهجات العربية القديمة ونصوصها، ثمّ عكفوا على وصف العربية على نمط النّظريّات اللغوية الغربيّة في ظلّ الفصحى المعاصرة وبخاصة بعد التّطوّر والإصلاح الذي عرفه الجانب التّعليمي على السّاحة اللّغويّة وفق منهج علمي دقيق امتاز ب " الدقّة والنّزاهة وعدم التّعصّب والموضوعية "[1] . قصد توصيف إرثنا النّحوي وصفاً جديداً بالاهتمام بمعاني المفردات واستيعاب أسرار التركيب وبخاصّة إذا تعلّق بالنّص القرآني على أساس أن المحاولات الأولى " نشأت مختلطة ومتداخلة مع الدّراسات القرآنية " [2]، فعرف بذلك النّحو تطوّراً باهراً ورفعةً هائلة ، تزامنا و النّظرة اللّغوية الحديثة غير أن التّطور في هذا المجال "تطوّر مدين إلى عبقريّة العربية " [3]، بناءً على أن جلّ محاولاتهم تدور حول دراسة الأساليب النّحويّة؛ أي ما كان يعرف عند القدامى بعلم المعاني الذي توسّع وأطال فيه النّحاة العرب القدامى دراسة وتحليلاً، بمعنى أن تلك الجهود أصيلة في الدّرس اللغوي الحديث صادرة عن ما بلغ إليه العرب.

تهاطلوا على الإرث العربي بالدّرس والتحليل، وفي مجال النّحو تحديداً ارتابوا في أصالة النّحو العربي وشكّكوا، الذي اصطبغ بالغموض وتوسّم بالتعقيد، متغافلين عن ضخامة الإرث العربي و بأنّه عمل هائل عربيّ إسلاميّ، وأفضل مرشد لذلك كثرة علمائه، ومما وهبه كياناً تفسيره لظواهر اللغة العربية وتقعيده لها باتساق

[1] . أحمد محمود هويدي وآخرون، الاستشراق الألماني تاريخه وواقعه وتوجهاته المستقبليّة، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة ط1، 2000م، ص 101.

[2] . محمد حسين آل ياسين، الدّراسات اللّغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط1، 1979م، ص 78.

[3] . محمد زهير السنهوري وآخرون، تراث الإسلام، جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، ط1، 1988 م، ج2، ص 8 9.

وانسجام كبيرين، لذا سنحاول رصد بعض آراء المستشرقين المرتبطة بالنّحو العربي، والتي تمّ الاهتمام و وتركيز الأضواء عليها من قبل المحدثين المتأثرين بالمستشرقين وهي كالآتي :

- **التّشكيك بأصالة النّحو العربي:** رغم تعلّق نشأة النّحو العربي بالدّراسات القرآنية لأجل صون القرآن الكريم من اللّحن والزلل إلا أن شرذمة من المستشرقين شكّكوا في أصالته بحجّة أنّه تأثّر بالفكر اليوناني عن طريق ترجمة الكتب اليونانية إلى العربية، علّما أنّ القواعد النّحوية العربية أسّست على أيدي القرّاء الأوائل قبل عملية الترجمة.
- **قضية الإعراب:** لقي الإعراب اهتماماً كبيراً من قبل النّحاة ، حيث ركّزوا عليه لما له من دلالة واضحة في تبيان المعاني وتمييزها ومحو الغموض فيها . أما المستشرقين فقد تناولوا هذا الموضوع بإنكار، حيث نادى أهل الإصلاح فيما بعد إلى إلغائه متتبّعين بذلك خطى المستشرقين بحجّة أن لهجات الحديث عند العرب كانت منذ أقدم عصورها خالية من مظاهر الإعراب، فأقرّوا بذلك بعسر النّحو العربي لأجل الإعراب، وأنّه موجود فقط في لغة الآداب شعرها وخطابتها ونثرها.
- **الدّعوة إلى العامية:** أول من حثّ على التّحول عن الكتابة باللغة العربية من المستشرقين ؛ المستشرق الألماني الدكتور "ولهلم سبيتا" الذي نزل مصر ، وعاش في أحيائها، ودرس العاميّة، ووجد أنّها تختلف من بلد إلى بلد، وقد رأى هو ومن يهدف إلى تحطيم حركة الإحياء من أهل الاستعمار الأوروبيّ أنّ الأمر يوشك أن يخرج إلى ما لا يحمدون عقباه، من سيادة اللغة العربية ونهضتها مرّةً أخرى. ففي سنة 1880م ألّف كتاباً سمّاه " قواعد اللغة العامية في مصر" وقد أيّد " سبيتا" في تقرير وضعه سنة 1882م دعا فيه إلى هجر العربية الفصحى وإحلال العاميّة المصريّة محلّها، وقال في تقريره :" إنّ أمل التّقدّم ضعيف في مصر طالما أنّ العامّة تتكلّم اللغة الفصيحة العربية لغة القرآن كما هي في الوقت الحاضر " [1]

وهذه المحاولات عرفت اختلالات كثيرة ، بحيث منهم من اقتفى خطى القدماء و بذل الجهد في تبنّي فكرة جديدة بالاعتماد على نتائجهم، ومنهم من عارضهم، فلم يلتفت لما بلغوا إليه واتّخذوا الدّرس اللّساني الحديث بديلاً عن دراستهم.

[1] . محمود محمد شاكر، أباطيل وأسمار، مكتبة الخانجي، القاهرة، دط، 1426ه / 2005م، ص164.

2) الاستغراب :

في ضوء الاهتمام بالاستشراق من حيث الانبهار به أو التّصدي له أو محاولات الالتفاف عليه ظهرت فكرة قيام حركة مواجهة، تعنى بالغرب ثقافة وفكراً وآداباً وعادات وتقاليد، ممّا حدا ببعض المفكرين العرب المعاصرين إلى أن يدعوا إلى قيام علم الاستغراب، فانبرى حسن حنفي 1935م، ونشر كتاباً ضخماً بعنوان مقدمّة في علم الاستغراب [1]، ليأتي هذا العلم مواجهاً للتّغريب " الذي امتدّ أثره ليس فقط إلى الحياة الثّقافيّة وتصوراتها للعالم وهدّد استقلالنا الحضاري، بل امتدّ إلى أساليب الحياة اليومية ونقاء اللغة" [2]

ومن البيّن أنّ الإستغراب" نزعة عاطفيّة نحو الغرب، ديناً، وثقافة، وحضارة، يتمثّل فيها البعد النّفسي المتدني، والشّعور بالنّقص، والحاجة إلى التّقليد، يقوم بها كلّ من تُمارس عليه الضّغوط التي لا يتمكّن من مقاومتها، والتّعامل معها "[3]، وهو تقليد للحضارة الغربية، والسّعي في تطبيقها بحذافيرها، مع التسليم إرادياً لما تحمله من أفكار ، بالاعتماد عليها ، وضرورة الاهتمام بها .

والمستغرب هو المعجب بأفكار الغرب حول الدين، ثمّ يسعى لتطبيقها على دين الإسلام، لقد قال أحد المستغربين: " إذا أردنا التّقدّم العلمي، والتقاسم الحضاري، وأن يكون لنا وجود فعلي، فلابد من تقليد الغرب في كل شيء حذو النعل بالنعل، حتى دخلوا جحر جنب خرب، وجب علينا الدّخول خلفهم فيه "[4].

وهؤلاء المستغربون قد يفوق خطرهم خطر المستشرقين، فالمستشرق هو أجنبي عنا ننظر إليه بشكوك، ومحاولة معرفة أبعاد ما تحمله آراؤه ونتحصّن ضدّها ونهزمها، أما المستغرب فهو إنسان عربي ذاب في ثقافة الغرب، ولأنّه عربي ومسلم فنحن نأنس له ونستقبل آراءه دون مناقشة محملة بالشّك، ولذلك لابدّ لنا أن نتعامل مع هؤلاء المستغربين، لا بالرّفض الكامل، ولكن بالمناقشة الجادّة التي نحفظ بها روح ثقافة الإسلام ودون أن نهدر أصولنا في الذوبان في حضارة الغرب[5].

ومن هؤلاء عيسى إسكندر المعلوف الذي كتب عدّة مقالات عن اللّهجة العاميّة في مجلة مجمع اللّغة العربية في القاهرة، فيقول: "وما أحرى أهل بلادنا أن ينشطوا من عقالهم طالبين التّحرّر من رق لغةٍ صعبة المراس قد

---

[1] . د. علي إبراهيم النملة، الاستغراب المنهج في فهمنا الغرب رؤية تأصيلية ، كتاب المجلّة العربية، الرّياض، ط1، 1436ه / 2015م ، ص 15

[2] . ينظر: حسن حنفي، مقدّمة في علم الاستغراب، المؤسّسة الجامعية للدّراسات والنّشر، بيروت، ط2، 1412ه /1992م، ص 18 19.

[3] . د. طه عبد الله شعبان، التبشير والإستشراق في الميزان، مكتب طنطاوي، مصر، ط1، 2004م، ص 134.

[4] . علي حسن النمرسي، الغزو الثّقافي أسبابه وغاياته، ط1، 1997م، ص 45 46.

[5] . محمد متولي الشّعراوي، قصص الأنبياء، جمع المادّة العلميّة ك منشاوي غانم جابر، كتب الحواشي وراجعها: مركز التراث لخدمة الكتاب والسّنة، مكتبة التراث الإسلامي، ط1، 1426ه /2006م، ج1،ص 84.

استترفت أوقاتهم .. ولي أمل أن أرى الجرائد العربية ، قد غيّرت لغتها .." [1]، والذي يحزن النّفس أن يكون عدو العربية عضواً في مجمع اللغة العربية، والذي من المفروض أن يصون العربية، وهناك أيضاً عبد العزيز فهمي باشا الذي نادى وبقوّة إلى كتابة العربية بالحروف اللاتينيّة، وألّف كتاباً سمّاه " الحروف اللاتينيّة لكتابة العربية".

فيعلّق الدكتور محمد محمد حسين على دعوة اقتراح هذين الرّجلين قائلاً: "أليس يرضى الاستعمار عن مثل اقتراح المعلوف وفهمي؟ أليس يرضى عنه العضو الإنجليزي (جب) الذي يقرر في كتابه : (إلى أين يتجه الإسلام؟) عند كلامه عن الوحدة الإسلامية أنّ من أهمّ مظاهرها الحروف العربية التي تستعمل في سائر العالم الإسلامي، أليس يرضى عنه الاستعمار الفرنسي الذي حارب العربية الفصحى في شمال إفريقيا أعنف الحرب، وضيّق عليها أشدّ التضييق ؟ " [2]

وهناك رجل أشدّ خطرا في آرائه من الذين مضوا "أحمد لطفي السيّد الذي كان رئيساً لمجمع اللغة العربية في القاهرة، قد نادى بشيء غريب سمّاه " عقد الصلح بين العامية والفصحى " وكأنّه بذلك نصّب نفسه قاضياً عادلاً وشرعيّاً بين العاميّة والفصحى.

وفي الأخير نأتي إلى عميد الأدب الاستشراقي في مصر، الدكتور طه حسين؛ الذي جاء باقتراح إلى مجمع اللغة العربية بالقاهرة وكان رئيساً له !يريد فيه إضافة أحرف لاتينيّة على الأبجديّة العربية، وقد تصدّى له الدّكتور عمر فروخ وعباس محمود العقّاد رحمهما الله تعالى، وأخفقت محاولته الخطيرة. ويقول الدكتور عمر فروخ في هذا الصّدد: "... وهكذا نجت اللغة العربية من اقتراح ما كان أحد إلا الله تعالى يعلم إلى أين تنتهي آثاره لو أنّ مجمع اللغة العربية في القاهرة أخذ باقتراح طه حسين " [3].

وعليه يمكن أن ينظر إلى "الاستغراب" على أنّه الوجه الآخر المقابل، بل والنّقيض من "الاستشراق"،فإذا كان الاستشراق هو رؤية الأنا "الشّرق"، من خلال الآخر "الغرب"، يهدف "علم الاستغراب" إلى فكّ العقدة التّاريخية المزدوجة بين الأنا والآخر، والجدل بين مركب النقص عند الأنا، ومركب العظمة عند الآخر.[4]

[1] . د. محمد حسين ، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2 ، 1388ه / 1968م، ج2،ص 363.

[2] . محمد حسين ،المرجع نفسه، ص 364.

[3] . عمر فروخ، غبار السنين، دار الأندلس، بيروت، ط1 ، 1405ه / 1985م، ص 149.

[4] . ينظر: حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، ص 23.

هل حقّق المستشرقون والمستغربون أهدافهم ؟

لا شكّ بأن الجواب هو (لا) .. لأسباب كثيرة أهمها :

- اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم ؛ وهي محفوظة من عند الله، فقال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [1] ، ومادام هذا القرآن يُتلى في المشارق والمارب فإن العربية ثابتة دائمة ونامية.
- اللغة العربية لغة الحضارة والعلم، إذ بامكانها مسايرة العلوم الحديثة دون جمود ، فهي غنية بثروتها اللّفظيّة وتنوّع أساليبها التّعبيرية وميزات أخرى جمّة قادرة على ربط الحاضر بالماضي.
- الانقضاض الذي طال اللغة العربية أدّى إلى ردّ فعل مقاوم، حيث ظهرت مجامع اللغة العربية في كل من سوريا ومصر والعراق والأردن، وقام أعضاء هذه المجامع بوضع المصطلحات العلمية والطبيّة لكلّ وافد وجديد.
- العربية الفصحى لا تعيق التقدّم العلمي بتاتاً ، والدليل أن هناك بعض اللغات الميّتة والبدائية كاليابانيّة والصينيّة والعبريّة تلقّن بها العلوم ويفخر أهلها بها، و لم يوصل ذلك إلى تراجعهم عن ركب الحضارة.[2]

[1] . الحجر:09.

[2] . ينظر : د. أحمد الفاضل، المستشرقون.. والمستغربون ..والدّعوة إلى العاميّة !!

خـــاتـــمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا العمل، الذي حاولنا فيه إثبات حيويّة قواعد النّحو العربي، وأنّها متطورة بتطوّر الزّمن، ولكون اللغة العربية متجدّدة على الدوام، والنّحو جزء من هذه اللغة، جاءت صيحات المستغيثين المنادية للإصلاح ؛ وعليه نقول:

- النّحو العربي علم غير رافض للإصلاح، والتّطوّر، ولا رتابة فيه أو جمود، إنّما الجمود في أسلوب عرض المادة النّحوية .
- اختلف الأوائل والمتأخرون في نظرتهم إلى النّحو، فبينما انصبّت محاولات معظم القدامى في تيسير النّحو إلى الشّرح والإيجاز والتّقريب، أخذت جهود المحدثين منعطفاً جديداً سعى إلى تطوير النّحو وإحيائه مع تبسيط قواعده مواكبة لمتطلبات العصر.
- أحصى علماء النّحو العربي عللاً وشوائب التصقت بالنّحو وكانت سبباً في جموده وغموضه، وهي تتمحور حول ثلاثة جوانب: في (كتب النّحو) ، و(مناهج النّحاة) ، و(المادة النّحوية).
- أدرك أسلافنا عويص ما لحق بالنّحو العربي، فانصرفوا في التفتيش عن أساليب لتيسير الغامض منه، وإيضاح المبهم، فألّفوا لذلك الشّروح والمختصرات والمنظومات؛ رغبة منهم في تدارك جمود هذا العلم.
- كثرة وتعدّد المدارس النّحوية دليلٌ واضحٌ على عدم جمود قواعد النّحو العربي، وأنّه دائم التّجدّد، وذو أهمية كبيرة لكونه علماً قائماً بذاته يستوجب الدّراسة.
- تنوّعت جهود المحدثين وتعدّدت في تجديد النّحو وتيسيره، حتى صارت نهضة لغوية متجدّدة، اتجهت نحو العصرنة، وإحياء القديم، في ظلّ استياء الطّلاب صعوبة قواعد النّحو العربي ومسائله.
- ربط القواعد النّحوية بالواقع الحياتي للطالب؛ حتى تبقى قائمة في عقله، وتبرز عليها سمة " الواقعية " لا سمة " النّظرية" .
- تبسيط القواعد النّحوية من خلال تنقية النّحو ممّا علق به على مرّ الأزمان من الآراء الشّاذة الزائفة، والتّأويلات التي لا تحمل غاية علمية.
- يعتبر إصلاح النّحو العربي وقواعده من أهمّ الغايات التي تساهم في النّهضة الفكرية ومن أجرئها من حيث التّجسيد على أرض الواقع.
- العمل على تطوير الحركات الإصلاحية في النّحو العربي والمحافظة على ثوابته وأسسه، مع الأخذ بعين الإعتبار التّحديثات والمتغيّرات التي يفرضها الزمن ويتطلبها عصر العولمة.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

المصادر والمراجع :

1- إبراهيم السامرائي ، المدارس النحوية أسطورة وواقع، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان ، الأردن، ط1، 1987م.

2- إبراهيم السامرائي، النّحو العربي نقد وبناء، دار الجيل، بيروت، ط1، 1990م.

3- إبراهيم عبد السامرائي، المفيد في المدارس النحوية، دار المسيرة، عمان ، الأردن، ط1، 1427ه/ 2007م.

4- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ج1، دار الدّعوة، مصر ، ط3، 1989م.

5- إبراهيم مصطفى، إحياء النّحو، مؤسسة هنداوي للتعليم والثّقافة ، القاهرة ، مصر، ط2، 1413ه /1992م.

6- ابن الأنباري (أبو البركات) ، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، 1418ه/ 1998م .

7- ابن الأنباري ، الإنصاف في مسائل الخلاف ، تح: محمد محي الدين، المكتبة العصرية، بيروت، دط، 1997م.

8- ابن الأنباري، أسرار العربية، تح: صالح قدارة ، دار الجيل، بيروت، ط1، 1995م.

9- ابن السّراج، الأصول في النحو العربي، تح: د.عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة للنشر، بيروت، ط2، 1405 ه / 1985م.

10- ابن جني، الخصائص ، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، 2008م.

11- ابن عصفور ، المقرب، تح: عادل أحمد وعلي معوض، دار الكتب العلمية ، لبنان، ط1، 1418ه/ 1998م.

12- ابن فارس ، الصاحبي ، علق عليه ، أحمد حسن بسبح ،دار الكتب العلمية، بيروت ،لبنان ، ط1 ،1418ه 1997م .

13- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة ، تح: عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل، بيروت ، لبنان، ط1، 1991 م.

14- ابن مالك الطائي، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تح: محمد كامل بركات، دار الكاتب العربي للطباعة والنّشر، القاهرة، ط1، 1388ه / 1968م.

15- ابن مضاء القرطبي ، الردّ على النّحاة ، تح : شوقي ضيف ، دار الفكر العربي، القاهرة ، ط1، 1366ه /1947م.

16- ابن منظور ، لسان العرب، تح : عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية ، لبنان، ط1، 1424ه / 2003 م.

17- أبو الطيّب اللغوي، مراتب النحويين واللغويين،تح: محمد أبو الفضل، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1394ه/ 1974م.

18- أبو المكارم (علي)، الحذف والتقدير في النّحو العربي، دار غريب، القاهرة، ط1، 2001م.

19- أبي زكرياء يحيى بن زياد الفرّاء، معاني القرآن، تح: أحمد يوسف نجاتي ، ومحمد علي النجار، دار الكتب والوثائق القومية، مركز تحقيق التراث ،القاهرة، ط3، 1422ه / 2001م.

20- أحمد أمين، ضحى الإسلام، دار الكتب العلمية، بيروت ،ط 3 ، د ت.

21- أحمد بن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الجيل ،بيروت ، دط، 1993 م.

22- أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري، المصباح المنير، دار الحديث، القاهرة ، مصر، د ط، 1429ه /2008م.

23- أحمد حسن الزّيات، تاريخ الأدب العربي، دار المعرفة، مصر، ط4، 1997م.

24- أحمد سمايلوفيتش، فلسفة الاستشراق، دار الفكر العربي ، القاهرة، مصر، دط، 1418ه / 1998م.

25- أحمد محمود هويدي وآخرون، الاستشراق الألماني تاريخه وواقعه وتوجهاته المستقبليّة، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة ، ط1، 2000م.

26- الأخفش الأوسط، سعيد بن مسعدة، معاني القرآن، تح: هدى قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، دط، 1990م.

27- أسامة خالد محمد حمّاد، الخلاصة البهية في المدارس النحوية، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، دط، 1971م.

28- إسماعيل بن حماد الجوهري ، الصّحاح ، تح : أحمد عبد الغفور عطار،دار العلم للملايين، بيروت، ط4 ، 1407 ه /1987م.

29- البطليوسي (ابن السيّد)، الحلل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل، تح : حمزة النشرتي، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1، 2003م.

30- البغدادي عبد القادر بن عمر ، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، تح : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ،مصر ، ط4 ، 1418 ه /1997م

31- بكري (عبد الكريم) ، ابن مضاء وموقفه من أصول النّحو، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، ط1، 1982م.

32- بن شُقير ، الجمل في النّحو، ، تح: محمد العزازي ،دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، دط، 1971م.

33- تمام حسّان ، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، دط، 1994م.

34- تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1958م.

35- تمام حسّان، الأصول دراسة إبستيمولوجية ، عالم الكتب، القاهرة، دط، 1420ه / 2000م.

36- التوحيدي أبو حيان ، الإمتاع والمؤانسة ، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين ، الناشر مؤسسة الهنداوي سي آي سي، دط، 2017م.

37- الثعالبي عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، فقه اللّغة وسرّ العربيّة، تح: د. خالد فهمي، مكتبة الخانجي، ط1، القاهرة، 1418ه / 1998م.

38- الجاحظ أبو عثمان ، الحيوان، تح : عبد السلام هارون، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي وأولاده، القاهرة، ط2، 1965م.

39- الجرجاني (عبد القاهر)، العوامل المائة، عني به أنور بن أبي بكر الداغستاني، دار المنهاج، بيروت، ط1 ، 1438ه / 2017م.

40- جلال الدين السيوطي، الأشباه والنظائر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411ه / 1990م.

41- جلال الدين السيوطي، الاقتراح في علم أصول النحو، تح: محمود سليمان ياقوت ، دار المعرفة الجامعية، مصر، ط3 ، 1426ه / 2006م.

42- جلال الدين عبد الرحمان السيوطي ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تح: محمد عبد الرحيم ، دار الفكر، بيروت ، لبنان ، ط1، 1425 ه/ 2005م.

43- جنان التميمي، النحو العربي في ضوء اللسانيات الحديثة ، دار الفارابي، مصر ، ط1 ، 2013م.

44- الجواري : د.أحمد عبد الستار ، نحو التيسير، مطبعة المجمّع العلمي العراقي، بغداد، ط2، 1984 م.

45- الجوهري ، الصحاح ، دار الكتب العلمية، تح: إميل بديع يعقوب، بيروت، ط1، 1999م.

46- حسام أحمد قاسم، الأسس المنهجية للنّحو العربي دراسة في كتب إعراب القرآن الكريم، دار الآفاق العربية، القاهرة، 1428ه /2007 م.

47- حسن حنفي، مقدّمة في علم الاستغراب، المؤسّسة الجامعية للدّراسات والنّشر، بيروت، ط2، 1412ه /1992م.

48- الحسين (محمد الخضر)، القياس في اللغة العربية، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، دط ، 1986م.

49- حسين حامد حسان ، الحكم الشرعي عند الأصوليين، دار النهضة العربية، القاهرة، دط، 1972م.

50- الحديث النبوي الشريف : أخرجه : البخاري ومسلم من طريق المثنى بن سعيد ، عن أبي جمرة

51- خديجة الحديثي ، المدارس النحوية،دار الأمل ، اربد ، الأردن، ط3، 1422ه /2001م.

52- خضر موسى محمد، النحو والنحاة، عالم الكتب، بيروت، ط1، 2003م.

53- خلف الأحمر، مقدّمة في النّحو، تح : عز الدين التنوخي، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، وزارة الثقافة السورية، دط، 1965م.

54- خليفة (حاجي)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، لبنان، دط، 1941م.

55- خليفة عبد الكريم، تيسير العربية بين القديم والحديث، مجمع اللغة العربية الأردني، عمّان، ط1، 1407 ه /1986م.

56- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424 ه / 2003م.

57- راتب قاسم عاشور، أساليب تدريس اللغة العربية بين النظرية والتطبيق، دار المسيرة ، عمّان، ط4 ، 2014م.

58- رسمي علي عابد، مهارات التّطبيقات النّحوية واللّغوية دار يافا العلميّة للنّشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2011م.

59- رمضان عبد التّواب، فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط6 ،1999 م.

60- الزبيدي أبو بكر ، الواضح ، تح: عبد الكريم خليفة، دار جليس الزّمان، عمّان، الأردن، ط2 ، 2011م.

61- الزجاجي (أبو القاسم) ، الإيضاح في علل النّحو، تح: مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، ط7، 2007م.

62- الزجاجي (أبو القاسم) ، الجمل في النّحو، تح: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، دار الأمل، ط1، 1989م.

63- الزمخشري (جار الله)، المفصّل في علم العربية، دار عمّار، الأردن، ط1، 1425ه/ 2004م.

64- الزمخشري جار الله ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط3 ، 1407ه.

65- زهير غازي زاهد ، موضوعات في نظرية النّحو العربي دراسات موازنة بين القديم والحديث ، دار الزمان للطباعة والنّشر والتوزيع، دمشق، سوريا ، ط1، 2010م.

66- سعود أبو تاكي، خصائص التأليف النّحوي في القرن الرابع الهجري، دار الغريب، القاهرة، ط1، 2005م.

67- سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان ، الكتاب ، تح : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر، ط3 ، 1408ه / 1988م.

68- السيرافي ، أخبار النحويين البصريين، تح: محمد عبد المنعم خفاجي وطه محمد الزيني، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ط1، 1374 ه /1955م.

69- السيوطي (جلال الدين)، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، تح: عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، ط1، 1399ه / 1979م.

70- شرارة (عبد اللّطيف) ، ابن حزم رائد الفكر العربي ، دار الفكر العربي، بيروت، دط، 1977م.

71- شعبان عوض محمد العبيدي، النّحو العربي ومناهج التأليف والتحليل، دار طلاس، دمشق، دط، 1989 م.

72- شوقي ضيف، المدارس النحوية، دار المعارف، القاهرة، ط7، 1992م.

73- شوقي ضيف ، تيسير النّحو التّعليميّ ، دار المعارف، مصر ، ط1، 1986م.

74- شوقي ضيف، تجديد النّحو ، دار المعارف، القاهرة، ط6، 1426ه.

75- الشيخ محمد الطنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، دار المعارف، القاهرة ، ط2، 1997م.

76- صالح (محمد سالم) ، أصول النّحو دراسة في الفكر الأنباري ، دار السّلام، القاهرة، ط2، 2009م.

77- صالح بلعيد ، في أصول النحو، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر ، ط2، 2008م.

78- صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، دط، 2004م.

79- الطريحي، الشّيخ فخر الدّين (ت1085ه) ، تح: السيّد أحمد الحسيني، مجمع البحرين ،إيران، ط2، 1408ه.

80- طه عبد الله شعبان، التبشير والإستشراق في الميزان، مكتب طنطاوي، مصر، ط1، 2004م.

81- ظبية سعيد السليطي، تدريس النّحو العربي في ضوء الاتجاهات الحديثة، دار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، ط1، 2002م.

82- عبادة محمد إبراهيم، النّحو التعليمي في التراث العربي، دار منشأة المعارف، الإسكندرية ، مصر، دط، 1986م.

83- عباس حسن، اللغة والنّحو بين القديم والحديث، دار المعارف ،مصر ، ط1، 1966م.

84- عباس حسن، حروف المعاني بين الأصالة والحداثة، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، دط، 2000م.

85- عبد الرحمان أيوب، دراسات نقدية في النّحو العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، دط، 1957م.

86- عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، دار القلم للنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1978م.

87- عبد الرحمن محمد أيوب، دراسات نقدية في النّحو العربي، دار الأنجلو المصرية، القاهرة، ، د ط ، 1957م.

88- عبد العال سالم، الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي، مؤسسة الرسالة، بيروت، دط، 1993م.

89- عبد العزيز عتيق، المدخل إلى علم النحو والصرف، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط2، 1974م.

90- عبد الله أحمد بن أحمد محمد، النحو العربي بين القديم والحديث ، دروب للنشر والتوزيع، الأردن ، دط، 2011م.

91- عبد الله جاد الكريم، التوهّم عند النّحاة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1422ه /2002م.

92- عبده الرّاجحي ، النّحو العربي والدّرس الحديث، دار النّهضة العربية، بيروت ، ط2، 1988م.

93- عبده الرّاجحي، التّطبيق النّحوي، دار النّهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1426ه / 2004م.

94- العكيلي (حسن منديل حسن)، محاولات التيسير النّحوي الحديثة، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، دط، 1971م.

95- علم الدّين السّخاوي، قضايا الخلاف النّحوي في المفضّل شرح المفصّل، تر و تح : عبد الله عبد العليم حسن السنتريسي، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2012م.

96- علي إبراهيم النملة، الاستغراب المنهج في فهمنا الغرب رؤية تأصيلية ، كتاب المجلّة العربية، الرّياض، ط1، 1436ه / 2015م.

97- علي أبو المكارم، تعليم النحو العربي – عرض وتحليل - ، مؤسسة المختار ،القاهرة، دط، 1428 ه / 2007م.

98- علي بن حزم الأندلسي الظاهري، الإحكام في أصول الأحكام، تح : محمد تامر، دار الكتب العلمية ، ط1 ، 2004م.

99- علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، التعريفات ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ، ط1 ، 1403ه/ 1983م.

100- علي حسن النمرسي، الغزو الثّقافي أسبابه وغاياته، ط1، 1997م.

101- علي مزهر محمد الياسري، الفكر النحوي عند العرب أصوله ومناهجه، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط1 ، 2003م.

102- عمر أحمد مختار، البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثّر ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط6، 1988 م.

103- عمر فروخ، غبار السنين، دار الأندلس، بيروت، ط1 ، 1405ه / 1985م.

104- عوض حمد القوزي، المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث هجري، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الرياض، السعودية، ط1 ، 1981م.

105- فريحة أنيس ، نظريات في اللغة ، دار الكتاب ، بيروت، لبنان، ط2 ، 1981م.

106- فوزي مسعود ، سيبويه جامع النحو العربي، دار الهيئة المصريّة العامة للكتاب، د ط، 1986م.

107- القفطي (علي بن يوسف)، إنباه الرواة على أنباه النحاة، دار الفكر العربي ، القاهرة، ط1، 1406ه / 1986م.

108- القلقشندي : أبو العباس أحمد بن علي، صبح الأعشى ،دار الكتب المصرية، القاهرة ، ج1 ، د ط ،1340ه / 1922 م

109- القوزي (عوض أحمد) ، المصطلح النّحوي نشأته وتطوّره حتى أواخر القرن الثالث الهجري، جامعة الريّاض، 1981م

110- كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ترجمة السّيد يعقوب بكر ورمضان عبد التّواب، دار المعارف، بيروت ، ط2 ، 1968م.

111- كمال بشر ، اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم، دار غريب ، القاهرة ، ط1، 1998م.

112- المبارك (مازن) ، النّحو العربي، العلة النّحوية نشأتها وتطورها، دار الفكر ، بيروت ، لبنان، ط3، 1981م.

113- المبرّد أبو العباس ، المقتضب ، تح : حسن حمد و إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، مصر ، ط1، 1999م.

114- مبروك سعيد : د. عبد الوارث ، في إصلاح النحو العربي،دار القلم للنّشر، الكويت، ط1 ،1406ه /1985 م.

115- مجلة مجمع اللّغة العربيّة المصري، القاهرة ، مصر ، م 47.

116- مجمع الأمثال لأبي الفضل الميداني، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المعاونية الثّقافية للآستانة الرضوية المقدّسة، إيران ، ط1 ، 1441ه / 1987م .

117- محمد أحمد عرفة، النّحو والنحاة بين الأزهر والجامعة، مطبعة السعادة، القاهرة ،مصر ، ط1، 1937م.

118- محمد إسماعيل ظافر وآخرون، التدريس في اللغة العربية، دار المريخ للنشر والتوزيع، الريّاض، د ط، 1984م.

119- محمد بن إسحاق النديم، الفهرست، تح: مصطفى الشومي، الدار التونسية للنشر، تونس، ط1، 1985 م.

120- محمد بن الحسن الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف، ط2 ،1984م.

121- محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الأنباري، الأضداد في اللغة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الكويت، دط، 1960م.

122- محمد حسن عبد العزيز، العربية الفصحى المعاصرة قضايا ومشكلات ، مكتبة الآداب، مصر ، القاهرة، ط1، 1433ه / 2011م.

123- محمد حسن عبد العزيز، مدخل إلى علم اللغة، مكتبة الشباب، مصر، ط1 ، 1998م.

124- محمد حسين ، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2 ، 1388ه / 1968م.

125- محمد حسين آل ياسين، الدّراسات اللّغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط1، 1979م.

126- محمد زهير السنهوري وآخرون، تراث الإسلام، جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، ط1، 1988 م.

127- محمد سمير نجيب اللبدي، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، مؤسسة الرسالة، لبنان، د.ط، 2018/2017م.

128- محمد عبده، قضايا معاصرة في الدراسات اللّغوية، عالم القاهرة، مصر، د ط، 1989م.

129- محمد علي أبو العباس، الإعراب الميسّر والنّحو، دار الطلائع، القاهرة ، مصر، دط، 1998م.

130- محمد متولي الشّعراوي، قصص الأنبياء، جمع المادّة العلميّة : منشاوي غانم جابر، كتب الحواشي وراجعها: مركز التراث لخدمة الكتاب والسّنة، مكتبة التراث الإسلامي، دار القدس، ط1، 1426ه /2006م.

131- محمد محيي الدين عبد الحميد ، التحفة السنية بشرح مقدمة الآجرومية، تح: الإمام مالك، دار الفيجاء، الرياض ، ط1، 1994م.

132- محمد مرتاض الحسني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، دط، 1392 ه / 1972م.

133- محمود محمد شاكر، أباطيل وأسمار، مكتبة الخانجي، القاهرة، دط، 1426ه / 2005م.

134- المخزومي (مهدي) ، في النّحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت ، لبنان، ط2، 1986م.

135- مصطفى أحمد عبد العليم بخيت ، أثر العقيدة وعلم الكلام في النّحو العربي، دار البصائر ، القاهرة ، ط1، 1433ه / 2012م.

136- مصطفى جمال الدين، البحث النحوي عند الأصوليين، دار الهجرة للنشر، إيران، ط2، 1405ه.

137- مصطفى صادق الرافعي ، تاريخ آداب العرب، مكتبة الإيمان، ط1، 1997م.

138- مكرم (عبد العال سالم) ، المدرسة النّحوية في مصر والشام ، دار الشّروق، القاهرة، ط1، 1980م.

139- مهدي المخزومي، في النحو العربي: قواعد وتطبيق على المنهج العلمي الحديث، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط1، 1966م.

140- نادية رمضان، قضايا في الدرس اللغوي، تح : طاهر سليمان حمودة ، الناشر مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ط3، 2001م.

141- نحلة محمد أحمد ، أصول النحو العربي،دار العلوم العربية، بيروت ، لبنان، ط1، 1987م.

142- نعمة رحيم العزاوي، في حركة تجديد النّحو وتيسيره في العصر الحديث، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ، دط ، 1995م.

143- نهاد الموسى، الأساليب مناهج ونماذج في تعليم اللغة العربية ،دار الشروق ، الأردن ،ط1، 2003م.

144- الواسطي (محمد بن مباشر)، شرح اللّمع في النّحو، تح: رجب عثمان بن محمد وتص : رمضان عبد التّواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1، 1420ه / 2000م.

145- ياقوت الحمدي، معجم الأدباء، دار إحياء التراث ، بيروت ،ط1، 1993م.

146- ياقوت الحموي، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، ط1، 1414 ه/ 1993م.

147- يحيى مراد، أسماء المستشرقين، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 2004م.

المجلات والمقالات :

1- أسامة رشيد الصفار ، في عيوب النّحو رأي .. وتعليق ... ، جامعة بغداد ، كلية التربية : ابن رشد ، قسم اللغة العربية.

2- بن حمو محمد، النّحو العربي بين جمود القواعد وإبداع النصوص، مجلة الحضارة الإسلامية ،العدد 08.

3- التواتي بن التواتي، هل النّحو العربي في حاجة إلى التيسير؟ الجزائر : الجزائر ، مجلة اللسانيات، مركز البحوث العلميّة والتّقنيّة، 2003م، ع 08.

4- خالد بن عبد الكريم بسندي، محاولات التجديد والتيسير في النّحو العربي، مجلة الخطاب الثقافي ، السعودية، 1429 ه /2008م.

5- عبد السّلام المسدي، تجديد النّحو أبعاده وحدوده، بحث قدّم لمؤتمر مجمع دمشق السّنوي: 2008م (الجزائر، الجزائر، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، ع: 16 س : 8، صفر 1434ه / ديسمبر 2012م.

6- عبد الله بن عبد الرّحيم عسيلان، قضية الإعراب ومشاريع تجديد النّحو العربي مقال

علوي عبد الله طاهر ، في محاولات تيسير النحو العربي، مجلة التّواصل ، العدد 12، دار الجامعة عدن للطباعة، يوليو، 2004م.

7- علي محمد يوسف جميل، أثر القرآن الكريم على اللغة العربية، ، المنهل ، العدد 491 ، المجلد 53.

8- المبارك: د.عبد الحسين، قضية الإعراب في النحو العربي، مجلة الضاد، تصدر عن الهيئة العليا للعناية باللغة العربية في الجمهورية العراقية، 1989م.

9- ملاوي الأمين، تيسير النّحو العربي بين التنظير والتّعليم ، مجلة العلوم الإنسانيّة،، جامعة محمد خيضر ، بسكرة، ع 25، 2012م

10- مهدي المخزومي ، دعوة جادة في إصلاح العربية، مجلة المعلّم الجديد ، مجلّد 18، كانون الأوّل ، 1955م.

11- هلال ناجي، في تيسير تعليم مباحث النّحو، بحث مقدّم لمؤتمر مجمع دمشق الأوّل، 2002م، (سورية، دمشق، مجلة مجمع اللغة العربية ، مج : 82، ج1، ذو الحجّة 1427ه ، يناير، 2007م.

الرسائل العلمية :

12- جيلالي بترفاس، تيسير النّحو العربي في منظور المجامع اللّغوية العربية المجمع اللّغوي السّوري نموذجا ، ماجيستير، كلية الآداب واللّغات، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2013م / 2014م.

13- حمار سمية، إشكالية تعليم مادة النحو العربي في الجامعة – جامعة بجاية أنموذجا – مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، 2011م.

14- عبد الرحمن السيّد، مدرسة البصرة النحوية، رسالة ماجستير، دار العلوم القاهرة، 1989م.

15- عصيدة (فادي صقر)، جهود نحاة الأندلس في تيسير النّحو العربي ، رسالة ماجيستر، كلية الدراسات العليا، جامعة النّجاح الوطنية ، نابلس، فلسطين، 2006م.

16- محمود شرف الدين ، التقعيد النحوي بين السماع والقياس، رسالة دكتوراه بدار العلوم، القاهرة، 1968م.

17- مختار بزاوية، النّحو العربي ومحاولات تيسيره، دكتوراه كلية الآداب والفنون، جامعة وهران 1، أحمد بن بلّة، قسم اللغة العربية وآدابها، 2016 /2017م.

المؤتمرات والملتقيات :

1- **أعمال ندوة تيسير النّحو، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر ، 2001م:**

- بن حمو (محمد): النّحو العربي في مرحلته الأولى.
- حساني (أحمد): النظام النّحوي العربي بين الخطاب الفلسفي والخطاب التعليمي.
- محمد (صاري): تيسير النّحو موضة أم ضرورة، بحث منشور في أعمال ندوة تيسير النّحو.

مواقع على شبكة الإنترنت:

18- أحمد الفاضل، المستشرقون.. والمستغربون ..والدّعوة إلى العاميّة !! ، فريق النّشر – ملتقى الخطباء ، khutabaa.com/media_observer/291011.

19- سعيد الدين إبراهيم المصطفى، شروط القواعد النّحوية، 1436/09/21ه 2015/07/08م. www.alukah.net/literature_language/0/88996.

20- الشعيب : د.خالد عبد الله، ضرورة التجديد وضوابطه في الفكر الإسلامي، المؤتمر الثالث عشر لتجديد الفكر الإسلامي، 2001م، بحث منشور على الموقع (www. Alazhr. Orglconf).

21- عبد الله أحمد جاد الكريم حسن، سمات القاعدة النّحوية، 1436/07/22ه 2015 /05/11م www.alukah.net/literature_language/0/86341.

فهرس الموضوعات

بسملة

كلمة شكر

إهداء

مقدمة .....أ

مدخل : النحو العربي مرحلة التّأسيس

تمهيد 5

علم النّحو 7

مفهوم القاعدة النّحوية.....8

المدارس النّحوية.....9

الفصل الأول : نشأة النّحو العربي وتطوّره

1.كيف نشأ النّحو؟ 15

2.سبب التسمية 16

3.مكان النّشأة 16

4.دوافع النّشأة 17

5.مفهوم النّحو 19

أ. لغة 19

ب. اصطلاحا 20

6.المدارس النّحوية 22

أولا : علم النّحو في البصرة 22

ثانيا : علم النّحو الكوفة 23

ثالثا : علم النّحو في بغداد 25

رابعا : علم النّحو في مصر والشّام 26
خامسا : علم النّحو في الأندلس والمغرب 27
7.المصادر التي اعتمد عليها النّحاة 29
1) السّماع 29
2) القياس 30
3) الإجماع 32
8.القاعدة 33
1) تعريفها 34
2) سماتها 36
3) شروطها 37
4) ضرورة صناعتها 39
الفصل الثاني : العلماء السّابقون، وآثارهم في النّحو، والمراجع التي خلّفوها
تمهيد 46
مشاكل النّحو وصعوباته 47
أولا : عيوب كتب النّحو 49
ثانيا : عيوب مناهج النّحاة 51
ثالثا: عيوب في المادّة النّحويّة 58
خلاصة عن علمائنا السّابقين، وآثارهم في النّحو والمراجع التي خلّفوها 62
الفصل الثالث : العلماء المحدثون، وآثارهم في النّحو والمراجع التي خلّفوها
تمهيد 77
الدعوة إلى تيسير النّحو العربي واختلاف المصطلحات 77

1- أشهر المصطلحات الحديثة 78
1) لتيسير.....78
2) التّجديد 79
3) الإصلاح 81
4) التبسيط 82
5) الإحياء 83
2- محاولات علمائنا المحدثين وآثارهم في النّحو والمراجع التي خلّفوها 86
1) الاستشراق 101
2) الاستغراب 103
هل حقّق المستشرقون والمستغربون أهدافهم ؟ 105
خاتمة 108
قائمة المصادر والمراجع 110
فهرس الموضوعات 125

ملخص:

يتناول هذا البحث قضية جمود وتطوّر قواعد النّحو العربي، من خلال رؤية النحويين القدامى والمحدثين، ويركّز بالأساس على جهود الحركات الإصلاحية، فقمنا بانتقاء أهم أعلام النّحو ، الذين ألّفوا كتباً بهذا الصّدد، وسعينا جاهدين في مناقشة آراء المحدثين الذين رأوا أنّ القديم لا طائل ممن ورائه وعدّوه من الترف العقلي.

وقد امتاز الإرث النّحوي القديم بدسامة مادته وكثرة الشّواهد وقوتها، على عكس المؤلفات الحديثة التي يكمن جوهرها في حسن التقسيم والتنظيم وتمتاز بسهولة الأسلوب؛ فكأنّها جاءت مكمّلة لما يعتري الكتب القديمة من ننقص ساعد في إيغالها بالصعوبة والتعقيد.

فهدف بحثنا هذا هو إيضاح ما وقع فيه الميسرون القدامى من سقطات، مع الأخذ في الحسبان متطلبات كل عصر. فنحن ما إلا مجتهدون نضع أيدينا على الجرح حتى يطيب؛ فوضعنا لمساتنا على الحركات الإصلاحية للنّحو العربي.

الكلمات المفتاحية: قواعد النّحو العربي، الجمود، التطوّر، حركات الإصلاح.

Summary:

This research deals with the issue of stagnation and development of the rules of Arabic grammar, through the vision of old grammarians and modernists, and focuses mainly on the efforts of the reform movements. They counted it as a luxury of mental.

The ancient syntactic legacy was distinguished by the silence of its substance, abundance of evidence and its power, in contrast to modern literature whose essence lies in good division and organization and is characterized by ease of style. As if it came to complement the shortcomings of the ancient books, which helped in filling them with difficulty and complexity.

The aim of our research is to clarify the failings of the old facilitators, taking into account the requirements of each era. We are nothing but mujtahid and put our hands on the wound until it is satisfied. So we put our touches on the reform movements of Arabic grammar.

Key words: Arabic grammar, stagnation, development, reform movements.